لَطَائِفُ وَطَرَائِفُ اللُّغَةِ والأَدَب

كتاب فيه ما يطيب للقارئ والأديب

الجزء الأول

تأليف

د. علي الطائي

٢٠٢١

لطائف وطرائف اللغة والأدب
الدكتورعلي الطائي
الطبعة الأولى: ٢٠٢١
حجم الورق: ٢٤سم×١٧سم ، عدد الصفحات: ٢٧٤

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٠١٨) لسنة ٢٠٢١

طُبعَ بإشراف مجلس الدكتور علي الطائي الثقافي (بابل)
جميع الحقوق محفوظة لداروطبعة المجلس الثقافي
العراق- بابل
هاتف: ٠٧٧١٤٢٨٩٠٣٨
البريد الألكتروني: Email: alitrogan٢٠١٠@gmail.com
تصميم الغلاف: أبو غيث الطائي (٠٧٧٣٠٠٣٣٩٣١)

يُمنَع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة دون إذن خطي من الناشر.

Printing house of the Cultural Council in Babylon, managed by Dr. Ali Al-Ta'i Cultural Council.

Copyright © ٢٠٢١ Dr. Ali Al-Ta'i Cultural Council.
All rights reserved.

لَطَائِفُ وَطَرَائِفُ

اللُّغَةِ و الأَدَب

المقدمة

مَنْ يَعْشَقِ الْكِتَابَ، يَتَمَنَّى أَنْ يَحْفَظَ كُلَّ مَا يَقْرَأُهُ فِيهِ، فَتَرَاهُ يُعْتَصَرُ أَلَماً لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ. قَرَأْتُ عَدَدًا كَبِيراً مِنَ الْكُتُبِ، وَفِي أَغْلَبِ فُنُونِ الْعِلْمِ، مِنَ الطِّبّ وَالْأَدَبِ، وَالتَّارِيخِ، وَاللُّغَةِ، وَعُلُومِ النَّفْسِ وَالْفَلْسَفَةِ، وَالتَّرَاجُمِ، وَالدِّينِ، وَغَيْرِهَا، فَعَلِقَ فِي ذِهْنِي كَثِيرٌ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ، وَأَكْثَرُهَا ضَاعَ فِي مَهَاوِي النّسيانِ، وَأَتَى عَلَيْهِ تَقَادُمُ الحَدَثَانِ، تَمَامًا كَأعمارِ الْعِبَادِ، وَعِمْرَانِ الْبِلَادِ. أَحْفَظُ فَأَنْسَى، وَأَحْفَظُ وَأَنْسَى مِرَارًا. وَالْيَوْمَ بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ تَسَارُعٍ لِلْأَحْدَاثِ وَضيقٍ للْوَقْتِ، بِسَبَبِ اللّهوِ بتَدابيرِ الْحَيَاةِ، وَسُرْعَةِ الْجَرْي وَرَاءَ الْمَلَذَّاتِ، والتسابقِ الْمَحْمُومِ فِي مَيْدَانِ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ، يَحْتَاجُ الْقَارِئُ فُسْحَةً مِنَ الرَّاحَةِ وَالاسْتِجْمَامِ، حَتَّى مَعَ نَوْعِ الْكِتَابِ وَمَوْضُوعِه.

أخبَرَني كَثِيرٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ فقال: إنَّنَا لاَ نُطِيقُ الاسْتِمْرَارَ فِي قِرَاءَةِ مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ طويلٍ، لِأَنّ الضَّجَرَ وَالْمَلَلَ سَرعانَ مَا يَتَسَرَّبانِ إِلَى نُفُوسِنَا، فنعزُفَ عَنِ الْقِرَاءَةِ، وَرُبَّمَا نَتْرُكُ الْكِتَابَ بِرُمَّتِهِ. فَآلَيْتُ على نفسي أَنْ أَكْتُبَ كِتَابًا تَهَشُّ النَّفْسُ إِلَيْهِ، ويستطيبُ القارئُ موضوعَهُ، فيتنَقَّلُ فِيهِ مِنْ مَوْضُوعٍ إِلَى آخَرَ دُونَ التَّشَبُّثِ فِي وَاحِدٍ فَقَطْ، أَجْمَعُ فِيهِ مَا يَمُرُّ بِي مِنْ لَطَائِفِ الْأَدَبِ، وَاللُّغَةِ، وَالْعُلُومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِمَا، مَعَ التَّصَرُّفِ الْكَبِيرِ مِنْ قِبَلِي فِي كُلِّ مَا جَاءَ فِيهِ بِأُسْلُوبٍ يَقُضُّ مَضَاجِعَ

الضَّجَرِ، ويُنعِشُ الْفِكَرَ، وَيُحَرِّكُ الْأَذْهَانَ. جَاءَ الْكِتَابُ جَوَابًا عن الْكَثِيرِ مِنَ التساؤلاتِ الَّتِي تَرِدُ عَلَى أَذْهَانِ الْقُرَّاءِ مِنْ كَلِمَةٍ لَا يُدْرِكُونَ مَعْنَاهَا بِشَكْلٍ تَامّ، وشَرحاً لمصطَلَحٍ مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ العِلْمِيَّةِ والأدبيةِ أَو اللُّغَوِيَّةِ مُبَسَّطًا، لَا عِوَجَ فِيهِ، ولا مبالغةَ، مردوفاً أَوْ مَسْبُوقًا بِبَعْضِ أَبْيَاتٍ مِنَ الشِّعْرِ، أَلَّفتُهَا مُنَاسَبَةً لِلْمَوْضُوعِ، مَا أَمْكَنَنِي ذَلِكَ. كَتَبْتُ فِيهِ كَثِيرًا مِنَ الْأَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ، فَوَضَعتُ اللَّمساتِ الشَّخْصِيَّةَ فِيهِ، حَتَّى لَا أُتَّهَمَ بِأَنِّي أَجْتَرُّ المعْلُومَاتِ، وَأَجْمَعُهَا كالرُّكامِ فِي كِتَابٍ كَمَا يَفْعَلُ الْعَاجِزُ. وَالشُّعَرَاءُ وَالْأُدَبَاءُ يُدْرِكُونَ قِيمَةَ هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّأْلِيفِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْجُهْدِ وَالمَشَقَّةِ، لَعَلَّنِي أَصِلُ إِلَى قَلْبِ الْقَارِئِ وَعقلِهِ، فَيَنَالُ الْمُؤَلِّفُ اسْتِحْسَانَ هَذِهِ النُّخْبَةِ الرَّاقِيَةِ مِنْ أَصْحَابِ الفِكْرِ وَالْعُلُومِ وَالْفِطْنَة.

أَنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِضَرُورَةِ عَدَمِ التَّوَقُّفِ وَالِاكْتِفَاءِ بِمَا كَتَبَهُ الْأَوَّلُونَ، عَلَى كَثْرَتِهِ، وَعَلَى اشْتِمَالِهِ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْحِكَايَاتِ الَّتِي لَا تَنْفُذُ إِلَى الْعُقُولِ النّابِهَةِ، لِأَنَّنِي وَجَدتُ كَمًّا كَبِيرًا مِنْهَا وَقَعَتْ فِيهَا أَهْوَاءُ الرُّوَاةِ، فَلَمْ تَسْلَمْ مِنَ الدَّسِّ والتّضارُبِ، وَعَدَمِ المَعقُولِيَّةِ. قَرَأْتُ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَدَبِ وَالشِّعْرِ بِالذَّاتِ، فَشَمَمتُ فِيهَا رَائِحَةَ الدَّسِّ والتَّحريفِ، وأسلوبَ الوضعِ وَالتَّأْلِيفِ، وكأَنَّني أقْرَأُ كِتَابَ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ، وَهَذَا مَا حَدَثَ كثيراً فِي كُتُبِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ مِنْ حَدِيثٍ وَسِيرَةٍ وَتَارِيخ. أَدْرَكْتُ، حِينَهَا، أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ نُحَرّرَ أَنْفُسَنَا مِنْ قُيُودِ الماضِي العتيقِ، فَنكتُبَ كُتُبًا تَخُصّ عَصْرَنَا، أَوْ أَنْ تَكُونَ خَلِيطًا ماتعاً مِنَ

الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ بِحُلَّةٍ زَاهِيَةٍ، صافيَةٍ، عَصْرِيَّةٍ، تَأنَسُ الْقُلُوبُ بِهَا، وَتَلَذُّ الْأَذْهَانُ. أشَرتُ في هذا الكتابِ إلى كثيرٍ من شُعرائنا المعاصرينَ، الذين أجادوا إيِّما إجادة في كثيرٍ مما نظَموا، حتى فاقوا بمستواهم عدداً من الشعراءِ الأقدمينَ. وأنا من المؤمنين بأن كثيراً مما جاءنا عنهم لا يستحقّ النظرَ إليه.

قَسَّمْتُ الْكِتَابَ إِلَى مَا أسمَيتُهُ بِاللَّطَائِفِ، وَاقْتَصَرْتُ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِهِ عَلَى عددٍ مِنْها، فَجَاءَتْ مجموعةً إثرَ مجموعةٍ، وَصَرَفتُ الْجُهْدَ الْجَهِيدَ فِي تَحْرِيكِ الْكَلِمَاتِ، وَالشّعْرِ، حَتَّى تُضَافَ فائدةٌ أُخْرَى مِنْ خِلَالِ تَقْوِيمِ اللِّسَانِ وَالِاعْتِيَادِ عَلَى اللَّفْظِ الصَّحِيحِ، وَخَاصَّةً أولئكَ الَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ أَصْحَابِ الِاخْتِصَاصِ، وأعتذِرُ عن السهوِ الذي ربما لم أفطِنْ اليه. أَرْجُو أَنْ أُوَفَّقَ فِي هَذَا الْعَمَلِ لِأَنَّنِي وَضَعتُهُ خَالِصًا لِوَجْهِ الله، وَمِنَ الله التَّوْفِيق.

علي الطائي

٢٠٢١ العراق/بابل

اللطيفة الأولى

"لِمَاذَا أُحِبُّ الشِّعْرَ"

سَأَلَنِي: مُنْذُ مَتَى وَأَنْتَ تُحِبُّ الشِّعْرَ وَتَنْظِمُهُ؟ وَلِمَاذَا كُلُّ هَذَا الحُبِّ وَالْغَرَامِ بِالشِّعْرِ؟

قُلْتُ لَهُ : الشِّعْرُ عِنْدِي كَأَجْمَلِ فَتَاةٍ رَأَتْهَا عَيْنِي، أَغُوصُ فِي أَعْمَاقِ بُحُورِهِ، وَيَغُوصُ فِي أَعْمَاقِ رُوحِي، فَيَصُوغُ مِنْهَا أَجْمَلَ الْمَعَانِي، وَأَجْوَدَ الأَبْيَاتِ. أَصْحُو مِنَ النَّوْمِ، فَأَتَنَاوَلُ بَيْتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ قَبْلَ الْفُطُورِ، لِأَنَّهَا تَزِيدُ شَهِيَّتِي لِلأَكْلِ. اقْرَأُ دُرَرًا مِنَ الأَشْعَارِ، وَأَنْظِمُ مِنْهَا مَا يَرُوقُ لِي. أَنْشُدُهُ إِلَى قَرِينَتِي وَحَبِيبَتِي، فَتُدْلِي بِرَأْيِهَا بَعْدَ سَمَاعِهِ، وَرُبَّمَا تَطْرَبُ لَه. حَاجَتِي لِلشِّعْرِ كحاجَتِي لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، يَا عَزِيزِي. حِينَ يَدْهَمُنِي الْحُزْنُ، لَا أَجِدُ مَنْ يُوَاسِينِي إِلَّا الشِّعْرَ، فَتُسْرِعُ مُخَيَّلَتِي إِلَى نَظْمِ نَشِيدٍ مِن أَنَاشِيدِ الرُّوحِ الحَزِينَةِ. أَلْهُو بِبَعْضِ الْأَبْيَاتِ جَوْفَ اللَّيَالِي، فَتُؤنِسُ وَحشَتِي، وَتُزِيلُ نَوْبَاتِ الْأَسَى الَّتِي خَالَطَتْ مَشَاعِرِي. أَسْبِرُ أغوارَ الشِّعْرِ لأَلْتَقِطَ حَبَّاتِ اللُّؤْلُؤِ مِنَ الْقَوَافِي الشَّجِيَّةِ والرَّوِيِّ الأَشْجَى. وَهَذَا بَعْضُ مَا فَاضَتْ بِه مُخَيَّلَتِي:-

كَتَبْتُ الشِّعْرَ مِنْ صِغَرِي ... إِدَامُ الرُّوحِ فِي الشِّعرِ

فَفِيهِ مَا يُسَلِّينِي ... وَرَوْحٌ فِيهِ كَالسِّحْرِ

سَمِيرُ اللَّيلِ أَبْيَاتٌ ... تُزِيلُ الهَمَّ كَالخَمْرِ

يَغُوصُ الفِكْرُ في المَعْنَى ويَعْلُو ذاكَ كَالطَّيْرِ
بُحُورُ الشعرِ أَحْزَاني وأُخْرَى تَبْتَغِي قَهْرِي
فَمِنْ بَحْرٍ الى بَحْرٍ كَكَنْزٍ غارَ في البَحْرِ

المعنى: الإِدامُ، بالكسرِ، والأُدْمُ، بالضمّ: ما يؤكَلُ بالخُبزِ أَيَّ شيءٍ كان. وفي الحديث: سَيِّدُ إِدامِ أَهْل الدُّنيا والآخرة اللحمُ. والمعنى أن أفضل غذاءٍ للرّوحِ هو الشِّعرُ. والرَّوحُ: هو الراحةُ، والبردُ. والسميرُ هو المُسامِرُ، أي الذي يحدثني أثناءَ الليل، فكأنَّ أبياتَ الشّعرِ خيرُ محادثٍ لي فيها، فهي تُزيلُ الهمَّ، كالذي تفعلُهُ الخمرةُ على ما يتحدّثُ بهِ شاربوها. والبحوُرُ هنا بمعنى بحور الشعرِ الستةَ عشرَ، فكأن قسماً منها تزيلُ أحزاني، وقسماً منها تزيدها، حينما أستذكرُ أيام الشبابِ، أو من غابَ من أعزائي وأصدقائي. وكأنني أتنقلُ في هذه البحورِ، من بحرٍ إلى بحرٍ، فترسو بعد أن تغورَ هذه الأشعارُ فيها كأنها الكنوز.

اللطيفة الثانية

"حَمَامَة"

قال ابن الرِّقَاعِ[1]، وذكَرَ حمامةً:

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّنِي كُنْتُ نَائِماً
أُعَلِّلُ مِنْ بَرْدِ الكَرَى بِالتَّنَسُّمِ
إِلَى أَنْ بَكَتْ وَرْقَاءُ في غُصْنِ أَيْكَةٍ
تُرَدِّدُ مَبْكَاهَا بِحُسْنِ التَّرَنُّمِ
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً
سُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
ولكِنْ بَكَتْ قَبلي فَهَاجَ لِيَ البُكَا
بُكَاهَا فَقُلْتُ: الفَضْلُ لِلمُتَقَدِّمِ

المعْنَى: يَقُولُ ابْنُ الرِّقاعِ أَنَّ الَّذِي أَحْزَنَنِي أَو أغَمَّني أَو أَثَارَ شَوْقِي وَحُزْنِي، وَكُلُّهَا مَعَانِي للـ (الشَّجَا)، هو أَنَّنِي كُنْتُ نائماً، أعلِّلُ: أَي أُعَالِجُ عِلَّتِي، أَيْ مَرَضِي،

---

[1] عدي بن الرقاع العاملي، توفي في العام ٩٥ هـ / ٧١٤ م، شاعر كبير من بني عاملة سكن دمشق، يكنى أبا داود. كان معاصراً لجرير، مهاجياً له، مقدماً عند بني أمية، مدّاحاً لهم، خاصة بالوليد بن عبد الملك. لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام.

وَبِسَبَبِ بَرْدِ الْكَرَى وَهُوَ النَّوْمُ أَوْ النُّعَاسُ، بِمَاذَا ؟ بالتَّنَسُّمِ، أَي بالتنفس، أَوْ شَمِّ الطِّيبِ، أَوْ تَتَبُّعِ أَخْبَارِ الحَبِيبِ. بَيْنَمَا أَنَا أَتَنَسَّمُ وَأُعَلِّلُ نَفْسِي، بَكَتْ وَرْقَاءُ: وَهِيَ الحَمَامَةُ الَّتِي لَوْنُهَا كَالرَّمَادِ فِيهِ سَوَادٌ، عَلَى غُصْنِ (الأَيْكَةِ) وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْكَثِيفَةُ الْأَغْصَانِ وَالأَوْرَاقِ. مَاذَا تَفْعَلُ هَذِهِ الحَمَامَةُ فِي بُكَائِهَا؟ كَانَت تُرَدِّدُ مَبْكَاهَا: أَي تُعِيدُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَتُكَرِّرُهُ. وَلَكِنَّهَا تَخْلِطُ هَذَا التَّكْرَارَ بأَجمل أَشْكَالِ التَّرَنُّم، أَي الْغِنَاءِ أَوِ الصَّوْتِ الْمُلَحَّنِ، أَوْ يَأْتِي بِمَعْنَى صَوْتِ الحَمَامِ. وَيَعُودُ فَيَقُولُ: إِنَّنِي لَوْ بَكَيْتُ قَبْلَ بُكَائِهَا مِنَ الصَّبَابَةِ، وَهُوَ الشَّوْقُ أَوْ رِقَّتُهُ أَو حَرَارَتُهُ، وَهَذِهِ الصَّبَابَةُ السَّعْدَى مِنَ الْأَسْعَدِ، وَهِيَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي لَمْ يَتَدَاوَلْهَا الْعَرَبُ، لِأَنَّ سَعِيد مُؤَنَّثُهُ سَعِيدَة. يَقُولُ : لَوْ فَعَلْتُ هَذَا الْبُكَاءَ، لَشَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ أَنْ أَمُرَّ بِلَحْظَةٍ مِنَ لَحظَاتِ التَّنَدُّمِ، أَي الْأَسَفِ وَالتَّحَسُّرِ. لَكِنَّهَا، أَي الحَمَامَةَ، بَكَتْ قَبْلِي فَأَهَاجَتْ لِيَ الْبُكَاءَ، فَكَانَتْ السَّابِقَةَ بِالْفَضْلِ. وَالْفَضْلُ، دَائِمًا، لِمَنْ تَقَدَّمَ بِهِ وَفَعَلَهُ أولاً. أهاجَتْ هذهِ الأبياتُ مَشاعِري، فأَجَبْتُ ابْنَ الرِّقَاعِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ مِنْ بَحْرِ الطَّوِيل:-

بَكَيْـــتَ لِوَرْقَـــاءِ الأراكِ، لِنَوحِهـــا
أَهَـــاجَ بُكَاهَـــا الوَجْـــدَ فِي المُتَنَسَّـــمِ
وَنِمْتَ حَزِينَ القَلْبِ فِي هَدْأَةِ الكَرَى
تُـرَوِّي غَلِيـلَ الـنَّفْسِ فِي شِـبْهِ مَـأتَمِ

لَعَـلَّ حَـدِيثَ الـنَّفْسِ يُغْنـي صَـبَابَةً
لَجَاجَـةُ هَـذَا الْقَلْـبِ يَفْـرِي بِـأَيْهَمِ
وَمِثْلُـكَ ظَمْـآنٌ هَـدَرْتُ بِـدَمْعَتِي
فَعُـدْتُ كَسِـيرَ الْقَلْـبِ مِنْـهُ تَـأَلُّمِي
فَـلَا يَنْفَـعُ التَّرْنِـيمُ فِي غُصْـنِ أَيْكَـةٍ
وَلَا يُرْتَجَـى الـتَّرْوِيحُ سَـاعَةَ مَنْـدَمِ
وَلَـيْسَ دَعِـيُّ الْفَضْـلِ كَالفَاضِـلِ الَّـذِي
يَجُـودُ بِفَضْـلِ الْقُـرْبِ، وَالْمُتَقَـدِّمِ

اللطيفة الثالثة

معنى " نَهِلَ "

ذَكَرَتِ المَعَاجِمُ اللُّغَوِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ أَنَّ مَعْنَى نَهِلَ، مِنَ "النَّهَلُ": وَهُو الشُّـرْبُ الأَوَّلُ. نهِلَ يَنهَلُ، نَهَلاً ومَنْهَلاً، فَهُوَ ناهِلٌ وَالجَمْعُ: نُهَّالٌ؛ ونَواهِلُ. وَذَكَرَتْ بَعْضُهَا أَنَّ المَعْنَى هُوَ (النَّهَلُ: مَا أُكِلَ مِنَ الطَّعَامِ). وَتُسْتَعْمَلُ كَذَلِكَ فِي مَعَانٍ أُخْرَى مِثْلُ: نَهِلَ الشَّخْصُ: شَرِبَ حَتَّى رَوِيَ. أَي أَنَّهُ لَا يَخْتَصُّ بِالشُّـرْبِ الْأَوَّلِ فَحَسْبُ، إِنَّمَا بالرِّيِّ الْكَامِلِ. وَرُبَّمَا اسْتُخْدِمَتِ الْكَلِمَةُ لِلْفَرَسِ، فَنَقُولُ: فَرَسٌ نَاهِلٌ: أَي فَرَسٌ شَارِبٌ. وَلَرُبَّمَا استَعْمَلْنَاهَا فِي أَمْثَالِ الْعِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ، فَنَقُولُ: نَهِلَ مِنْ مَعِينِ العِلْمِ: أَي، اسْتَقَى العِلْمَ مِنْ مَصَادِرِهِ. وَمِنْ أَجْمَلِ الِاسْتِعْمَالَاتِ أَنَّهَا تُعْنِي الْعَطَشَ، وَهُوَ ضِدُّ الرِّيِّ. فَنَقُولُ: جَاءَ نَاهِلاً: أَي بِهِ عَطَشٌ، وعَطْشَانُ. فَانْظُرْ إِلَى عَجَائِبِ لُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ الْجَمِيلَةِ. قَالَ الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ:

هُـمُ سَـقَوْني عَلَـلًا بعـدَ نَهَـلْ مِن بعدِ مَا ذَبَّ اللِّسانُ وذَبَلْ

المعنى: العَلَلُ : الشربُ الثاني، شَرِبَ عَلَلاً : شَرِبَ ثَانِيَةً أَوْ تِبَاعاً بَعْدَ الشُّـرْبِ الأَوَّلِ وهو (النَّهَلُ). ونقولُ ذَبَّتْ شَفَتُهُ : جَفَّتْ وَذَبَلَتْ مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ.

وذَبَّ لِسانُهُ بنفس المعنى.

وقلتُ في احدى قصائدي (مجزوء الكامل):

يَـا مَـنْ نَهِلْـتَ مَـدَامِعِي ... والمـاءُ تَحْضِـنُهُ السَّـوَاقِي

وَنَكَـأْتَ جُرْحًـا نَازِفـاً ... جَـذْلَانُ، تجـتَرِحُ المـآقِي

يَـا سَـيِّدَ الْأَوْطَـانِ مَـا ... سَـمِعَتْ لَنَـا أُذُنُ الوِفَـاقِ

هَتَفَتْـكَ نَاعِيَـةُ الزَّمَـانِ ... بَـلاَكَ مُجْتَلِـبُ الْفِـرَاقِ

فَوَقَفْـتُ فِي ذَاكَ الصَّـعِيدِ ... مُوَدِّعـاً سَـاقًا بِسَـاقِ

فَعَـدَوْتُ أَرْتَكِـبُ المَنَايَـا ... بَـيْنَ مُغْـتَرِفٍ وَسَـاقِي

المعنى: المَدامِعُ، وهي ما قطر من عُرْضِ جبل. أقول: يا من شربتَ أولاً دمعي الذي يقطرُ مني وأنا عصيٌّ كالجبلِ، بينما الماء أمامَكَ يملأُ السّواقي. وها هنا استعارةٌ، لأن النهرَ لا حِضنَ لهُ. نَكَأَ جُرْحاً قَدِيماً : أَعَادَ نَبْشَهُ مِنْ جَدِيدٍ كِنَايَةً عَنْ إِثَارَةِ مَسْأَلَةٍ قَدِيمَةٍ تُؤْلِمُ. وجَذلانُ بمعنى فَرْحانُ، ولم تعلمْ أنكَ تجرحُ المآقي: مجاري الدُّموع من العين، أي: من طرفها ممّا يلي الأنف. النَّاعِي : الذي يأتي بخبر الميِّت. و بلاكَ من البلاءِ. الصَّعِيدُ :المرتفِعُ من الأرض، أو التراب.

الغَرْف: غَرْفُك الماء باليد أَو بالمِغْرفة.

اللطيفة الرابعة

"أَهْلاً وَسَهْلاً"

أَهْلاً وَسَهْلاً: عِبَارَةٌ تُقَالُ لِلضُّيُوفِ وَالأَصْدِقَاءِ عِنْدَ اسْتِقْبَالِهِمْ. والنَّصْبُ هُنَا عَلَى المَفْعُولِيَّةِ وَتقْدِيرُهَا: صَادَفْتَ أَهْلاً لاَ غُرَبَاءَ وَوَطِئْتَ سَهْلاً لاَ وَعْراً. ومَرحَبًا من رَحُبَ المَكَانُ: اِتَّسَعَ. وجاءَ في سورةِ التوبة آية ١١٨ (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ).

وقد استعارَ الشعراءُ هذا المعنى فتفننوا في صياغتهِ، وفي نَظمِهِ. فمنهم من جعلَ موضعَ القادمِ عليهِ بمنزلةِ الأشجان. والأشجانُ جمعُ شَجَنٍ وهوَ الحزنُ والهمُّ. وحيثُ هنا ظرفٌ للمكانِ. ومكانُ الأشجانِ هوَ القلبُ، فكأنهُ يضعُ هذا القادمَ في قلبهِ، كأشجانهِ. قال الشاعرُ:

فَقَالَ أَلا أَهلاً وَسَهلاً ومَرحَباً

جَعَلْتُكَ مِنِّي حَيْثُ أجعَلُ أشْجَاني

وقال آخرُ:

فَقلت لَهُ أَهلا وسهلا ومرحباً

رَشَدتَ، وَلم أقعد إِلَيْهِ أسائله

وقال آخر:

فَقُلْـتُ لَهـا أَهـلًا وَسَـهلًا وَمَرحَبـاً

فَـردَّتْ بتأهيـلٍ وَسَـهلٍ ومَرحَـبِ

ومنهُم من لا يطمئنُّ لمن يرحبونَ به حيثُ يقولُ:

يَقُولُـونَ أَهـلاً وسـهلاً ومَرحبًـا

وَلَـو ظفَـروا بِي سَـاعَةً قَتَلـوني

قُلْتُ :

أَهْـلاً وَسَـهْلاً، فِي دِيـارِي نـازلٌ

أَكْرَمْتَنِي بِالْأَهْـلِ، والسَّـهْلُ جَـرَى

اللطيفة الخامسة

كَلِمَةُ " أُخَيَّ " وَوُرُودُها في الشِّعرِ

أُخَيّ: مصغرُ "أخ" معروفٌ وهوَ الأَخُ بالنَّسَبِ، أو قد يُطلقُ على الصديقِ.

وقد استُعمِلَت هذهِ المُفرَدَةُ في الشِّعرِ كثيرًا ومنها: قال يزيد بن الحكم الثقفي[٢]:

اســـــمَعْ أُخَـــــيَّ نَصـــــيحَتي

فالنُّصْـحُ مِـنْ مَحـضِ الدِّيَانـهْ

وقالَ الحَريريّ[٣] في مَقَامَتِهِ الفُرَاتيّةِ:

إسمَعْ أُخَيّ وصيّةً منْ ناصِحٍ

ما شابَ مَحْضَ النُصْحِ مِنهُ بغِشّهِ

---

[٢] يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي البصري، شاعر أموي، من فصحاء الشعراء. من قبيلة ثقيف، جده أبو العاصي صاحب رسول الله وعمه الصحابي عثمان بن أبي العاص. شاعر عالي الطبقة، من أعيان العصر الأموي. من أهل الطائف، سكن البصرة، وولاه الحجاج كورة فارس، ثم عزله قبل أن يذهب إليها. فانصرف إلى سليمان بن عبد الملك فأجرى له ما يعدل عمالة فارس. وقد كان أبي النفس، شريفا، من حكماء الشعراء.

[٣] أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي أديب من أدباء البصرة (٤٤٦هـ/١٠٥٤م - ٦ رجب ٥١٦ هـ/١١ سبتمبر ١١٢٢م) من أكبر أدباء العرب ، وصاحب مقامات الحريري. لم يبلغ كتاب من كتب الأدب في العربية ما بلغته مقامات الحريري من بُعد الصيت واستطارة الشهرة، ولم يكد الحريري ينتهي من إنشائها حتى أقبل الوراقون في بغداد على كتابتها، وتسابق العلماء على قراءتها عليه، وذكروا أنه وقَّع بخطه في عدة شهور من سنة (٥١٤ هـ - ١١١٠م) على سبعمائة نسخة، وبلغ من= =شهرتها في حياة الحريري أن أقبل من الأندلس فريق من علمائها لقراءة المقامات عليه، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء، وتناولوها رواية وحفظًا ومدارسة وشرحًا.

لا تَعجَلَنْ بقضيّةٍ مبْتوتَةٍ

في مدْحِ منْ لمْ تبلُهُ أو خدشِهِ

وقِفِ القضيّةَ فيهِ حتى تجْتَلي

وصْفَيْهِ في حالَيْ رِضاهُ وبطْشِهِ

وقال أبو العتاهية:

فلا تعشقِ الدنيا أخيَّ، فإنما

يُرى عاشقُ الدنيا بجَهْدِ بَلاءِ

وكانت لي وقفة مع هذه المفردة بثلاثة أبيات:

أَأُخَيَّ، لا تَحمِلْ عَلَيَّ ضَغينةً

فَكَأَنَّما الدُّنيَا فَريسَةُ صَائدِ

أَتَراكَ تُبصِرُني وَعَينُكَ لا تَرَى

جَبَلًا مِنَ الهَمِّ المُقيمِ وَحاشِدِ

أَتَغُرُّكَ الدّنيا بِبَرقِ جَمالِها

فَمَصيرُها والكَونُ ذاكَ لِوَاحِدِ

وقلتُ في قصيدةٍ أخرى:

أ أخَيَّ، الدَّهرُ لا يُبقِي لَنا

غَيرَ خَطْبٍ مُهلِكٍ، قَالٍ وقِيلْ

اللطيفة السادسة

"القَلْبُ المَكَانِيّ فِي عِلْمِ الصَّرْفِ"

فِي عِلْمِ الصَّرْفِ هناكَ مَا يُسَمَّى بِالْقَلْبِ المَكَانِيّ، فَمَا هُوَ؟

القَلبُ المَكانيّ مِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ فَارِسٍ فِي كِتَابِهِ (الصاحبي)، ومثّل لَه بِقَوْلِهِم: (جَذَبَ وجَبَذَ)، وَبِقَوْلِهِم: (بَكَلَ ولَبَكَ)، بِمَعْنَى: خَلَطَ، وَذَكَرَ لَهُ السُّيُوطِيّ فِي كِتَابِهِ (المُزهِرُ) نَحْوَ مِائَةِ كَلِمَةٍ. وَحَتَّى فِي اللُّغَةِ العَامِّيَّةِ يَقُولُ المِصْرِيُّونَ: مَرْسَحُ وَيُرِيدُونَ بِهِ " مسرح". وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي وَزْنِ كَلِمَةِ (أشياءَ) عَلَى مَذَاهِبَ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْهَا مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْبَصْرِيِّينَ، وَهُوَ أَنَّ (أشياءَ) عَلَى وَزْنِ (لفعاءَ) وَإِنَّ فِيهَا قَلْبًا مكانيّاً، وَالْأَصْلُ فِيهَا: شيئاءَ، عَلَى وَزْنِ فَعْلَاءَ، ثُمَّ قُدِّمَتِ الْهَمْزَةُ الَّتِي تُقَابِلُ لَامَ الْكَلِمَةِ، فَصَارَتْ (أشياءَ) عَلَى وَزْنِ (لفعاءَ). وَعَلَى هَذَا الرّأْيِ تَكُونُ الْكَلِمَةُ قَدْ حَدَثَ فِيهَا قَلْبٌ مَكَانِيٌّ.

أَنْتَ تَقُولُ: جَوَازُ المَرْأَةِ، وَتُعْنِي بِالضَّرُورَةِ (زَوَاجُ)، أَلَيْس كَذَلِك؟

وَتَقُولُ: أَهْبَلُ، وَيَجِبُ أَنْ تُعْنِي بِذَلِكَ: أبلهُ، لِأَنَّ الْأَصْلَ هُوَ هَذَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مُنْذ الْقِدَمِ. وَهَذَا التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ فِي حُرُوفِ الْكَلِمَةِ يُسَمَّى (القلبُ المَكاني) فِي عِلْمِ الصَّرْفِ. وَمِثَالٌ آخَرُ: أَوْباشُ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ أَصْلُهَا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ: أوشابُ. كُلُّ هَذَا التَّلَاعُبِ فِي مَوَاقِعِ الحُرُوفِ جَاءَ مِنْ تَطَوُّرِ اللهجات الْعَرَبِيَّةِ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ. المَفْهُومُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ هُوَ وَاحِدٌ. نَظَمْتُ فِي هَذَا المَعْنَى بَعْضَ أَبْيَاتٍ

:

قُل: (أَبْلَــهُ) وَالْقَلْب فِيهَا أَهْبـــــــلُ
ذَاكَ الّذِي فِي الصّرفِ حَقًّا يُنْقَــلُ
(جَوَّزْتُها) صَرْفاً وَهذَا (جَوْزُهَــا)
فِي الْأَصْلِ (زوجٌ) ، غَيْرُهَا لَا يُقْبَــلُ
(أوشابُ) فِي الْأَصْلِ الْأَصِيل ثابتٌ
(أوبــاشُ) جاءتْ في لسانٍ، تُبدَلُ

المعنى: هُوَ رَجُلٌ أَبْلَهُ : مَنْ كَانَ بِعَقْلِهِ ضَعْفٌ، أو هو الأحمقُ. أَهْبَلَ اللهُ المَرْأَةَ: أَفْقَدَهَا وَلَدَهَا. أهْبَلَ العَاشِقُ:فَقَدَ العَقْلَ وَالإدْرَاكَ. وجاء في المعجم الوسيط: البَوْش الغوغاء. والجمع : أَبْوَاشٌ، وأَوْباشٌ (على القلب) .

اللطيفة السابعة

"مُبَارَكٌ وَمَبْرُوكٌ"

بَعْضُهُم يَعْتَرِضُ عَلَى اسْتِعْمَالِ كَلِمَةِ "مبروك" حَال التَّهْنِئَةِ بعِيدٍ جَدِيدٍ أَوْ بَيْتٍ أَوْ زَوَاجٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَيُصِرُّ عَلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ الْمُنَاسَبَةَ هِيَ "مبارك". وَبَعْدَ الرجوعِ الى مَعَاجِمِ اللُّغَةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي أَصُفُّهَا عَلَى رُفُوفِ مَكْتَبَتِي، وَجَدْتُ أَنْ لَا صِحَّةَ لِمِثْلِ هَذَا التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا على وَجهٍ منَ الوُجوهِ.

مُبَارَكٌ: اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ بارَكَ. نَقُولُ: بَارَكْتُ لَكَ، أَوْ بَارَكَ الله فِيكَ، أَوْ مُبَارَكٌ عَلَيْكَ. كُلُّهَا صَحِيحَةٌ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَظِيمِ قَالَ تَعَالَى ((وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) (سورةُ الأنعام آية ١٥٥).

عِيدٌ مُبارَكٌ / يَوْمٌ مُبَارَكٌ: مَيْمُونٌ، سَعِيدٌ، فِيهِ بَرَكَةٌ. وَهي كَلِمَةٌ تُقالُ عِنْدَ التَّهنئةِ بِمُناسَبَةٍ سَعِيدَةٍ كَزَواجٍ أَوْ نَجاحٍ أَوْ غَيْرِهِمَا. نقولُ: زَوَاجٌ أو مَنْزِلٌ مُبارَكٌ.

أَمَّا مَبْرُوك فَهِيَ: اسْمُ الْمَفْعُولِ مِنْ بَرَّكَ. وقد ذكرَ ابنُ عُثَيمينَ أنَّ لفظةَ مَبروك صالحةٌ بأن تكونَ مِنَ البَرَكَةِ، لأَنَّهُ يُقالُ: هذا مُباركٌ، منَ الفِعلِ الرُّباعيّ بارَكَ، ويُقالُ: هذا مَبرُوكٌ منَ بَرَكَ، ولكنَّ العامَّةَ لا يُرِيدُونَ بِهِ إِلَّا الْبَرَكَةَ، وَهُوَ بِمَعْنَى مُبَارَك فِي اللُّغَةِ الْعُرْفِيَّة. وَلَا أَظُنُّهُ مِنْ حَيْثُ الْقَوَاعِدِ الصَّرْفِيَّةِ يَصِحُّ أَنَّ الْمُشْتَقَّ مِنْ بَرَكَ مَبْرُوكٌ، لِأَنّ بَرَكَ فِعلٌ لازِمٌ، وَالْفِعْلُ اللَّازِمُ لَا يُصَاغُ مِنْهُ اسْمُ الْمَفْعُولِ إِلَّا مُعَدًّى بِحَرْفِ الجَرِّ. وَلِهَذَا يُقَالُ: بَرَكَتِ النَّاقَةُ فَهِي بَارِكَةٌ، وَلَا يُقَالُ:

مبروكةٌ، وَيُقَالُ: بَرَّكَ نَاقَتَهُ فَهِيَ مُبرَكَةٌ لَا مَبروكةً. فَصِيغَةُ مَفْعُولٍ مِنْ بَرَكَ لَا تَصِحُّ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ إلّا مُعَدَّاةً بِحَرْفِ جَرٍّ، وَهِي تُسْتَعْمَلُ بِغَيْرِ حَرْفِ الجَرِّ عِنْدَ الْعَامَّةِ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَإِذَا كَانَتْ مَادَّةُ الِاشْتِقَاقِ مَوْجُودَةٌ وَهِيَ (الْبَاءُ وَالرَّاءُ والكافُ) الَّتِي هِيَ أَصْلُ حُرُوفِ الْبَرَكَةِ، فَلَا أَرَى مَانِعًا مِنْ أَنْ يَقُولَ القائلُ: مَبْرُوك بِمَعْنَى مُبَارَكٍ. انْتَهَى كَلَامُ ابْنُ عُثَيْمِينَ، وَهُوَ تَخْرِيجٌ صَحِيحٌ إلَى حَدٍّ كَبِيرٍ، يُضَافُ إلَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهجَاتِ الْعَرَبِيَّةَ رُبَّمَا تُعْتَبَرُ وَجْهًا مِنْ أَوْجُهِ اللُّغَةِ الَّتِي يَجُوزُ اللُّجوءُ إلَيْهَا مَادَامَ المَعْنَى الْمُحَصِّلُ مِنْهَا مَفْهُومًا وواصِلًا، وَهُوَ الْمُهِمُّ فِي هَذَا الْأَمْرِ. يُضَافُ إلَى هَذَا أَنَّ بَعْضَ المعاجِمِ تَنْقُلُ هَذَا وَتُثْبِتُهُ كَاسْتِعْمَالٍ جَائِزٍ وَمُعْتَرَفٍ بِهِ كَالَّذِي وَجَدْتُهُ فِي مُعْجَمِ المَعَانِي، وَمُعْجَمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرِ.

اللطيفة الثامنة

"هَيْفَاءُ"

الهَيْفَاءُ: الضَّامِرَةُ الْبَطْنِ، الدَّقِيقَةُ الْخِصْرِ. مِنَ الْفِعْلِ هَافَ: أي عَطِشَ. وَيُسَمُّونَ بِهِ الْيَوْمَ مَرَخَّماً: هَيْفَا، هَيْفَةُ. وَكَانُوا قَدِيماً يُسَمُّونَ بِهِ مُعَرَّفاً بَأَل، مِثْل: الْهَيْفَاءُ القُضَاعِيَّةُ[٤]، مِنْ شَوَاعِرِ الْعَرَبِ. وَهَيْفَاءُ: مُؤَنَّثُ أَهْيَف.

أَحَدُهُم أَرَادَ الزَّوَاجَ بِامْرَأَةٍ ذَاتِ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، فَاسْتَشَارَ أُمَّهُ فِي هَذَا المَوْضُوعِ وقالَ لها من بابِ المُزحَةِ: أريدُها هيفاءَ. كَانَتْ وَالِدَتُهُ مِنْ بُسَطاءِ النَّاسِ حَالًا وَمَالًا وثقافةً وَمَعْرِفَةً. أَشَارَتْ عَلَيْهِ بِقَوْلِهَا: عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ بِصَاحِبَةِ الْقُرْصِ الْكَبِيرِ. اِسْتَغْرَبَ مِن قولِها، وَسَأَلَهَا مُسْتَغْرِبًا: وَمَاذَا تَعْنِينَ بِالْقُرْصِ الْكبيرِ يا أمّي؟ قَالَتْ: هَيْفَاءُ جِيرَانُنَا بِنْتُ أُمِّ هَيْفَاءَ، مَاهِرَةٌ بِالخُبْزِ وقرصَتُها كَبِيرَةٌ، وَهِيَ مِنْ أَمْهَرِ النِّسَاءِ فِي حَيِّنا بالطبيخِ. ضَحِكَ صَاحِبُنَا بمليء شِدْقَيهِ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَسْتَلْقِيَ مِنْ شِدَّةِ الضَّحِكِ وقالَ: شكراً لكِ يا أمي، وبعدَ الزواجِ سأفتح مخبزاً بإذن الله.

قُرْصَةٌ : الجَمْعُ : قُرُصَاتُ و قُرْصاتُ و قُرَصٌ. والقُرْصَةُ : خبزةٌ صغيرةٌ مبسوطةٌ مدوّرة وَالجَمْعُ : قُرَصٌ.

---

[٤] الهيفاء بنت صبيح القضاعية. شاعرة جاهلية، كانت من الشاعرات المجيدات، حيث كان لها جولات في مجالس الفخروالرثاء. ولها ميمية في زوجها نوفل التغلبي.

وفي جانبٍ آخرَ سمعتُ هذهِ الحكايةَ من أحدِ الأصدقاءِ. سَأَلَها زَوْجُهَا: أَتَعْرِفِينَ مَعْنَى اسْمِكِ يَا هَيْفَاءُ؟

قَالَت: نَعَمْ، وَكَيْفَ لَا أَعْرِفُ؛ هِيَ الدَّقِيقَةُ الْخِصْرِ، أَي الَّتِي لَا بَطْنَ لَهَا أَوْ كَرْش.

قَالَ: وَهَلْ أَنْتِ هَيْفَاءُ ! ! وَوَزْنُكِ مِئَةٌ وَعِشْرُونَ كِيلُو غرَاماً (وضَحِكَ). ثُمَّ أَنْشَدَ: (من البسيط التام) (والأبيات لي بالطبع)

هَيْفَـاءُ يَـا حُلْـوَتِي تَمْشِـي بِـلَا خِصْـرِ
عَجْـزَاءُ إِنْ أَدْبَـرَتْ، كَالشَّـمْسِ فِي الخِـدْرِ
دَعْجَـاءُ، يَـا حسنَها، عَيْنِـي لَهَـا تَبِعَـتْ
ضَـوءُ النَّهَـارِ اجـتَلَى، فَالوَجْـهُ كَالبَـدرِ
حَـازَتْ عيـونَ المَهَـا فالحُسْـنُ مَعـدِنُها
لَبَّيـكِ يـا حُلـوَتِي، مَكنـوزَةَ الصَّـدرِ
تَمشِـي كَسَـيلِ النَّقَـا والـرِّيحُ تَـدفعُها
خِصْـرٌ لهـا يَنحَنِـي دِفْـلَى عـلى نَهْـرِ

اللطيفة التاسعة

"بعضُ النَّاسِ كَالجُّعَلِ"

قُلْتُ فِي إحْدَى مَقْطُوعَاتِي الشِّعْرِيَّةِ، أَذْكُرُ فِيهَا جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يُوصَفُونَ باللَّجَاجَةِ، وَسُوءِ الْعِشْرَةِ والمُصَاحَبَةِ، وَالْإِلْحَاحِ فِي تَحْصِيلِ أَمْرٍ لَا يَكُونُ:

وَبَعْضُ النَّاسِ فِي المَطْلِ ... تَلُفُّ الْأَرْضَ كَالْجُعَلِ

تُدَحْرِجُ بَيْنَ أَلْسُنِهَا ... كَلَامَ الرَّيْبِ وَالخَطَلِ

لَجُوجٌ فِي مُحَادَثَةٍ ... وَكَالحِرْبَاءِ فِي الخَتَلِ

إِدَامُ الْعَقْلِ مِنْ فِكَرٍ ... دَوَامُ الْعَيْشِ بِالْأَمَلِ

المعنى: المَطْلُ: مَطَل فلاناً حقَّه وبحقِّه: أَجَّلَ موعدَ الوفاءِ به مرّةً بعد الأُخرى. الجُعَلُ : حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع النَّدِيَة، يلفُّ الطينَ برجليهِ حينما يسير ويدحرجهُ. وقد استعرتُ هذا العملَ لخطلِ اللسانِ وثرثَرَتِهِ عندَ بعضِ الناسِ. فكأنهم يدحرجون كلامَ الرَّيبِ وهو الظَّنُّ والشكُّ والتُّهمةُ، والخَطَلُ : الكلامُ الفاسدُ الكثيرُ المضطَرِبُ. الخَتْل أَي الخِدَاع. وقد حُرِّكتِ التاءُ للضرورةِ الشِّعرية.

أَكْتُبُ هَذِهِ السُّطُورَ وَفِي بَالِي أَحَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُهُمْ بِالْجُعَلِ، مِنْ شِدَّةِ لَجَاجَتِهِمْ. كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ، وَطَلَبَ مِنِّي أَمْرًا ظَنًّا مِنْهُ أَنَّنِي قَادِرٌ عَلَى إِمْضَائِهِ وتَأْدِيَتِهِ.

أَخَذَ يَتَّصِلُ بِي صَبَاحَ مَسَاءَ، يُكَرِّرُ الطَّلَبَ مِرَارًا، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ أَعْتَذِرُ مِنْهُ بِأَنَّ الحَلَّ لَيْسَ مَعِي وَلا بِقَادِرٍ عَلَيْهِ. لَجَّ فِي الْأَمْرِ كَثِيرًا، وَحَاوَلَ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ، حَتَّى مَلِلْتُ وَضَجِرْتُ مِنْه، فَتَذَكَّرْتُ حَيَوَانًا مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ يُسَمَّى "الجُعَلُ". جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فِي تَعْرِيفِ هَذَا الحَيَوَانِ بِأَنَّهُ: دَابَّةٌ سَوْدَاءُ مِنْ دَوَابِّ الأَرْضِ، قِيلَ: هُو أَبو جَعْرانِ، بِفَتْحِ الْجِيمِ، وَجَمْعُهُ جِعْلانٌ. وَقَد جَعِلَ الماءُ، بِالْكَسْرِ، جَعَلاً أَي كَثُرَ فِيهِ الجِعْلانُ. وَأَرضٌ مُجْعِلَةٌ: كَثِيرَةُ الجِعْلانِ. وَفِي الحَدِيثِ: كَمَا يُدَهْدِهُ الجُعَلُ بأَنْفِهِ؛ هُوَ حَيَوَانٌ مَعْرُوفٌ كَالخُنْفُسَاءِ. وَيُقَالُ للجُعَلِ أَبو وَجْزةٍ بِلُغَةِ طيِّء.

وَرُبَّمَا يُوصَفُ الرَّجُلُ الأَسْوَدُ الدَّمِيمُ تَشْبِيهًا بِالْجُعَلِ، فَنَقُولُ: رَجُلٌ جُعَلٌ. وَقِيلَ: هُوَ اللَّجُوجُ، لأَنَّ الجُعَلَ يُوصَفُ باللَّجَاجَةِ، يُقَالُ: رَجُلٌ جُعَلٌ. وأَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ:

إِذا أَتَيْتُ سُلَيْمى ، شَبَّ لِي جُعَلٌ

إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي يَصْلى بِهِ الجُعَلُ

قَالَه رَجُلٌ كَانَ يتحدَّثُ إِلى امرأَةٍ، فَكُلَّمَا أَتَاهَا وَقَعَدَ عِنْدَهَا صَبَّ اللهُ عَلَيْهِ مَنْ يَقْطَعُ حَدِيثَهُمَا. وَفِي الحَدِيثِ: (لَا تَفْتَخِرُوا بِآبَائِكُمْ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَمَا يُدَهْدِهُ الجُعَلُ بِمَنْخَرَيْهِ، خَيْرٌ مِنْ آبَائِكُمْ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ).

اللطيفة العاشرة

"متى تَكْتُبِ الشِّعْرَ؟"

سَأَلَنِي : مَتَى تَكْتُبُ الشِّعْرَ فِي يَوْمِكَ، أ فِي الصَّبَاحِ يَكُونُ هَذَا، أَمْ فِي المَسَاءِ؟ سُؤَالٌ وَجِيهٌ، جاءَني مِنْ صَدِيقٍ، مُتَذَوِّقٍ لِلشِّعْرِ، وَلَيْسَ بِشَاعِرٍ.

قُلْتُ فِي جَوَابِي لَهُ: أَنْسَبُ وَقْتٍ لِكِتَابَةِ الشِّعْرِ، بِالنِّسْبَةِ لِي، هُوَ حِينَمَا يَمُدُّ الْفَجْرُ أَوَّلَ خُيُوطِهِ، فَأَتَوَسَّلُ بِالشَّمْسِ كَيْ تُرْجِئَ بُزُوغَهَا قَلِيلًا حَتَّى أُتِمَّ قَصِيدَتِي، لِأَنَّنِي وَلِسَبَبٍ أَجْهَلُهُ، أَجِدُ أَنَّ هَذَا الْوَقْتَ مِنْ يَوْمِي هُوَ أَفْضَلُ وَقْتٍ لاسْتِدْرَارِ الْمُخَيَّلَةِ، وَاسْتِدْرَاجِ الْمَشَاعِرِ، وَاسْتِدْعَاءِ شَيْطَانِ الشِّعْرِ، بَعْدَ رَحِيلِ مَلَائِكَةِ الصَّلَاةِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَيُلَبِّي عَلَى الْفَوْرِ دُعَائِي. أَجِدُ نَفْسِي فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ، قَادِرًا عَلَى الِاسْتِرْسَالِ وَإِتْمَامِ المَعْنَى، وَبِنَاءِ قَصِيدَتِي بِنَاءً رَصِينًا، تَتَنَاغَمُ فِيهَا الْكَلِمَاتُ مَعَ المَعَانِي، وَتَتَرَاصَفُ فِيهَا كُلُّ المُقَوِّمَاتِ مِنْ لُغَةٍ وَبَيَانٍ وَفَصَاحَةٍ وَعَرُوضٍ وَنَحْوٍ وَصَرْفٍ، ومُوسِيقَى الصَّبَّاحِ تَعْزِفُ فِيهَا أَجْمَلَ الْأَلْحَانِ، فَتَأْتِي بِأَبْهَى صُورَةٍ، وَأَكْمَلِ مَعْنَى. فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْيَوْمِ، يَكُونُ الذِّهْنُ صَافِيًا، مُرْتَاحاً، كَانَ قَدْ نَفَضَ عَنْ كَاهِلِهِ أَثْقَالَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ السَّابِقِ، فَخَفَّ، وَهَفَّ، وَدَفَّ، فَتَهَادَرَتِ المَعَانِي النَّقِيَّةُ الصَّافِيَةُ مِنْهُ كَقَطَرَاتِ النَّدَى الصَّبَاحِيَّةِ عَلَى تُوَيْجَاتِ الزُّهُورِ الخَجُولَةِ. أَجِدُنِي فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ نَبِيًّا، يُوحِي إِلَيَّ مَلَاكُ الشِّعْرِ أَرْقَى وأَنْبَلَ المَعَانِي حِينَمَا أَنْظِمُ أَبْيَاتًا تَمْتَدِحُ الْكَوْنَ وَخَالِقَهُ، وَالْإِنْسَانَ وَبَارِئَهُ، وَالرِّيَاضَ وَفَارِعَهَا، وَالسَّمَاءَ وَرَافِعَهَا،

وَالْأَنْبِيَاءَ وَمُرْسِلَهَا، فَأَبْتَنِيَ قَرِيضاً يَلِيقُ بالمَمْدُوحِ، وَيُزْرِي بِالمَقْدُوحِ، وَأُحَقِّقُ مَا جَاءَ فِي آيَةِ الشُّعَرَاءِ، فَأَكُونُ مِمَّنْ اسْتَثْنَتْهُمُ الْآيَةُ بِقَوْلِهَا ((إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)). فَلَا يَغُرَّنَّكَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الشُّعَرَاءَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ؟ وَلَا تَظُنَّنَ أَنَّنِي لَا أُجِيدُ النَّظْمَ فِي المَسَاءِ، فَأَنَا أَتَحَدّثُ عَنْ أَفْضَلِ الْأَوْقَاتِ لِكِتَابَةِ الشِّعْرِ، وَلَيْسَ الْوَحِيد. قلتُ في هذا المعنى (من الوافر):

وَيَسْأَلُنِي الصَّدِيقُ بِأَيِّ وَقْتٍ ... يَكُونُ النَّظْمُ، أَمْ هَذَا هُرَاءُ؟

صَدِيقِي، لَا أَرَاكَ اللهُ شَرًّا ... فَهَذَا الْفَجْرُ تَرْسِمُهُ السَّمَاءُ

بِحَيْثُ الشَّمْسُ لَمْ تَهْنَأْ بِصُبْحٍ ... وَوَجْهُ الصُّبْحِ أَوَّلُهُ ضِيَاءُ

يَكُونُ الذِّهْنُ فِي هَذَا صَفِياً ... فَوَحْيُ الشِّعْرِ يَسْبِقُهُ الصَّفَاءُ

وَشَيْطَانُ المَشَاعِرِ يَعْتَرِينِي ... وَمَا ذَنْبُ المَشَاعِرِ إِذْ تُسَاءُ

وَيَأْتِينِي المَلاكُ بِوَحيِ شِعْرٍ ... بِمَا يُرْضِي الْإِلَهَ، وَمَا يشاءُ

وَهَذَا الْوَقْتُ يُلْهِمُنِي قَرِيضاً ... فَانْفُضُ مَا يُعَكِّرُهُ المَسَاءُ

رَسولُ الشِّعْرِ شَيْطَانٌ وَوَحْيٌ ... فَمِنْ هَذَا وَذَا يَأْتِي النِّدَاءُ

اللطيفة الحادية عشرة

"خرافةُ قصيدةِ النثرِ"

كُنْتُ أَتَصَفَّحُ بَعْضَ (قَصَائِدِ النَّثْرِ)! فَوَجَدْتُهَا قَدْ وُلِدَتْ وَهِيَ مَيْتَةٌ، فاستَغربتُ مِنَ الْبَعْضِ يُسَمُّونَهَا بِالْقَصَائِدِ وَهِيَ كَلَامٌ مَنْثُورٌ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْخَيَالِ والرَّمزيةِ.

قَالَ لِي أَحَدُ الشُّعَرَاءِ فِي مدينَتي وَالَّذِي كَتَب الْعَمُودَ، وبَعْدَ لأيٍ تَحَوّل إِلَى كِتَابَةِ مَا يُسَمُّونَهُ (قَصِيدَة النَّثْرِ)، قَال : حَاوِلْ أَنْ تُطَوِّرَ مِنْ أُسْلُوبِ كِتَابَةِ الْقَصَائِدِ، لَا تَعكِفْ عَلَى كِتَابَةِ الْقَصِيدَةِ العَمُودِيَّةِ وَتَنْسَى كِتَابَةَ قَصِيدَةِ النَّثْرِ الحَدِيثَةِ، الدُّنْيَا تتطورُ. قلتُ لَه : يَا شَاعِرَنَا، وَهَل هُنَاكَ شَيْءٌ اسْمُهُ قَصِيدَةُ النَّثْرِ؟ إِمَّا أَنْ تَكُونَ قَصِيدَةً أَوْ أَنْ تَكُونَ نَثْرًا، إِمَّا أَنْ نُمازجَ بَيْنَ الْفَنَّيْنِ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيَ أَحَدَهُمَا بِاسْمِ الْآخَرَ. لِكُلٍّ مِنْهما شَخْصِيَّتُهُ التي يتميزُ بها. قَال : لَا بُدَّ أَنْ تَقْرَأَ الشِّعْرَ الْحَدِيثَ، وَخُذْ مِثَالًا، عَلَيْكَ أَنْ تَقْرَأَ لِلشَّاعِرِ السوريّ "أدونيس". الدُّنْيَا تتطورُ. قُلْتُ: فالتطورُ يَجِبُ أَنْ يَهْدِمَ التَّارِيخَ وَالْقَدِيمَ؟ الشِّعْرُ العَرَبِيُّ الْعَمُودِيُّ، الْفَصِيحُ، مِنْ أَكْثَرِ وأفخرِ إنجازاتِ الْعَرَبِ، عَاشَ مِئاتِ السِّنِين، وَبَقِي صَامِداً، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ الشّعْرُ الحُرّ مُنْتَصَف القَرْنِ العِشْرِينَ وَحَاوَلَ الشُّعَرَاءُ تَفْكِيكَهُ، وَتَسْهِيلَه، وَلَا بَأْسَ بِهَذَا العَمَلِ عَلَى أَنْ لَا نهدِمَهُ، أَو نَدْعُو عَلَى المَنَابِرِ عَلَيْهِ ومحارَبَتِهِ. يُمْكِنُنَا تَطوير أَغْرَاضِهِ بِمَا يتلائم مَع متطلباتِ الحَدَاثَةِ، والتَّطَوُّر، كَالَّذِي حَدَثَ مِنْ تَطَوُّرٍ

بِالصُّوَرِ الشِّعْرِيَّة مِنْ وَصْفِ مَا فِي الصَّحْرَاءِ مِنْ نَاقَةٍ وَخَيْمَةٍ، ورمالٍ، وتفاخُرٍ بالسَّطوةِ وَالْقُوَّةِ وَغَيْرِهَا في العصرِ الجاهليّ، إلَى وَصْفِ الطَّبيعَةِ وَالْغَزَلِ فِي الْعَصْرِ العَبَّاسِيِّ مَثَلًا، وَمِنْ ثَمَّ التَّطَوُّر إلَى أَغْرَاض أُخْرَى مِثْل التَّغَنِّي بِالْوَطَن. لَا يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيَ الْقَصِيدَة بِهَذَا الِاسْمِ حَتَّى تَتَّبِعَ معاييرَ خَاصَّة، وُضِعَتْ قَدِيمًا وأعطت جَمالِيَّةً وَرَصَانَةً، وَحَلَاوَةً، وَطَلَاوَةً لَهَا عَلَى مَرِّ التَّارِيخ. لِلشّعْرِ معاييرُهُ، وللنثرِ معاييرُه، وَلَابُدَّ مِنْ احْتِرَامِ هَذَا الدُّسْتُورِ، لَا إنْ نُلْغِيهِ مِن الْأَسَاس. أَمَّا مَا يُكْتَبُ الْيَوْمَ مِنْ كَلَامٍ مَنْثُورٍ فِيهِ مِنْ الْخَيَال وَالصُّوَرِ الشِّعْرِيَّة، فَلَا يَجِبُ أَنْ نُسَمِّيَهُ بِأَكْثَرَ مِنْ " نَصّ نثري" لَا قَصِيدَة. وَلَا اقْصِدُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، بِالطَّبْع، قَصِيدَةَ التَّفْعِيلَةِ، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ مُشْتَقَّةً مِنَ الشّعْرِ الْعَمُودِيّ، وَتَتبَعُ أَوْزَانَ الْخَلِيلِ، وَفِيهَا مُوسِيقَى شِعريَّةٌ، فَهِيَ لَا تَنْدَرِجُ تَحْتَ اسْمِ قَصِيدَةِ النَّثْر، وهو الْمُصْطَلَحُ الجَدِيدُ، الَّذِي بِتْنَا نَسْمَعُهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَبَدَأ الشُّعَرَاءُ بالتشبُّثِ بِه اخْتِصَارًا لِلْوَقْتِ، وَسُرْعَةً فِي النَّظْمِ، وابتعاداً عَن صُدَاعِ التَّفعيلاتِ المعقدَةِ، فَأَصْبَحْنَا نَقْرَأ كُلّ فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ بِأَنَّ الشَّاعِرَ الْفُلَانِيّ قَد أَصْدَرَ دِيوَانًا بِاسْمٍ رَنَّانٍ، يَصْدَعُ رَأْس الْأَدَبِ بِهِ، وَلَوْ جَمَعْتَ مَا فِيهِ مِنْ كَلَامٍ، فَلَنْ تَجِدَ غَيْرَ مَقْطُوعَاتٍ نَثْرِيَّةٍ، قَدْ تَكُونُ جيدةً فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِصُورَتِهَا ورمزيَّتِها، وَقَد تَقْرَأُهَا وَتَخْرُجُ دُونَ أَنْ تَهْتَدِي لِمَا أَرَادَ وَقَصَدَ الْكَاتِبُ مِنْهَا. وَهُنَاك كَلَامٌ كَثِيرٌ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ نبحثُهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ بِإِذْنِ الله. دَفَعَنِي هَذَا إلَى كِتَابَةِ قَصِيدَةٍ أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَهَا بِطُولِهَا هُنَا، قلتُ : (من مَجْزُوء الرمل)

صَـدَّعُوا رَأسَ الفَصيحِ ... حـينَ صَـاغُوا الشِّـعرَ نَثـرا
هُـــوَ نَثـــرٌ لا قَصـــيدٌ ... كيـفَ نَثـرٌ صَـارَ شِـعْرا؟
هـل قَصـيدٌ دونَ بَحْـرٍ؟ ... أمْ نَحَلـتَ اليَـومَ بَحـرا
هـابِطَ الشِّـعرِ يُسَـمّى ... لا قَصِـــيداً، يُتَحَـــرّى
عـــاجِزٌ يَـــأوي إلَيـــهِ ... حـــينَ ذَاقَ العَجـــزَ مُـــرَّا
كيـفَ أَنزَلْـتَ الثُّرَيّـا ... في الثَّـرَى والأَمـرُ تَـترَى
قُلـتَ: إنَّ الغَـربَ يَرقَـى ... في فُنُـونِ الشِّـعرِ، فَخـرَا
سُقْتَ "دُونيسَ" مِثَالًا ... كـــانَ في العَـــالَمِ ثَـــرّا
خَالِبًـا فِكـرَ البَرَايَـا، ... صـارَ نَجـمَ الشِّـعرِ طُـرّا
تلـكَ أَصـوَاتٌ تَعالَـتْ ... في سَـمَاءِ الشِّـعرِ دَهْـرَا
يَـزدَرِي شِـعراً مُقَفَّـى ... يَـدَّعِي وَصْـلًا بِـأُخرَى
إنْ مَضَـتْ لَـيلاكَ هَجرًا ... إنَّ في دُنيـــاكَ بَـــدرا
قُلتَ: إنَّ الـدَّهرَ يَمضِـي ... صـارَ نَظـمُ الشِّـعرِ حُـرَّا
مُسْـرِعَ الخُطواتِ يَجري ... مـا لنَـا نَجفُـوهُ كِـبْرا
لـيسَ بِـدْعًا أنْ نُعَـرّى ... كُلَّـمَا الغَـرْبُ تَعَـرّى

لـيسَ بِـدْعًا أنْ نُجَـاري ... سـادَةَ العَـالَمِ جَـوْرا
أيَّ مَعنًـى نَرْتَجيـهِ ... مِـنْ خَيَـالٍ جَـاءَ قَسْـرا
بـئسَ مـا صِرنَـا إليـهِ ... نَحتَـذِي نَعـلًا تَهَـرّا
نُطلِـقُ الأسـما جُزَافًـا ... صَـارَ نَقـعُ الأرضِ تِـبرَا
تَمـدَحُونَ الشِّـعرَ جَهـرًا ... ثُـمَّ تَغتَـالُونَ سِرّا

اللطيفة الثانية عشرة

بُسَلَاءُ وَبَوَاسِلُ

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ (قل وَلَا تقل) للدكتور مُصْطَفَى جَوَاد (رحمه الله)[٥]، بِأَنَّ جَمْعَ بَاسِل أَو بَسِيْل هُو (بُسَلاَءُ) أَو (باسِلُونَ) وَلَيْسَ (بَوَاسِلُ)، كَمَا نَسْمَعُه يَوْمِيًّا . وَالسَّبَبُ فِي هَذَا ، أَن بَاسِل عَلَى وَزْنِ فَاعِل، تُجْمَعُ عَلَى فُعَلَاء، مِثْل شَاعِرٌ : شُعَرَاء ، فَاضِلٌ : فُضَلَاء. وَيُمْكِنُ أَنْ تَجْمَعَ بَوَاسِل لِغَيْرِ الْعَاقِلِ، أَو لِلْمُؤَنَّث. وَلَمْ يَذْكُرْ صَاحِبُ كِتَابِ لِسَانِ الْعَرَبِ بَوَاسِل وَإِنَّمَا بسلاء أَو بُسْلٌ. لِذَا، نَقُول : ضُبّاطٌ أَو جنودٌ بُسَلَاءُ أَو بَاسِلُون، وَلَيْس بَوَاسِل. وَنَقُولُ : نِسَاءٌ بَوَاسِلٌ، وَأُسُودٌ بَوَاسِلٌ. قُلْتُ فِي هَذَا المَعْنَى بَيْتًا من الشِّعْرِ، يَجْمَع المَعْنَيَيْن أَو الِاسْتِعْمَالَيْن فِيه :

بُسَلَاءُ مِنْ قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ أُسُـــودٌ إِلَى الهَيْجَاءِ ، ثُمّ بَوَاسِلُ

فَكَانَت بسلاء مِنْ نَصِيبِ أَبْنَاءِ قَوْمِي، أَمَّا الْأُسُودُ فوَصَفْتُها بالبواسِلِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ، وَلَيْس لِلنِّسَاء نَصِيبٌ فِيهَا، رُبَّمَا فِي المَرَّاتِ القَادِمَة.

---

[٥] مصطفى جواد (١٩٠٤ - ١٧ ديسمبر ١٩٦٩) لغوي ومؤرخ عراقي. ولد في بغداد. كان والده خيّاطًا عُمِي فنشأ ابنه فقيرًا محرومًا. تعلّم في بغداد والقاهرة ثمّ في جامعة السوربون في باريس. عمل مدرّسًا في مختلف مراحل التعليم، آخرها دار المعلّمين العالية. وكان عضوًا في المجمعين العربيين في دمشق وبغداد. توفّي في بغداد. يُعَد أحد علماء العربية البارزين في العراق والذين خدموا اللغة العربية وأسّسوا قواعدها. له مؤلفات حول سُبُل تحديث اللغة وتبسيطها، واشتهر لدى عامة الناس بسبب برنامجه التلفازي والإذاعي اللغوي الشهير"قل ولا تقل"، الذي تم إصداره لاحقا في كتاب.

اللطيفة الثالثة عشرة

"بَانَتْ سُعَادُ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيّ"

بَانَتْ سُعَادُ، نَامَتْ سُعَادُ، جَاءَتْ سُعَادُ، أَكَلَتْ سُعَادُ، وَهَكَذَا. كُلُّ مَا فَعَلْتْ سُعَادُ تَمّ تَسْجِيلُهُ فِي أَدَبِنَا الْعَرَبِيّ الخَالِدِ. فَمَنْ ذِي سُعَادُ يَا تُرَى؟

سُعَادُ هيَ شَخْصِيَّةٌ وَهميةٌ، اتَّخَذَهَا الشُّعَرَاءُ مِنْ مَحْضِ خَيَالِهِمْ، يُحادثونَها بآلامِهِمْ، وَيَشْكُونَ أَمَامَهَا غَدْرَ الزَّمَانِ، أَوْ صَبَابَةَ الْخِلَّانِ، أَوْ قَسْوَةَ الحَدَثَانِ. ولَعَلَّ مِنْ أَشْهَرِ الْقَصَائِدِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا سُعَادُ هَذِهِ هِيَ الْقَصِيدَةُ الخَالِدَةُ الَّتِي كَتَبَهَا (كَعْبُ بِن زُهَير)[٦] وَالَّتِي بَدَأَتْ بـ (بَانَتْ سُعَادُ). هَذِهِ اللَّامِيَّةُ الَّتِي سُمِّيَتْ بـ (المِدْحَةُ النَّبَوِيَّةُ)، هِيَ قَصِيدَةٌ مَدَحَ الشَّاعِرُ بِهَا النَّبِيَّ (ص).

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَبْتُولُ

مُتَيَّـمٌ إِثْرَهَـا لَمْ يُفِـدْ مَكبُـولُ

هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْقَصَائِدِ العَمُودِيَّةِ الَّتِي بَدَأَتْ بِـ (بانتْ سعادُ)، لَكِنْ مِنْ أَبْرَزِهَا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ، الَّتِي مَدَحَ الشَّاعِرُ بِهَا رَسُولَ اللهِ(ص). سُمِّيَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ

---

[٦] كعب بن زهير(؟؟؟- ٢٦ هـ = ٦٤٦م) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى، المزني، أبو المضرَّب. شاعر مخضرم عاش عصرين مختلفين هما عصر ما قبل الإسلام وعصر صدر الإسلام. عالي الطبقة، كان ممن اشتهر في الجاهلية ولما ظهر الإسلام هجا النبي محمد، و أقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر دمه فجاءه كعب مستأمناً وقد أسلم و أنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول، فعفا عنه النبي، وخلع عليه بردته.

أَيْضاً بِـ (البُرْدَةُ). وَلَهَا قِصَّةٌ مَعْرُوفَةٌ لَيْسَ هُنَا مَوْضِعُ الحَدِيثِ عَنْها.

وَمِمَّنْ بَدَأَ قَصِيدَتَهُ بـ (بانتْ سُعَادُ)، الْأَخْطَلُ[٧]، حَيْثُ قَالَ:

بانَتْ سُعادُ فَفِي العَينَينِ مَلمُولُ

مِنْ حُبِّهَا وَصَحِيحُ الجِسْمِ مَخبُولُ

فَالقَلْبُ مِنْ حُبِّهَا يَعتادُهُ سَقَمٌ

إِذَا تَذَكَّرْتُهَا، وَالجِسْمُ مَسْلُولُ

وَقَالَ أَيْضاً:

بَانَتْ سُعَادُ فَفِي الْعَيْنَيْنِ تَسْهِيدُ

وَاسْتَحْقَبَتْ لُبَّهُ، فَالْقَلْبُ مَعْمُودُ

الشمَاخُ الذُّبْيَانِيّ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْمُخَضْرَمِينَ الَّذِينَ عَاشُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ.

قَالَ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ مِنْ بَحْرِ الْبَسِيطِ:

بَانَتْ سُعَادُ فَنَومُ العَينِ مَملُولُ

وَكَانَ مِنْ قِصَرٍ مِنْ عَهْدِهَا طُولُ

---

[٧] الأخطل التغلبي ويكنى أبو مالك ولد عام ١٩ هـ، الموافق عام ٦٤٠م، وهو شاعر عربي وينتمي إلى قبيلة تغلب العربية، وكان مسيحياً، وقد مدح خلفاء بني أمية بدمشق في الشام، وأكثر في مدحهم، وهو شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل.

بَيْضَاءُ لَا يَجتَوِي الجِّيرَانُ طَلعَتَهَا

وَلَا يَسُـــلُّ بِفِيهَـــا سَـــيفَهُ القِيـــلُ

ابْنُ نُبَاتَةَ الْمِصْرِيُّ[٨] مِنَ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ تَوَسَّلُوا بِالْقَاضِي فَاسْتَعْمَلُوا سُعَادَ هَذِهِ مَرَّةً أُخْرَى جَرْيًا عَلَى مَا سَارَ عَلَيْهِ مَنْ سَبَقَهُ، فَقَالَ:

بَانَـتْ سُـعَادُ حَقِيقَـةً مِنِّـي وَمَـا رَعَـتِ الْعِصَـمْ

وَشَـقِيتُ بِـالْأَوْلَادِ بَعْضُـهُمُ لِكُـلِّي قَـدْ قَصَـمْ

لَوْلَا نَدَى قَاضِي الْقُضَاةِ لَوَاثِقُ الْقَصْدِ انْفَصَـمْ

الْأَعْشَى يَعُودُ فَيَسْأَلُ سُعَادَ أَنْ لَا تَعَبأَ بِشَيْبِهِ وَصَلْعَتِهِ فَيَقُولُ:

بَانَـتْ سُـعَادُ وَأَمْسَـى حَبْلُهَـا انْقَطَعَـا

وَاحْتَلَّـتِ الغَمْـرَ فَالجُّـدَّيْنِ فَالفَرَعَـا

وَأَنكَرَتْنِـي وَمَـا كَـانَ الَّـذِي نَكِـرَتْ

مِنَ الحَوادِثِ إِلّا الشَيبَ وَالصَـلَعَا

---

[٨] ابن نُباتة (٦٨٦-٧٦٨هـ = ١٢٨٧-١٣٦٦م) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، أبو بكر، جمال الدين، ابن نُباتة: شاعر، وكاتب، وأديب، ويرجع أصله إلى ميافارقين، ومولده ووفاته في مدينة القاهرة، وهو من ذرية الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن نُباتة، ولقد سكن الشام سنة ٧١٥ هـ (تقريباً) وولي نظارة القمامة في مدينة القدس أيام زيارة المسيحيين لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود، ورجع إلى القاهرة (سنة ٧٦١) فكان بها صاحب سر السلطان، وله ديوان شعر و(سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) وغيرها.

أَمَّا النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ فَقَد اِسْتَهَلَّ قَصيدَتَهُ أَيْضًا بِسُعَادٍ حَيْثُ قَالَ:

بانَت سُعادُ وَأَمسى حَبلُها اِنجَذَما

وَاِحتَلَّتِ الشَرعَ فَالأَجزاعَ مِن إِضَما

وَقَالَ عَدِيّ بْنُ الرّقَاعِ :

بَانَـتْ سُـعَادُ وَأَخْلَفَـتْ مِيعَادَهَـا

وَتَبَاعَــدَتْ مِنَّــا لِتَمْنَــعَ زَادَهَــا

وَقَال قَعْنَبُ ابْنُ ضَمْرَةَ[٩]:

بَانَتْ سُـعَادُ وَأَمْسَى دُونَهَـا عَـدْنُ

وَعَلِقَت عِنْـدَهَا مِـنْ قَلْبِـك الـرَّهْن

هَذِهِ نَمَاذِجُ مِنَ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ الَّذِي ابْتَدَأَ بِهَذَا الْمُطْلَعِ اللَّافِتِ لِلسَّامِعِ، فَحُسْنُ الْمُطْلَعِ فِي الْقَصِيدَةِ مِنْ أَسَالِيبِ جَذْبِ الْمُتَذَوِّقِ وَالسَّامِعِ وَإِغْرَاءِهِ بِإِكْمَالِ بَقِيَّةِ الْأَبْيَاتِ. أَغْرَتْنِي هَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ وَسُعَادُ عَلَى السَّوَاءِ، فَاسْتَنْهَضْتُ مَشَاعِرِي، وَقَرِيحَتِي، فَجَرَتْ عَلَى لِسَانِي بَعْضُ أَبْيَاتٍ أَظُنُّهَا تَحْكِي وَاقِعًا لَا نُحْسَدُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَيَّامِ. سُعَادُ هِيَ بِلَادِي الَّتِي انْتُهِبَتْ مِنَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ عَلَى السَّوَاءِ. سَاعَدَهُمْ فِي

---

[٩] من شعراء العصر الأموي. يقال له «ابن أم صاحب» كان في أيام الوليد بن عبد الملك، وله هجاء فيه. من شعره الأبيات التي أولها: «إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا عني، وما سمعوا من صالح دفنوا» وسماه ابن حبيب: «قعنب بن أم صاحب الفزاري» وفزارة من غطفان.

ذَلِكَ الذُّيُولُ الَّذِينَ وُلِدُوا وَعَاشُوا فِي هَذِهِ الْبُقْعَةِ الضَّارِبَةِ فِي الْقِدَمِ، بِلَادِ الرَّافِدَينِ.

قُلْتُ (من بَحْرِ البسيطِ): (بانتْ سُعادُ)[١٠]

بَانَتْ سُعَادُ بِلَادِي مَلَّهَا التَّعَبُ
واحْتَلَّهَا الشَّرْقُ والأَغْرَابُ ، وَانْتَهَبُوا
بَانَتْ سُعَادُ فَكَانَ الْبَيْنُ مَوْعِدَنَا
مِنْ سَالِبِينَ وَمِنْ أَوْغَادَ إِذْ سَلَبُوا
أَوْدَى بِنَا الْغَدْرُ فِي أَوْطَانِنَا فَغَدَتْ
حُمْراً مَرَابِعُنَا، أَقْزَامُنَا غَلَبُوا
نَامَتْ سُعَادُ عَلَى أَنْغَامِ خَيْبَتِهَا
بِالوَافِدِينَ، فَزَادَ الهَمُّ والتَّعَبُ
أَيَّامُنَا الْبِيْضُ فِي بَغْدَادَ قَدْ أَفَلَتْ
سُودٌ لَيَالِيهُمُ، أَقْمَارَهَا غَصَبُوا
يَا مَنْبَعَ الخَيْرِ، لَا تَعْدُوكِ أُمْنِيَتِي
هَامَتْ بِكِ النَّفْسُ، فِي أَنَّاتِهَا نَدَبُ

[١٠] راجع ديواني (حب في وطن ضائع).

هَـل يَنْقَضِـي اللَّيْـلُ، فَـالأَعْمَارُ ذَاهِبَـةٌ

هَـلْ يَعْـرُجُ الْفَجْـرُ فِي أَرْوَاحِنَـا، يَثِـبُ

خَلُّـوْا لَنَـا الْأَرْضَ، فِي ذَرَّاتِهَـا ذَهَـبٌ

أَنْ تَسْمُو بِالنَّفْسِ، ذَاكَ الْكَنْزُ وَالذَّهَبُ

اللطيفة الرابعة عشرة

"وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ"

نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى قَوْمٍ ذَاهِبِينَ فِي وَجْهٍ، فَعَلِمَ أَنَّهُم يَذْهَبُونَ إِلَى وَلِيمَةٍ، فَقَامَ وَتَبِعَهُمْ، فَإِذَا هُمْ شُعَرَاءُ قَدْ قَصَدُوا بَابَ السُّلْطَانِ بمدائح لَهُمْ. فَلَمَّا أَنْشَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شِعْرَهُ وَأَخَذَ جَائِزَتَهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الطُّفَيْلِيّ، وَهُوَ جَالِسٌ، لَا يَنْطِقُ، قِيلَ لَهُ: أَنْشِدْ، فَقَالَ: لَسْتُ بِشَاعِرٍ. قَالُوا: فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : أَنَا مِنَ الْغَاوِينَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيهِمْ: (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ) (الشعراء : الآيَة ٢٢٤)، فَضَحِكَ الْخَلِيفَةُ وَأَمَرَ لَهُ بِمِثْلِ جَائِزَةِ الشُّعَرَاءِ.

كَثُرَ الْحَدِيثُ عَنِ الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ قَدِيمًا وَمَا زَالَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ حِلِّيَةِ كِتَابَةِ الشِّعْرِ وَحُرْمَتِهِ. أَضْحَكَنِي هَذَا النِّزَاعُ كَثِيرًا، وَعَلَى الْخُصُوصِ حِينَمَا يَتَحَدَّث بِهَذَا الْمَوْضُوعِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَرْتَقُونَ مَنَابِرَ الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ، اَلَّتِي أُسَمِّيهَا بِمَجَالِسِ التَّخْرِيفِ وإِفْسَادِ العقولِ، لِأَنَّهُمْ، وَعَلَى الْعُمُومِ، يَنْقُلُونَ الرِّوَايَاتِ الضَّعِيفَةَ وَالْحِكَايَاتِ الَّتِي أُشَبِّهُهَا بِحِكَايَاتِ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ، وَيَعْتَبِرُونَهَا مِنَ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ الْمُسَلَّمِ بِهَا، يُلْقُونَهَا عَلَى مَسَامِعِ الْجَالِسِينَ، وَهِيَ أَلْعَنُ مَنَ الشِّعْرِ الخَلِيعِ. يَصْدَحُ هَؤُلَاءِ بِعَشَرَاتِ الْقَصَائِدِ وَالْأَبْيَاتِ، وَيَجْمَعُونَ مَا تَنَاثَرَ مِنْهَا فِي الشَّتَاتِ، بَل وَيَسْتَفْتِحُونَ خُطْبَتَهُم وَحَدِيثَ وَعْظِهِم بِأَبْيَاتٍ، جَرَتِ الْعَادَةُ عَلَى الِاسْتِهْلَالِ بِهَا، وَالتَّفْرِيعِ عَلَيْهَا، بِغَرَضِ إِيصَالِ الْمَعْنَى الْمَطْلُوبِ، بَلْ وَيَعْتَبِرُونَهَا، أَي الْأَبْيَات

الشِّعْرِيَّة، مِنَ الحُجَجِ الدَّامِغَةِ فِي إِثْبَاتِ حَقِيقَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَكَأَنَّهَا قُرْآنٌ كَرِيمٌ. هَذَا الْأَمْرُ يَكْثُرُ عِنْدَ خُطَبَاءِ بعضِ الفرقِ الاسلاميةِ. أَلَّفَ الأَمِيني[11] مَوْسُوعَةً طَوِيلَةً وَعَرِيضَةً مِنْ أَحَدَ عَشَرَ مُجَلَّدًا، ضَمَّنَ فِيهَا قَصَائِدَ الشُّعَرَاءِ مِنَ الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُولَى حَتَّى عَصْرِنَا هَذَا، وَالَّذِينَ ذَكَرُوا فِي ثَنَايَا قَصَائِدِهِمْ حَادِثَةَ الغَدِيرِ(غَدِيرِ خُمٍّ)، والَّتِي يَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى أَحَقِّيَّةِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ فِي الْخِلَافَةِ. وكثيرٌ من هؤلاءِ الشعراءِ كانوا يمدحونَ بني أميَّةَ أو بني العباسِ، أو كتبوا الشعرَ الخليعِ، ومنهم حسانُ بنُ ثابت. وَهُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الشَّوَاهِدِ لَيْسَ هُنَا مَحَلُّ ذِكْرِهَا وَإِلَّا طَالَ الْحَدِيثُ بِنَا. حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الزُّهَّادِ أَنَّهُ كَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِبَيْتِ شِعْرٍ، وَلَمَّا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: لَا أُحِبُّ أَنْ أَرَى فِي صَحِيفَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْتَ شِعْرٍ !

مَا يُهِمُّنَا فِي هَذَا السَّرْدِ هُوَ هَلْ الشِّعْرُ حَرَامٌ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ الِاسْتِدْلَالُ عَنْ طَرِيقِ الْقُرْآنِ عَلى حُرْمَةِ كِتَابَةِ وَقَوْلِ الشِّعْرِ؟

وَبَعْد الْبَحْثِ فِي كُتُبِ التَّفسِيرِ، وَجَدْتُ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَعْدُو هَذِهِ الْأَوْجُهِ: أَنَّ المَذْمُومَ مِنَ الشِّعْرِ هُوَ مَا جَاءَ مِنْ شُعَرَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ المَطْلُوبَ هُوَ نَفْيُ صِفَةِ الشِّعْرِيَّةِ عَنِ الْقُرْآنِ وَالشَّاعِرِيَّةِ عَنِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ. وَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ فِي هَذَا أَنَّ

---

[11] هو عبد الحسين بن أحمد الأميني التبريزي النجفي، ولد عام ١٣٢٠ هـ في تبريز الإيرانية، وهو رجل دين ومُؤلّف شيعي، ويُلقّب بالعلامة الأميني، واشتهر بتأليف موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب الذي ناقش فيه قضية الغدير ودوّن كثيراً مما يرتبط بذلك من الأحاديث والشعر مع تراجم للشعراء الناظمين حول الغدير.

الْمِقْيَاسَ، وَأَعْنِي مِقْيَاسَ الحُرْمَةِ وَالحِلِّيَّةِ هُوَ ذَاتُ الْمِقْيَاسِ الْمُسْتَخْدَمِ فِي وَزْنِ الْكَلَامِ الْعَادِي الَّذِي لَيْسَ بِشِعْرٍ، مِنْ حَيْثُ الْقُبْحُ وَالحُسْنُ. فَيُحَاسَبُ الشَّاعِرُ عَلَى مَا يَقُولُهُ وَلَيْسَ لِأَنَّهُ شَاعِرٌ، لِأَنَّ الشِّعْرَ مِنَ الْقَوْلِ، فَمَا كَانَ حَسَنًا فَبِهَا وَلَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ بَلْ يُؤْجَرُ، وَمَا كَانَ قَبِيحًا يَتَنَاوَلُ الهِجَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوِ المَدْحَ الْمُفْرِطَ لِمَآرِبَ دُنْيَوِيَّةٍ، كَالَّذِي فَعَلَهُ كَثِيرٌ مِنْ الشُّعَرَاءِ الْكِبَارِ أَمْثَالَ الْمُتَنَبِّي وَشَوْقِي والجَّوَاهِرِيّ وَمِئَاتٍ أَمْثَالِهِم، فَهَذَا يَرْفِضُهُ الشَّرْعُ وَالضَّمِيرُ وَرِسَالَةُ الشِّعْرِ السَّامِيَةُ. وَهُنَاكَ أَغْرَاضٌ شِعْرِيَّةٌ كَالْغَزَلِ غَيْرِ الْعَفِيفِ أَوِ الخَلِيعِ، وَهَذَا مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي يَمْنَعُهُ الشَّرْعُ، وتَأْبَاهُ القَرَائِحُ العَفِيفَةُ، لِأَنَّهُ مِنَ الْقَوْلِ الْفَاحِشِ وَهَكَذَا. وَخَيْرُ مِثَالٍ على ذلكَ مَا جَاءَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي رَوَتْهَا كُتُبُ الْحَدِيثِ عَن عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ –صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم– كثيراً مَا يَقُولُ : " أبياتك" ، فَأَقُولُ:

إِرْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَجِرْ بِكَ ضَعْفُهُ
يَوْمًا فَتُدْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَى !
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنَّ مَنْ
أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى !

قُلْتُ فِي هَذَا المَعْنَى (مِنَ الكَامِلِ):

وَصُنِ اللِّسَانَ عَنِ الفَوَاحِشِ وَالخَنَى
وَكَذَا بِشِعْرِكَ فَلْتَكُنْ مُتَيَقِّنَا

لَــكَ فِي الْمَقَــالِ أَوِ الْقَصِــيدَةِ وَازِعٌ
فَـالْأَمْرُ مَـا جَـرَحَ اللِّسَـانُ أَوِ اِجْتَنَـى

وَقَفُـوا بِبَـابِ الْمُلْـكِ، غَايَـةُ مَـدْحِهِمْ
وَضَرٌ، بِأَعْتَـابِ الطُّغَـاةِ، وَمَـا دَنَـا

نَهِجُـوا سَـبِيلَ الْغَـيِّ، فِي صَـفَحَاتِهِمْ
خَطَلَ الْقَرِيضِ، فَكَانَ مَوْضِعُهُ الخَنَى

عُظَـمَاءُ فِي مَـدْحِ الخَلَائِـقِ كُلَّـمَا
هَتَفَـتْ رِيَـاحُ المَـدْحِ جَـاءَ مُحَسِّـنا

وجَمِيـلُ مَـا تُلْقِـي المَشَـاعِرُ مَطْلَـبٌ
فَـانْثُرْ مِـنَ الـدُّرَرِ الْكَـلَامَ، هُـوَ السَّـنَا

وَانْظِـمْ مِـنَ الجُمَـلِ الْقَـرِيضَ قَلَائِـداً
قَلِّـدْ بِهَـا جِيـدَ الْكِـرَامِ تَيَمُّنَـا

وَلَقَدْ صُدِعْنَا بَالقَصَائِـدِ أَدْهُـراً
هَذَا عَظِيمُ الشِّعْرِ صَـارَ مُهَيْمِنَـا

فَـاكْفُفْ عَـنِ المَدْحِ الـرَّخِيصِ فَشَـأْنُهُ
فِي خَانَـةِ التَّهْـرِيجِ، بَـاتَ مُهَجَّنَـا

اللطيفة الخامسة عشرة

"الأطعمة والدعوات"

دَعَانِي صَدِيقٌ لِي فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْقُرِّ [١٢]، وَالشِّتَاءِ الصِّرِّ [١٣]، جَمَدَتْ فِيهِ أَوْرَاقُ الشَّجَرِ، وَضَعُفَ فِيهِ دَأَبُ الْبَشَرِ، فِي لَيْلَةٍ جُمِعَ فِيهَا سِحْرُ الظَّلَامِ وَهُوَ يَحْضِنُ ضَوْءَ الْقَمَرِ. وَكَانَ الطَّعَامُ فِي دَارِهِ أَعَدَّهُ لِضَيْفٍ طَرَقَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَكَانَ مِنْ أَلَذِّ أَطْعِمَةِ (القِرَى) [١٤]، وَأَطْعَمَ (تُحْفَةٍ) [١٥]قُدِّمَتْ لِزَائِرٍ فِي اللَّيْلِ مِنَ (التُّحَفِ). كُنْتُ قَبْلَ هَذَا لَا أُجِيبُ دَعْوَةَ (المَآدِبِ) إِلَّا (مَأْدُبَةً) [١٦]يَصْنَعُهَا وَيَدْعُونِي إِلَيْهَا أَحَدُ أَوْلَادِي، أَوْ إِحْدَى بَنَاتِي، سَوَاءٌ أَكَانَتْ (خُرْساً) [١٧]أَو (عقيقة) [١٨]أَو (عَذِيرَةً) [١٩]وَلَا (الوَلَائِمَ) [٢٠]الَّتِي يُقِيمُهَا أَهْلُ الْحَيِّ الَّذِي أَنْتَمِي إِلَيْهِ مَهْمَا كَانَ الدَّاعِي إِلَيْهَا. أَمَّا (الوَضَائِمُ) [٢١] فَلَا أَجِدُ نَفْسِي تَطِيبُ لَهَا أَوْ لِحُضُورِهَا، لِأَنَّ (الوَضِيمَةَ) لَا تُصْنَعُ إِلَّا

---

[١٢] القُرُّ: البَرْدُ

[١٣] الصِّرُّ: شِدَّةُ البَرْدِ

[١٤] القِرى: طعامُ الضيفِ

[١٥] التُّحفةُ: طعامُ الزائرِ

[١٦] مأدُبَةٌ: طعام الدعوةِ

[١٧] الخُرسُ : الطعام الذي يصنع للمولود

[١٨] العقيقة: الطعام الذي يصنع عند حلق شعر المولود

[١٩] العَذيرةُ: الطعام الذي يصنع عند ختان الوليد

[٢٠] الولائم جمع وليمة: الطعام الذي يصنع للعرس.

[٢١] الوضائمُ جمع وضيمةُ: وهو الطعام الذي يعد في المآتمِ.

مِنْ نَفْسٍ هَدَّهَا غِيَابُ الْحَبِيبِ، أَوْ أَوْجَدَهَا رَحِيلُ الْقَرِيبِ. وَبَيْنَ هَذِهِ وَتِلْكَ، أَلْفَيْتُ نَفْسِي تَطِيبُ وَهِيَ تَتَشَارَكُ مَعَ الْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ، وَالأَغْرَابِ وَالأَقْرَابِ، وَالْجِيرَانِ وَالْأَنْسَابِ، فِي (خُرْسٍ) صُنِعَ لِأَجْلِ مَوْلُودٍ جَدِيدٍ، يُهَنِّئُ فِيهِ الْحَاضِرُونَ الْوَالِدَ وَالْمَوْلُودَ لَهَا بِالسَّلَامَةِ بَعْدَ مَخَاضٍ عَسِيرٍ. وَتَسْتَطِيبُ النَّفْسُ طَعَامَ (العَقِيقَةِ) بَعْدَ حَلْقِ الرَّأْسِ الصَّغِيرِ، وَالتَّصَدُّقِ بِوَزْنِه ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً، وَإِعْدَادِ طَعَامٍ يُدْعَى لَهُ خُلَّصُ الْأَهْلِ وَالْأَقْرِبَاءِ، وَجُلُّ الْأَصْدِقَاءِ. تتَدَرَّجُ الْحَالُ وَيُكْبُرُ الصَّغِيرُ، حَتَّى يَحِينَ أَوَانُ الْخِتَانِ، فَيَجْتَمِعُ الْخِلَّانُ، وَتُصْبِحُ (العَذِيرَةُ) كَأَخَوَاتِهَا مِنَ الْخُرْسِ وَالْعَقِيقَةِ بَعْدَ أَنْ يَحِينَ الْأَوَانُ، فَتَطِيبُ اللَّمَّةُ[٢٢]، وَيَتَفَرَّقُ الجَمْعُ بَعْدَ التَّلَذُّذِ بِأَنْوَاعِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. وَحَالَمَا وَصَلْنَا إِلَى الدَّارِ، فَإِذَا مَنْ نَأَى عَنَّا وَقَدْ وَصَلَ للتَّوِّ، بَعْدَ سَفَرٍ طَالَ، كَي يَنَالَ الدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ، وَهَا هُوَ يَقْدِمُ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ، وَكَانَ قَدْ وَاصَلَ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ، وَلَا بُدَّ مِنْ (نَقِيعَةٍ) [٢٣] يُعَلِّلُ بِهَا وَطْأَةَ الجُوعِ وَالتَّعَبِ الطَّوِيلِ مِنَ السَّفَرِ وَوَعْثَاءِ الطَّرِيقِ. كَانَ الْوُصُولُ سَاعَةَ الظَّهِيرَةِ، حَيْثُ اِتِّقَادُ الهَجِيرَةِ، وَكُنْتُ مُعْتَادًا عَلَى تَنَاوُلِ شَيْءٍ مِنْ (السُّلْفَةِ أَوِ اللُّهْنَةِ)[٢٤] قَبْلَ أَنْ يحِينَ أَوَانُ الْغَدَاءِ، أَتَعَلَّلُ[٢٥] بِشَيْءٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ أَوِ التَّمْرِ، أَوْ أَيِّ شَيْءٍ يُسْكِنُ بَيْتَ الدَّاءِ، فَقَدِ أَعْتَدْنَا أَنْ نَكُونَ فِي

---

[٢٢] اللَّمَّةُ : الناسُ المجتمعون.

[٢٣] النَّقِيعَةُ : الطَّعامُ يُصْنَعُ للقادم من السَّفَر أو النَّقِيعَةُ : طعامُ الرَجل ليلةَ عُرْسِه.

[٢٤] السُّلْفَةُ أَوِ اللُّهْنَةُ : طعامُ المستعجل قبل ادراك الغداء

[٢٥] تعلَّل بالأمل: تلهَّى به.

عُجَالَةٍ[٢٦] مِنْ أُمُورِنَا، وَ(عُجَالَةٍ) فِي طَعَامِنَا، حَتَّى يَحِينَ أَوَانُ الغَدَاءِ عِنْدَ انْتِصَافِ النَّهَارِ.

[٢٦] عُجالة الرَّاكب: ما يتزوَّده الرَّاكب من الطَّعام ممَّا لا يتعبه كالخبزوالسَّويق والتَّمر

اللطيفة السادسة عشرة

"لافِتٌ" أم "مُلْفِتٌ" لِلنَّظَرِ؟

هَــذَا الجَــمَالُ وَسِرُّهُ بِــكَ لَافِــتٌ
أَخَذَتْ وُرُودُ الرَّوْضِ مِنْكَ جَمَالَهَا
وَتَنَـافَسَ الشُّـعَرَاءُ فِيـكَ بِقَرْضِـهِمْ
فَيُبِـينُ فِي هَـذَا القَـرِيضِ خِصَـالَهَا

وَأَنَا أَسْتَمِعُ إِلَى تَقْرِيرٍ خَبَرِيٍّ من إِحْدَى الْقَنَوَاتِ الإِذَاعِيَّةِ، قَالَتْ مُقَدِّمَةُ البَرْنَامَجِ وَهِيَ تَقْرَأُ تَقْرِيرَهَا عَنْ قَضِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ لَا أَتَذَكَّرُ تَفَاصِيلَهَا: (وَمِنَ اللَّافِتِ لِلنَّظَرِ أَنَّ الْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا . . .). عَادَتْ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَتْ: (والمُلْفِتُ لِلنَّظَرِ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ كَذَا وَكَذَا . . .). دَعَانِي الفضولُ ودفعني إِلَى التَّحَرِّي وَالْبَحْثِ عَنِ أَيِّهِمَا الأَصَحِّ، وَهَلْ أَنَّ هُنَاكَ فَرْقاً فِي المَعْنَى بَيْنَ الكَلِمَتَيْنِ؟

وَبَعْدَ الْبَحْثِ فِي مَعَاجِمِ اللُّغَةِ وَقَوَامِيسِهَا، وَجَدْتُ أَنَّ كَلِمَةَ (لافت) هِيَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ (لَفَتَ). لفَتَ يَلفِتُ، لَفْتًا، فَهُوَ لافِتٌ، وَالمَفْعُولُ مَلْفوتٌ. أَمْرٌ لاَفِتٌ لِلنَّظَرِ: جَالِبٌ، مُثِيرٌ، لفَتَ الشَّخصَ / لَفَتَ الشيءَ: لَوَاهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ وَصَرَفهُ إِلَى الْيَمِينِ أَو الشِّمالِ. لفَتَ نَظَرَهُ إِلَى كَذَا: نَبَّهَهُ إِلَيْهِ لِيَهْتَمَّ بِهِ، لَفَتَ أَنْظَارَ الْعَالَمِ إِلَى كَذَا. أَمَّا لَفَتَهُ عَنْ رَأْيِهِ فَمَعْنَاهُ: صَرَفَهُ عَنْهُ، أَو أَبْعَدَهُ عَنْهُ.

هَلْ لَاحَظتَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمُعْنَيَيْنِ؟ وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى.

الْفَرْقُ يَكُونُ كَبِيرًا بَلْ يَتَغَيَّرُ الْمَعْنَى إِلَى الضِّدِّ حِينَمَا نَسْتَخْدِمُ حَرْفَ الجَرِّ(عَنْ) بَدَلَ (إلى) كَمَا هُوَ وَاضِحٌ. جَاءَ فِي الْقُرْآنِ { قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا }. أَي: تَصْرِفَنَا عن.

أَمَّا (ملفتُ) فَلَمْ أَجِدْهَا فِي المَعَاجِمِ الْقَدِيمَةِ وَعَلَى الخُصُوصِ (لِسَانُ العَرَبِ) أَوِ (القَامُوسُ المُحيطُ)، إِنَّمَا وَجَدْتُهَا فِي (قَامُوسُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ المُعَاصِرة)[٢٧]. جَاءَ فِيهِ مَا يَلِي: أَلْفَتَ يُلْفِتُ، إِلْفَاتًا، فَهُوَ مُلْفِتٌ، وَالْمَفْعُولُ مُلْفَتٌ. أَلفَتَ النَّظَرَ إِلَى شَيْءٍ: نبَّهَ إِلَيْهِ ليُهْتَمَّ بِه: مِنَ المُلْفِتِ لِلنَّظَرِ أَنّه زَارَنَا فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ، هذا زِيٌّ مُلفِتٌ للنَّظَرِ. وَوَرَدَتْ أَيْضًا فِي مُعْجَمِ المَعَانِي الجَامِعِ[٢٨] بِنَفْسِ المَعْنَى. وَالخُلَاصَةُ أَنَّ الَّذِي وَرَدَ مُنْذُ الْقِدَمِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَنَّ الِاسْتِعْمَالَ الصَّحِيحَ هُوَ: (اللَّافِتُ). وَلَمْ تَرِدْ (المُلْفِتُ) فِي المَعَاجِمِ الْقَدِيمَةِ، فَهَلْ يُمْكِنُ اعْتِبَارُ الثَّانِيَةِ خَطأً وَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهَا فِي الْكَلَامِ؟ وَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ اللُّغَةَ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ كَلِمَةٍ تُؤَدِّي

---

[٢٧] معجم اللغة العربية المعاصرة معجم أحادي للغة العربية، من تأليف أحمد مختار عمر، صدر في عام ٢٠٠٨، ويتكوّن من أربعة مجلدات، ثلاثة مجلدات للمعجم والرابع للفهارس. أدرج فيه الكثير من المفردات الحديثة والكلمات المستخدمة في العلوم الحديثة.

[٢٨] هو معجم معاني متعدد اللغات، ويوفر خدمة التعليم والترجمة. يحتوي على معاجمٍ ثنائية: اللغة العربية، انجليزي، اسباني، برتغالي، فرنسي، تركي، فارسي، اندونيسي، وألماني. يعتمد على بعض المعاجم العربية الشهيرة.

مَعْنَى يَتَبَادَرُ إِلَى ذِهْنِ السَّامِعِ أَوْ الْقَارِئِ بِحَيْثُ لَا يُصْرَفُ الذِّهْنُ إِلَّا إِلَيْهَا، فَلَوْ قَالَ الْمُتَكَلِّمُ: مَاء، فَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ ذِهْنِي يَنْصَرِفُ إِلَى هَذَا السَّائِلِ الَّذِي نَشْرَبُهُ صَبَاحَ مَسَاءَ وَيَمْلَأ الْبِحَارَ. وَلَوْ قَالَتْ الْمُذِيعَةُ: مِنَ الْمُلْفِتِ لِلنَّظَرِ، فَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدَنَا لَا يَفْهَمُ مَا قَالَتْهُ، وَلَا أَظُنُّ أَنَّ السَّامِعَ يَصْرِفُ ذِهْنَهُ إِلَى مَعْنَى آخَرَ غَيْرِ مَا تُؤَدِّيهِ هَذِهِ الْمُفْرَدَةُ كَمَا تُؤَدِّيهِ الْكَلِمَةُ القَدِيمَةُ(اللافت). اللُّغَةُ فِي تَطَوُّرٍ مُسْتَمِرٍّ وَلَيْسَ مِنَ المَعْقُولِ إِنْ نُجَمِّدَ عُقُولَنَا كَمَا يَفْعَلُ السَّلَفِيُّونَ الْمُخْتَصُّونَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَنَرْفُضُ كُلَّ جَدِيدٍ فِي عَالَمِ اللُّغَة. وَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي اسْتَوْقَفَتْنِي، وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ إِحْدَى الْكَلِمَاتِ فِي مُعْجَمِ لِسَانِ الْعَرَبِ، مَا قَالَهُ ابْنُ الأَعرابي: (لم يُسْمَعْ قَطُّ فِي كَلَامِ الجَاهِلِيَّةِ وَلَا فِي شِعْرِهِم "فاسِقٌ")، أَيْ أَنَّ كَلِمَةَ "فاسق" وَالَّتِي تُعْنِي الخُرُوجَ، كَقَوْلِنَا: فَسَقَتْ التَّمْرَةُ أَيْ خَرَجَتْ مِنْ قِشْرِهَا، وَفَسَقَ الرَّجُلُ، أَيْ خَرَجَ عَنْ حُدُودِ الدِّينِ، لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً حِينَئِذٍ، فَلَا غَرَابَةَ أَنْ تَسْتَجِدَّ وَتُسْتَعْمَلَ فِي لُغَتِهِمْ، سِيَّمَا وَقَدْ نَطَقَ بِهَا الْقُرْآنُ، وَتَكَلَّم بِهَا رَسُولُ الله(ص). وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ الْإِجَابَةَ عَنْ سُؤَالٍ: هَلْ تَجِدُ كَلِمَاتِ ومُصْطَلَحَاتِ العُلُومِ الحَدِيثَةِ فِي مَعَاجِمِ اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ كَلِسَانِ العَرَبِ أَوْ كِتَابِ العَيْنِ مَثَلاً؟ وَمَاذَا تَفْعَل لَوْ لَمْ تَجِدْهَا؟ هَل تَرْفُضُ الْمُصْطَلَحَاتِ الجَدِيدَةَ؟

مَا أُرِيدُ إِيصَالَهُ مِنْ فِكْرَةٍ مِنْ هَذِهِ المَقَالَةِ هُوَ أَنَّ المَعَاجِمَ الْقَدِيمَةَ لَيْسَتْ قُرْآناً لَا يَجُوزُ تَطْوِيرُهُ أَوْ التَّجَاوُزُ عَلَيْهِ. فَلَوْ دَعَتْ الحَاجَةُ، وَالحَاجَةُ أُمُّ الاخْتِرَاعِ كَمَا

هُوَ المَعْرُوفُ، إلَى اسْتِعْمَالِ مَعْنَى جَدِيدٍ أَوْ نَقْلِ هَذَا المَعْنَى، فَلَيْسَ مِنْ حَرَجٍ إِذَا كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ قَدْ تَدَاوَلُوا هَذَا وَفَهِمُوا أَنَّ هَذِهِ المُفْرَدَةَ تَعْنِي هَذَا المَعْنَى لَا غَيْر. وَفِي الخِتَامِ لَا بُدَّ مِنَ التَّنْبيهِ إلَى حَقِيقَةٍ مُهِمَّةٍ وَهِيَ أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لَمْ تَتَنَزَّلْ مِنَ السَّمَاءِ بِكِتَابٍ رَبَّانِيّ بَلْ تَنَزَّلَ الكِتَابُ (وَأَقْصِدُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ) عَلَى الْعَرَبِ بِلُغَتِهِمْ، أَيْ نَزَلَ الْكِتَابُ بَعْدَ ظُهُورِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَيْسَ الْعَكْسُ، فَتَنَبَّهْ لِذَلِكَ. وَهِيَ، أَيْ اللُّغَةُ، وَلِيدَةُ الحَاجَةِ إلَى التَّفَاهُمِ وَإِيصَالِ المَعْنَى وَوَسِيلَةُ التَّوَاصُلِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا، حَالُهَا حَالُ اللُّغَاتِ الحَيَّةِ فِي الْعَالَمِ.

اللطيفة السابعة عشرة

"مُمتِعاً أَمْ مَاتِعاً"

رُبَّمَا أَسْتَيْقِظُ فِي أَحَدِ الْأَصْبَاحِ، فَأَشْعُرُ بِثِقَلٍ فِي رَأْسِي، فَتَتوقُ النفسُ إِلَى جَوْلَةٍ، بَيْنَ الرُّبُوعِ الغَنَّاءِ، والمُرُوجِ الخَضْرَاءِ، وَمَوارِدِ الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ، بَيْنَ الْأَشْجَارِ الوَارِفَةِ، والأَزَاهيرِ الآزِفَةِ، أَبُلُّ أَنَامِلِي مِنْ طَرَاوَةِ النَّدَى، وأَشَمُّ أَرِيجَ الأَقْحُوَانِ وَالْيَاسَمِينِ، أُمَتِّعُ نَاظِرِي بالحقولِ المَاتِعَةِ، وأَسِيحُ بَيْنَ الرِّيَاضِ الْوَاسِعَةِ، أَسْرَحُ فِيهَا مَعَ دَفِيء الشُّرُوقِ الْأَوَّلِ، أَفتَحُ نَاظِرَيَّ بِشُعَاعٍ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ، انْفِضُ مِنْ مُقْلَتَيَّ طُيُوفَ الرُّقَادِ، وَ أَطْرُدُ مِنْ جُفُونِي سَطْوَةَ السُّهَادِ، أَمْرَحُ فِي خَضْرَاءِ الحُقُولِ المُمْتِعَةِ، وَالْبَسَاتِينِ المُمْرِعَةِ، أَجُولُ بَيْنَ أَشْجَارِ الزَّيْتُونِ الَّتِي حَنِيَتْ ظُهُورُهَا لِثِقَلِ الثِّمَارِ، تَنُوءُ بِحِمْلِهَا فِي زَهْوٍ وابْتِهَارٍ. أَقْطُفُ أَمْتَعَ الْفَوَاكِهِ النَّاضِجَةِ، وَأَجْتَنِي الْأَثْمَارَ الرَّائِجَةَ، وأَتَنَسَّمُ عِطْرَ الزُّهُورِ البَاهِجَةِ، وَكَأَنَّنِي فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، وَقُطُوفٍ دَانِيَةٍ، أَجْلِسُ بَعْدَ فُتورِ الْقُوَى، فَأَتَسَمَّعُ إِلَى زَقْزَقَةِ العَصَافِيرِ، وَتَغْرِيدِ الْبَلَابِلِ، وَحَفِيفِ الشَّجَرِ، وَنَقِيقِ الضَّفَادِعِ، وَهَدِيلِ الحَمَائِمِ، فَتُزْهِرُ فِي مُخَيَّلَتِي الشِّعْرِيَّةِ رَغْبَةُ التَّغَنِّي بِبَعْضِ أَبْيَاتٍ مِنَ السَّرِيعِ، أَتَرَنَّمُ بِهَا فِي رَوْضَةٍ مِنَ الْجِنَانِ، وَكَأَنَّهَا تُولَدُ مِنْ جَدِيدٍ.

قُلتُ:

أَعْتِقْ عُيُونِي مِنْ رُؤَى النَّائِمِ
أَمْتِـعْ فُـؤَادِي لَـيْسَ كَالحَـالِمِ
إِنِّي سَرَحْـتُ الْفِكْـرَ فِي رَوْضَـةٍ
كَـاللَّحْنِ فِي تَرْنِيمَـةِ الهَـائِمِ
غَنَّـاءَ تُبْـدِي حُسْـنَهَا وَالنَّـدَى
يَغْفُـو عَلَيْهَـا فِي ضُـحىً بَاسِـمِ
إِنِّي كَسَـارٍ بِـتُّ فِي عَـالَمِ
السِّـحْرُ فِيـهِ مُتْعَـةُ السَّـائِمِ
أَغْرَقْـتُ فِيهَـا كُـلَّ مَـا أَشْـتَهِي
لَمْ أُبْـدِ فِيهَـا رَغْبَـةَ النَّـادِمِ

دعونا نذكر ما وجدناه من خبر عن هاتين المفردتين في معاجم اللغة، فقد كثر اللغط فيهما وأنكر قومٌ ورود كلمة" ممتع" في لغة العرب ، فنقولُ: أمتعَ يُمتع، إمتاعًا، فهو مُمتِعٌ، والمفعولُ مُمتَعٌ. هذا ما وجَدتُه في معجمِ اللغةِ العربيةِ المعاصرة. نقولُ: جَوٌّ مُمْتِعٌ أي جَوٌّ رَائِقٌ يَجْلُبُ الْمُتْعَةَ. كِتَابٌ مُمْتِعٌ، نُصُوصٌ شِعْرِيَّةٌ مُمْتِعَةٌ. وهذا ما ذَكرهُ معجمُ" الغني".

قالَ الشابُّ الظريفُ[٢٩]:

وأَفَدْتُ سَمْعِي مِنْ فُكَاهَةِ مُمْتِعِ

الألفَاظِ مَقْبُولِ الكَلاَمِ مُفِيدِهِ

وقالَ ابنُ الروميّ[٣٠]:

أباها من الشُّـرَّابِ إلا المجشَّمُ

فظلّ لنا يومٌ من اللهو مُمتِعُ

أما في معجمِ "لسان العرب" : مَتَعَ الرجُلُ ومَتُعَ: جادَ وظَرُفَ، وقيل: كل ما جادَ فقد مَتُعَ، وهو ماتِعٌ. والماتِعُ من كل شيء: البالغُ في الجَوْدةِ الغاية في بابه؛ والماتِعُ: الطويل من كل شيء ومَتَّعَ الشيءَ: طَوَّله؛ ومنه قول النابغة الذبياني:

إِلى خَيْرِ دِينٍ سُـنَّةٍ قـد عَلِمْتـه،

ومِيزانُـه في سُـورةِ المَجْـدِ مـاتِعُ

---

[٢٩] محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، شمس الدين (٦٦١ هـ - ٦٨٨ هـ/١٢٦٣ - ١٢٨٩م)، شاعر مترقق، مقبول الشعر ويقال له أيضاً ابن العفيف نسبة إلى أبيه الذي عرف بالعفيف التلمساني، وكان شاعراً أيضاً. لقب لرقته وطرافة شعره بالشاب الظريف، فغلب عليه هذا اللقب وعرف به.

[٣٠] هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ،وقيل جورجيس، المعروف بابن الرومي شاعر من شعراء القرن الثالث الهجري في العصر العباسي ولد بالعقيقة في بغداد (٢ رجب ٢٢١ هـ - ٢٨٣ هـ).وتوفي في دمشق. له ديوان شعر مطبوع بثلاثة مجلدات كبيرة. رومي الأصل، فإنّه يذكره ويؤكّده في مواضع من ديوانه. وكانت أُمّه من أصل فارسي، وهي امرأة تقية صالحة رحيمة.

أَي راجِحٌ زائِدٌ . وأنشدَ غيرُهُ:

خُذْه فقد أُعْطِيتَه جَيِّداً،

قد أُحْكِمَتْ صَنْعَتُه، ماتِعا

فالمتحصلُ مِنْ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ أَنَّ المفردتين يُمْكِن اسْتِعْمَالُهُمَا كمترادفتين وَلَا دَاعِيَ لِإِنْكَار وُجُودِهَا فِي لُغَتِنَا الْعَرَبِيَّة المتطورة. وَأَقُولُ المتطورة عَلَى خِلَافِ مَا قَرَأْتُهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ بِأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لُغَةٌ جَامِدَةٌ، هَامِدَةٌ، مُقَولبةٌ فِي قَوَالِبَ لَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُهَا أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ تطويرُها. وَلَا ننسى دَائِمًا وَأَبَدًا أَنَّ اللُّغَةَ حَاجَةٌ وَضَرُورَةٌ لَا أنْ تَكُونَ غَايَةً لِذَاتِهَا.

اللطيفة الثامنة عشرة

" هَلْ تَكْتُبُ شِعْرَ الغَزَلِ"

سَأَلَنِي أَحَدُ الْأَصْدِقَاءِ: هَلْ تَكْتُبُ شِعْرَ الْغَزَلِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَهَلْ هُنَاكَ مَانِعٌ عنِ الْكِتَابَةِ فِي هَذَا الْغَرَضِ النَّبِيلِ مِنْ أَغْرَاضِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ؟ قَالَ: نَعَمْ يُوجَدُ مَانِعٌ، فَكَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ يُحَارِبُونَ أَوْ يُحَرِّمُونَ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْقَرِيضِ، لِأَنَّهُ، وَحَسَبَ اعْتِقَادِهِمْ، يَخْرُجُ عَنْ خَانَةِ الْأَخْلَاقِ وَيَتَعَدَّى حُدُودَ الْأَدَبِ. قُلْتُ (وَلَمْ تَظْهَرْ عَلَى قَسَمَاتِ وَجْهِي عَلَامَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ الاستِغْرابِ): إِنَّنِي عَلَى عِلْمٍ مُسْبَقٍ بِتَوَجُّهَاتِ وَدَفَائِنِ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ خِلَافَ مَا يُبْطِنُونَ، وَهَذَا دَيْدَنُ مَنْ يُسَمَّوْنَ بِعُلَمَاءِ الدِّينِ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ رَبِّي، وَهُمْ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنِ الْإِنْسَانِ. وَحِينَمَا أَقُولُ الْإِنْسَانَ، فَذَلِكَ يُعْنِي المَرْأَةَ وَالرَّجُلَ، الجِسْمَ وَالرُّوحَ، الجَمَالَ وَالغَرَائِزَ، المُيُولَ وَالرَّغَبَاتِ، القُوَّةَ وَالضَّعْفَ، الحُبَّ وَالهُيَامَ، الشَّبَابَ وَالعُنْفُوَانَ، الحَاجَةَ وَاللُّجُوءَ، الحُزْنَ وَالْفَرَحَ، الْبُكَاءَ وَالصَّبْرَ، الرَّغْبَةَ وَالعُزُوفَ، الْغَرِيزَةَ وَالخُلُقَ، القَنَاعَةَ وَالإِفْرَاطَ، الحَلَالَ وَالحَرَامَ. مَنْ مِنَّا لَمْ تُحَدِّثْهُ نَفْسُهُ يَوْمًا فِي حُبِّ امْرَأَةٍ تَهْفُو إِلَيْهَا الرُّوحُ، وَتَلْجَأُ إِلَيْهَا المَشَاعِرُ الوَلِهَةُ، المُتْعَبَةُ، وَتَمِيلُ إِلَيْهَا الْقُلُوبُ الرَّاتِبَةُ. وَمَا يُشْبِهُ هَذَا الْكَلَامَ يَنْطَبِقُ عَلَى المَرْأَةِ، فَهِيَ أَجْمَلُ نِصْفٍ لِلرَّجُلِ، وَتَحْمِلُ مِنَ المَشَاعِرِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، وَتَمِيلُ كَمَا يَمِيلُ الرَّجُلُ وَأَكْثَرُ، لِذَا لَا بُدَّ أَنْ تَتَغَزَّلَ كَمَا يَتَغَزَّلُ الرَّجُلُ. وَفِي مُجْتَمَعِنَا يَكُونُ هَذَا التَّغَزُّلُ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، بِسَبَبِ

الْقُيُودِ الْمُكَبِّلَةِ لِحُرِّيَتِهَا فِي التَّعْبِيرِ وَإِظْهَارِ الْمَشَاعِرِ الدَّفِينَةِ. خَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ وَجَعَلَ فِيهِ مِنَ الشّهوةِ والمُيُولِ وَالرَّغَبَاتِ الشَّيْءَ الكَثِيرَ، تَقُومُ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ، بَلْ وَاسْتِمْرَارُ الْبَشَرِيَّةِ تَتَمَثَّلُ أَوَّلًا بِوُجُودِها عِنْدَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى. لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ الطَّوِيلِ أَنْ نَنْحُوَ بِالْغَزَلِ مَنْحًى يَتَمَثَّلُ بالاهتمامِ بالغَرِيزَةِ الْجِنْسِيَّةِ، إِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْ كُلِّ هَذَا أَنَّ الدَّافِعَ للتَّغَزُّلِ بِالْمَرْأَةِ أَوِ الْعَكْس بِالرَّجُلِ مِنْ قِبَلِ الْمَرْأَةِ، هُوَ الْغَرِيزَةُ الَّتِي لَا تَنْفَكُّ شَخْصِيَّةُ الْإِنْسَانِ عَنْهَا بِحَالٍ منَ الأَحوالِ. لَوْلَا الْغَرِيزَةُ لَكَانَ الْإِنْسَانُ كَالحَجَرِ، أَوْ كَالشَّجَرِ، أَوْ أَيِّ جَمَادٍ آخَرَ. أَمَّا الْغَزَلُ فَهُوَ التَّغَنِّي بِالجَمَالِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَالشَّكْوَى مِنْ هِجْرَانِهِ وَبِعَادِهِ. الْغَزَلُ فَنٌّ مِنْ الْفُنُونِ الشِّعْرِيَّةِ يُعْنِي التَّشَبُّبَ بِالحَبِيبَةِ وَوَصفَهَا بِأَجْمَلِ الْأَوْصَافِ وَالتَّغَنِّي بِمَحَاسِنِهَا وَمَفَاتِنِهَا وَعَنَاصِرِ الجَمَالِ فِيهَا، كَالتَّشْبِيبِ بِالْعُيُونِ السَّاحِرَةِ، وَالْوُجُوهِ السَّافِرَةِ، وَالْقَدِّ الْمَمْشُوقِ، وَالْبَنَانِ الْمَخْضُوبِ، وَالخِصْرِ الأَهْيَفِ، وَالشِّفَاهِ الْمُزْهِرَةِ، وَالخُدُودِ الْمُوَرَّدَةِ، وَالعَرْفِ الْمُنْفَرِدِ مِنْ فَمٍ يَكْتَنِزُ اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ . . . وَمَا إِلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْمَزَايَا الْمَرْغُوبَةِ فِي الْمَرْأَةِ. وَالْغَزَلُ الْمَذْمُومُ فِي هَذَا السِّيَاقِ، وَالْمُحَرَّمُ، كَمَا يَقُولُ عُلَمَاءُ الدِّيْنِ الَّذِينَ تَعْرِفُهُمْ، يَا صَاحِبِي، فَهُوَ الَّذِي يَتَعَرَّضُ لانْتِهَاكٍ صَارِخٍ لِخُصُوصِيَّةِ امْرَأَةٍ مَعْرُوفَةٍ بِعَيْنِهَا، لِأَنَّهُ سوفَ يَدْخُلُ فِي خَانَةِ الْتشهيرِ، والتَّعْريضِ، وَهَذَا الْأَمْرُ يَشِيعُ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الشَّرْقِيَّةِ وَالْمُسْلِمَةِ عَلَى الْخُصُوصِ. هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْغَزَلِ يُدْعَى بِـ (الْغَزَلِ الصَّرِيحِ) أَوْ مَا يُسَمَّى فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِـ (الْغَزَلِ الحَضَرِيِّ)، عَلَى اعْتِبَارِ

أَنَّ الحَضَرَ يَضْعُفُ لَدَيْهِمْ الِالْتِزَامُ بِمَعَايِيرِ الدِّينِ وَالتَّحَرُّجِ. أَمَّا (الْغَزَلُ الْعَفِيفُ) أَوْ مَا يُدْعَى بِـ (الْغَزَلِ الْبَدَوِيِّ)، عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْبَدَوِيَّ أَكْثَرُ الْتِزَامًا بِمَعَايِيرِ الشَّرَفِ وَالْغَيْرَةِ، فَهُوَ الْمَمْدُوحُ مِنْ أَنْوَاعِ الشِّعْرِ الغَزَلِيِّ. أَمَّا الثَّانِي فَلَا غُبَارَ عَلَيْهِ وَهُوَ بِمَثَابَةِ تَعْدَادٍ لِنِعَمِ وَحُسْنِ خَلْقِ الخَالِقِ. وَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ خَلَقَ الجَمَالَ، فَلَا بُدَّ أَنَّهُ يُحِبُّ إِظْهَارَهُ وَمَدْحَهُ، فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ تَظْهَرَ آثَارُ النِّعْمَةِ عَلَى صَاحِبِهَا. فَلِمَاذَا هَذَا الانْغِلَاقُ، والرَّمَادِيَّةُ بَلْ السَّوْدَاوِيَّةُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الجَمَالِ وَمِنْ ثَمَّ الْغَزَلِ الذي يصفُهُ؟

قلتُ في إِحْدَى قَصَائِدِي الوَافِرِيَّةِ، وهيَ تُصَوِّرُ هَذَا الأَمْرَ:

كَتَبْتُ الشِّعْرَ مِنْ غَزَلٍ عَفِيفِ ... يُمَاثِلُ حُسْنُهُ، غَزَلَ الحُرُوفِ

وَصُغْتُ مَعَانِيَ الشِّعْرِ اسْتِلَافاً ... مِنَ الْعَيْنَيْنِ أَوْ خِصْرٍ نَحِيفِ

فَهَامَ الْقَلْبُ فِي دُنْيَا خُدُودٍ ... خَمَائِلِ رَوْضَةٍ، وَفَمٍ رَهِيفِ

رَسَمْتُ الثَّغْرَ مِنْ جُمَلٍ حِسَانٍ ... وَصُغْتُ اللَّحْظَ مِنْ حَبَقٍ الخَرِيفِ

حَبِيبِي لَا يُدَانِيهِ حَبِيبٌ ... يَبُلُّ رِضَابُهُ بِفَمٍ رَشِيفِ

فَسِرُّ الخَلْقِ فِي قَسَمَاتِ وَجْهٍ ... حَرَاكُ الْكَوْنِ مِنْ ظَبْيٍ شَغُوفِ

تَلُومُ لِأَنَّنِي خَرَقَتْ شَغَافِي ... سِهَامُ اللَّحْظِ فِي غَزَلٍ طَرِيفِ

تَلُومُ لِأَنَّنِي رَجُلٌ رَهِيفٌ ... أَقُولُ الشِّعْرَ مِنْ قَلْبٍ عَطُوفِ

فُنُـونُ الشِّـعْرِ في كَفَّيْـكَ تَرْقَـى وفي جَنْبَيْـــكَ مُجْتَمَـــعُ الأُلُـــوفِ

يُبَـدِّدُ ظُلْمَتِـي غَـزَلٌ مُصَـفًّى فَـأَطْوي الحُـزْنَ في ثَغْـرٍ لَهِيـفِ

اللطيفة التاسعة عشرة

"قصتي مع الشعر"

سَأَلَنِي رَفِيقٌ لِي فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الشِّتَاءِ الْبَارِدَةِ، كُنَّا قَدْ كَسَرْنَا صِرَّهَا بِقَدَحٍ مِنَ الشَّاي، وجَذوَةٍ مِنَ النَّارِ فِي مِنْقَلَةٍ أَثَرِيَّةٍ، أَكَلَ الدَّهْرُ مِنْهَا مَا يؤكَلُ: مَتَى بَدَأتَ كِتَابَةَ الشِّعْرِ يَا هَذَا؟ وَمَنْ أَلْهَمَكَ هَذِهِ المَوْهِبَةَ، أَعْنِي كَيْفَ كَانَتْ البدايةُ مَع شَيْطَانِكَ الحَبِيبِ، شَيطانِ الشِّعر ؟

قُلْتُ فِي جَوَابِهِ: أَيَّامَ الثمانيناتِ مِنَ الْقَرْنِ العِشْرِينَ، وَفِي خِضَمِّ تلكَ الْفَتْرَةِ العصيبةِ مِنْ تَارِيخِ الْعِرَاقِ الْحَدِيثِ، وَأَيَّامِ الْحَرْبِ العراقيةِ- الإيرانيةِ، كُنَّا نَعُدُّ الْأَيَّامَ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، ونبتهلُ حَتَّى يَخبُو أُوَارُها. كُنْتُ حِينَهَا أَحْلُمُ بِالْكِتَابِ، وأَتَخَيَّلُهُ كَمَا يَتَخَيَّلُ العاشِقُ حبيبتَهُ بأبهَى صُورَةٍ، و يَتَمَنَّى مِنْهَا أَجْمَلَ لِقَاءٍ. أَجْمَعُ مَا يَمْنَحُنِي إِيَّاهُ أَبِي كَمَصْروفِ جَيْبٍ، وَقَدْ كُنْتُ حينَها طَالِبًا فِي كُلِّيَّةِ الطِّبِّ فِي جَامِعَةِ الْكُوفَةِ. أَجْمَعُ فُتَاتَ مَصْرُوفِي، وَمَا جَادَ بِهِ عَلَيَّ الْأَصْدِقَاءُ، وَالْأَقْرِبَاءُ، وَأَرْكَبُ قَدَمِي، مُهَرْوِلًا إِلَى أَقْرَبِ دُكَّانٍ يَبِيعُ الْكُتُبَ الْقَدِيمَةَ، لِأَنَّهَا عَادَةً مَا يَكُونُ ثَمَنُهَا رَخِيصًا، لَكِنَّ مُحتَواها أَثْمَنُ مِن أَجْسَادِهَا وأَنبَل. أشتَري مَا تَيَسَّرَ مِنْهَا بَعْدَ بَحْثٍ وَتَرَقُّبٍ! أحضِنُها حَضناً، بَيْنَ جَوَانِحِي، أُدفِئُها وتُدفِئُني، أحميها وأحنُو عَلَيْهَا، و بِالْمُقَابِلِ تُحيطُني بِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ عِلمٍ جَمّ، وَتُزِيلُ عَن فِكْرِي عَوَاهِلَ الْهَمّ، فَاقْبَلُ مِنْهَا بِالْيَسِيرِ مِنَ المَعْلُومَاتِ، فأتَبَجَّحُ بِهَا عَلَى رُفَقَائِي، وأشمخُ بزَهوٍ عَلَى

أَصْدِقَائِي، وجُلَسائي، وَلْيَكُنِ التَّسابقُ وَالتَّنَافُسُ فِي الْعِلْمِ فَهُوَ أَسْمَى مِنَ التَّنَافُسِ بِالْجَهْلِ وَالمَالِ. قَرَأْتُ مَا تَيَسَّرَ مِنْهَا ذَلِكَ الحِينِ، فعَشِقْتُ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ أَيَّمَا عِشقٍ، وَكُنْتُ مُتَفَوِّقا فِيهَا، لِحبّي لَهَا، ورَغبَتي بِهَا، لِأَنَّكَ لَن تَبرَعَ فِي شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ تُحِبَّهُ، وَلَن تَأْكُلَ طَعَامًا حَتّى تَشْتَهِيه. أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مِنْ مَعينِها سَنَوَاتٍ طِوَال، جَمَعْتُ بَيْنَ دِرَاسَةِ الطِّبِّ، وَقِرَاءَتِي لِلُّغَةِ وَالْأَدَبِ، وَالْبَلَاغَةِ، وكأَنَّني أتشبَّهُ بِابْنِ سِينَا، أَو بِحَكِيمٍ عَاشَ مُنْذُ مِئاتٍ مِنَ السِّنِينَ. قُلْتُ فِي نَفْسِي: لَا بُدَّ وَأَنْ أُحَاوِلَ كِتَابَةَ أَبْيَاتٍ مِنَ الشعرِ. بدأتُ الْكِتَابَةَ متكئاً عَلَى الذَّائِقَةِ الشِّعْرِيَّةِ الدَّفينَةِ الَّتِي أَشْعُرُ بِوُجُودِهَا بَيْنَ حَنَايَا عَقْلِي وَقَلْبِي، وموسيقى وَلَحْنِ الْكَلِمَاتِ وَالجُمَلِ. كَتَبتُ أَوَّلَ الْأَبْيَاتِ وَأَنَا أَشْعُرُ بِالْفَخْرِ وكَأَنَّني أَصْبَحْتُ شاعراً لَا يَشُقُّ لَهُ غُبَارٌ. أَوَّلَ الْأَمْرِ، حَاوَلتُ تَقْلِيدَ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ الْكِبَارِ، وبالتحديدِ شُعَرَاءِ الْعَصْرِ الجَاهِلِيِّ، فَقَد حَفِظْتُ مِنَ مُفْرَدَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الشَّيْءَ الكَثِيرَ. كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الشِّعْرَ مِنَ الْفُنُونِ المستعصِيَةِ عَلَى الْفِكْرِ، وَذَلِك لِنُدْرَةِ إِعْدَادِ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ كَتَبُوا الشِّعْرَ الْعَمُودِيَّ، فِي كُلِّ زَمَانٍ. وَهَا نَحْنُ نَعُدُّهُم بِأَصَابِعِ الْيَدَيْنِ فِي كُلِّ عَصْرٍ، حَتَّى ظَهَرَ الشِّعْرُ الحُدِيثُ أَوْ قَصِيدَةُ التَّفْعِيلَةِ أَوْ مَا يُسَمَّى بِالشِّعْرِ الحُرّ، وَمِنْ ثَمَّ مَا يُسَمَّى بِـ(قَصِيدَةِ النَّثْرِ!!)، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَقَلَّ عَدَدُهُمْ أَكْثَرَ. وَجَدْتُ نَفْسِي فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ أُحَاوِلُ ثُمّ أُحْجِمُ عَنِ الْكِتَابَةِ، يُضَافُ إِلَى هَذَا أَنَّنَا كُنَّا نَعيشُ مَأْساةَ وَوَطأَةَ حَاكِمٍ لَا يَرْحَمُ، فَلَمْ يَعُدْ باستطاعةِ أَيِّ شَاعِرٍ أَوْ أَدِيبٍ الْكِتَابَةَ بِحُرِّيَّةٍ مُطْلَقَةٍ. كَتبتُ أُولَى

قصائدي، وَكَانَتْ عَلَى مُوسِيقَى مُعَيَّنَةٍ انتهَجتُ فِيهَا نَهْجَ إِحْدَى الْقَصَائِدِ الَّتِي قَرَأْتُهَا فِي أَحَدِ الدَّوَاوِينِ الشِّعْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَتَبِعْتُ الْمُوسِيقَى الَّتِي اعْتَدْتُهَا بَعْدَ إتمامي الْقَصِيدَةَ الْقَدِيمَةَ، ورُحتُ أَكْتُبُ عَلَى نغماتِها، فَصَارَتْ عِنْدِي سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ عَرَفْتُ فِيهَا بَعْدُ أَنَّهَا عَلَى بَحْرِ الْكَامِلِ، ذَلِكَ الْبَحْرُ الَّذِي كُتِبَ بِهِ مُعْظَمُ شِعْرِ الْعَرَبِيَّةِ.

لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ بِخَبَايَا وخفايا عِلْمِ الْعَرُوضِ، إِنَّمَا انتهجتُ الْكِتَابَةَ الشِّعْرِيَّةَ مُتَشَبِّهًا بالشعراءِ الَّذِينَ سَبَقُوا الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ الفراهيدي، عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّهُ، أَي الْخَلِيل، اسْتَفَادَ بَلْ اعْتَمَدَ عَلَيْهِم حِينَمَا وَضَعَ عِلْمَ الْعَرُوضِ. كَان زملائي يَشْعُرُون بِهَذَا، وَاقْصِدُ الشاعريَّةَ الَّتِي أَحْمِلُهَا، وَمِنْهُم صَدِيقِي الشَّيْخ باسم الْحِلِيّ. قَالَ لِي مَرَّةً : أَنْتَ الْوَحِيدُ الَّذِي لَدَيْهِ ذَائِقَةُ الشِّعْرِ وموهبةٌ فِي الْكِتَابَةِ الشِّعْرِيَّةِ مِنْ بَيْنِنَا. إذْن كَانَت بداياتي فِي نِهَايَةِ ثمانيناتِ القَرْنِ العِشْرِينَ وبالتحديد عَام ١٩٨٩ م، وَبَعْد أَحْدَاثِ غَزْو الكويت عَام ١٩٩٠م، والمآسي الَّتِي اِجْتَاحَتْ الْعِرَاقَ والانتفاضة الَّتِي حَدَثَتْ فِي تِلْكَ الْفَتْرَة، وشَظَفِ العيشِ الذي لازمنَا بعدَها، أبعدَتْني طَوِيلًا عَنِ كِتَابَةِ الشِّعْر الْعَمُودِيّ حَتَّى لَمْ تَكُنْ لِي محاولات جَادَّة فِي الْكِتَابَةِ إِنَّمَا نُزرَةٌ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ، لَكِنَّ الجَوْهَرَةَ مَا زَالَتْ بَارِقَةً، وَالمَوْهِبَةَ لَم تخبُ، فَعُدْتُ إِلَى الْكِتَابَةِ مِنْ جَدِيدٍ بَعْدَ سَفَرِي إِلَى الْيَمَنِ عَام ٢٠٠١م. وَبَعْد الْعَوْدَةِ من اليمنِ، وبعدَ احتلالِ بغدادَ من قِبَلِ قوّاتِ أميركا وحلفائها عام ٢٠٠٣م، مَا زِلْتُ أَرْتَادُ المنتدياتِ

والواحَاتِ والأُمسياتِ الثَّقَافِيَّةَ وَالشِّعْرِيَّةَ بِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْقَصَائِدِ الَّتِي أَظُنُّهَا حُبِكَتْ فِي فَتْرَةٍ مِنَ النُّضوجِ الفِكْرِيّ وَاللُّغَوِيّ والعَروضيّ، والبَلاغيّ، مُنَاسِبَةً وَهِي فَتْرَةُ النِّتَاجِ الأَدَبِيّ بَعْدَ عُمرِ الخُمْسِين، وَمَا زِلْتُ أُكْتُبُ يَوْمِيًّا الْبَيْتَ والبيتينِ وَالنُّتْفَةَ وَالمَقْطُوعَةَ وَالْقَصِيدَةَ.

قُلْتُ فِي تَصْوِيرٍ قَرِيبٍ لِمَا احتَواهُ جَوَابِي السَّابِقُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الوافرية كُتِبَت بِتَارِيخ ٢٤/ ١٢/ ٢٠١٩ :

تُنَـــادِمُنِي بِـــمَا كَتَبَـــتْ يَرَاعِـــي
وَقَـدْ هَتَـفَ القضَـاءُ كَصَـوْتِ نَـاعِ
فَتَـــأْتَمِرُ الْقُلُـــوبُ بِـــأَمْرِ حَـــرْفٍ
وَتَنْـــتَظِمُ المَشَـــاعِرُ فِي رِقَـــاعِي
يَتِيـــهُ الـــنَّظْمُ فِي خَطَـــرَاتِ رُوحِـــي
وَأنهـــجُ بالْقَصَـــائِد نَهْـــجَ واعِ
فَمِـنْ رَحِـمِ الحَـوَادِثِ كَـانَ شِـعْرِي
وَمِـنْ صَـدْرِ الْأَسَـى فَطَمُـوا رِضَـاعِي
كَتَبْـتُ قَصَـائِدِي، وَحَزَمْـتُ أَمْـرِي
وَلَا غَـــيْرَ الْقَصَـــائِدِ فِي قِلَاعِـــي

وَيَسْـــــأَلُنِي الرَّفِيـــــقُ: لِأَيِّ شَيءٍ

كَتَبْــتَ الشِّــعْرَ في صُــحُفِ الــوَدَاعِ

قَضَــيْتُ العُمْــرَ مُنْكَســراً وَحِيــداً

لَذِيــذُ العَــيْشِ أَصْــبَحَ في ضَــيَاعِي

فَصــرْتُ مُهَــاجِراً بِــالحَرْفِ أَشْــدُو

وَتُخْفِــي الــرُّوحُ، في شَــجَنٍ، مَتَــاعِي

رَفِيــقَ العُمْــرِ، مَــا قَرَضَــتْ يَرَاعِــي

كَمِثْــلِ الشِّــعْرِ أَوْ مُلِئَــتْ قِصَــاعِي

تَرَاتِيـــــلَ المَشَـــــاعِرِ رَتَّلَتْهَـــــا

شَــظِيفَ العَــيْشِ أَقْبَــعُ في صِرَاعِ

فَــنَغْمُ الحَــرْفِ يُلْهِمُنِــي قَصِــيداً

وَصَــوْتُ الظُّلْــمِ أَذَّنَ في بِقَــاعِي

فَجَــاءَ الــنَّظْمُ يَرْتِــلُ مُسْتَفِيضــاً

وَشَــيْطَانُ المَشَــاعِرِ، بانْــدِفَاعِ

المعنى: تنادمني: من نَادَمَ جَلِيسَهُ : سَامَرَه أي حدَّثَهُ. و اليَرَاعُ : قصبٌ يتّخذ

منه الأقلامُ. نَـاعِ: النَّـاعِي، وهـو مَـن يـأتي بخـبر المَـوْت. وفي هـذا البيـتِ إشـارةٌ إلى مقدارِ المعاناةِ التي عاشها الشاعرُ حينَ كان يكتبُ الشعرَ. رقاعي: جمع رقعة وهـي القطعة من الورق أو الجلد يكتب عليها. خطَـراتُ: الخَطْـرَةُ : مـا يخطـر في القلـب. فكأنَّ الشعرَ يندمجُ مع خَطَراتِ الروحِ. نَهَجَ لَهُ نَهْجاً : خَطَّ، رَسَـمَ لَـهُ طَريقـاً يَسـيرُ عَلَيْهـا. وكـأنني أريـدُ بـالنهجِ الطريـقَ التـي توصـلني إلى مـا يقـودُ إليـه الـوعيُ الصحيحِ، لا التندرِ واللهو أو التكَسُّبِ كما يرتأى بعـض الشـعراءِ. لمـاذا؟ لأن هـذا القريض الذي اكتبُهُ جاءَ من رَحِمِ الأيامِ الصعبةِ التي عشتها في تلـكَ الفـترةِ، لأن من صدرِ المآسي هـذه كـان فطـامي وأنـا صـغير. وهنـا اسـتعارةٌ لطيفـة لا أعتقـد أن أحداً سبقني إليها. فكتبتُ القصائد ولا غيرها في قلاعي مفرد قلعة، وهي الحصـنُ الممتنع في الجبل. والمتاع: هو زادُ المسافرِ فكأن الروح تخفي هذا المتاعَ عـن المهـاجرِ، وهو المسافر في هذه الحياة. والقِصاعُ جمعُ القَصْعَةُ : وَعاءٌ يؤكَـلُ فيـه ويُثـرَد، وكـان يُتَّخذُ من الخشب غالبا. شَظِفَ عَيْشُهُ : ضَاقَ، اِشْـتَدّ. بقـاع: جمـعُ البُقْعَـة : القطْعـة من الأَرض تتميَّز ممَّا حولها. رتِل الكلامُ: تناسَق، انتظم وحسُـن تأليفُـه. يَسْـتَفِيضُ فِي الحَدِيثِ : يُطْنِبُ فِيهِ وَيَتَوَسَّعُ. فكأنني أقولُ : إن الشعرَ جاءَ منتظماً، ومتوسعاً في معانيه، وقـد أوحـى إليَّ بكـل هـذا شـيطانُ المشـاعرِ، وهـو مـا يُعـرفُ بـين الشـعراء بشيطانِ الشعر. وهذا من الجري على نمط ما جـرى عليـه هـؤلاءِ، ولـيس بحقيقـي لأن الإيحاء، بالنسبة لي، يكونُ من مشاعري لا من الشيطان.

اللطيفة العشرون

"ماذا يعني لك الأدب؟"

الأدبُ كَلِمَةٌ فَضفاضَةٌ، وارِفةُ المعاني، متباينةُ الفَهمِ، لا مَجالَ لأنْ تُحَدَّ بِحَدٍّ مَحدودٍ. ومِنَ التَّعريفاتِ التي وجدتُها في بطونِ الكُتبِ هذه التي أورِدُها ههنا:

يقولُ (جون سذرلاند) في كتابِهِ" مختصرُ تاريخِ الأدبِ" بتصرف: (الأدبُ مجموعةٌ من الحروفِ ذواتِ قوة سحرية تفوق كثيرا أي شيء يستطيع الساحر أن يجذبه من قبعته. الأدب هو العقل البشري في أقصى قدراته على التعبير عن العالم المحيط بنا وتفسيره. إن الأدب في أفضل أحواله لا يبسِّطُ عقولنا وحواسنا ولكنه يوسعها الى الحد الذي نستطيع به أن نتعامل مع التعقيدات حتى وإن كنا لا نتفق مع ما نقرأُ بين ايدينا في أغلب الأحيانِ).

كانت لفظة (الأدب) تعني في الجاهليّة "الدّعوة إلى الطّعام"، كما قال الشّاعر (طرفة بن العبد) في الشّطر الثّاني من بيت شِعريّ له: (لا ترى الآدِبَ فينا يَنتقِرْ) أي؛ لا ترى من يدعو إلى الطّعام منهم يُطعم أحداً ويستثني آخر. أمّا في العصر الإسلاميّ فقد تطوّر معنى الكلمة ليُصبح "الخُلُق الحسن" ، حتّى انتهت كلمة الأدب في الوقت الحالي إلى الدلالة على "الكلام المُتقَن بلاغيّاً" والذي يُعنى بما يُعبّر الإنسان من خِلاله عن مشاعِره وتجاربه بلُغة ممزوجة بالخيال والحقيقة؛ لتُحدث أثراً على القارئ والسّامع.

الأدب عند ابن خلدون يضمّ المعرفة الدّينيّة وغير الدّينيّة. الأدب عند ابن قُتيبة يتناول السُّنن السُّلوكيّة التي وجب مُراعاتها عند فئة مُعيّنة من النّاس. الأدب في بداية القرن التّاسع عشر يتضمّن كلّ ما ينظمه العقل أو الشّعور من الكلام البليغ، والذي يُفضي إلى التّأثير بعاطفة القارئ والسّامع. الأدب عند الغرب يتمثّل في مجموعة الأعمال النّثريّة والشِّعريّة المُميّزة بأسلوب بليغ، وبفكرة خاصّة بشعب ما، وبلغة ما، وهو كلّ ما يُنتجه الإنسان ممّا هو محفوظ ومطبوع.

إذن لم يتفق بل اتفق هؤلاء جميعا وغيرهم على أن الأدب هو نتاج العقل البشري المتقن الذي يدل على الرقي في تصوير العواطف البشرية والانسانية واظهارها على طبق من أطباق اللغة والبلاغة لكل راغب فيها.

الأدب لا ينفك يلازم النفس البشرية فقط، إذ لا يمكن أن نتصور أن من الحيوانات ما له القدرة على انتاج أدب مهما كان نوعه لأنه من نتاج العقل وهو مختص بالإنسان لا غير. وهل أن كل العقلاء لهم القدرة على هذا الانتاج؟ بالطبع لا. لا بد أن نميز بين الأديب وغيرِهِ من سائر البشر، القلة القليلة من هؤلاء هم الأدباء، يُدلُونَ بما جادت به قريحتُهم فينتفع بها المتذوقون للأدب وقُرّاؤُهُ. الأديب هو ذلك الإنسان الذي يغوص في أعماق النفس البشرية بوسائل عقلية وخيالية، يستخرج من أعماقها دراً خفيت عن أعين سائر البشر. الأدب هو متعة من متع الدنيا، يركن اليها كل قلب نابه الدهر بأنيابه، يريح الفكر فيه بعد رحلة مثيرة من

البحث عن الراحة والهدوء. الأدب هو الخادم المطيع لسيده العقل، يجود بما جادت به القرائح والعواطف، بلغة لا يفهمها الا من لامس بأنامله جبين الانسانية. الأدب هو نتيجة البحث المجنون الذي دام آلافاً من السنين، حتى وصل ما وصل اليه دون أن نتوهم التوقف وحتى تسكن الحياة وتنثر الجبال، وتعود الأرض الى طاقتها الأولى، حينها يكون قد سلم الأدب رسالته الى عالم لا نعلم ما يدور فيه.

الأدب هو المفتاح الذهبي الذي يفتح مغاليق العلوم، اذ لا نتصور علما دون آداب خاصةٍ يقفوها من أراد الولوج في متاهاتها. وهناك الكثير مما يقال في شرح هذه المفردة التي حيرت أذهان العقلاء والأدباء أنفسهم حتى كأنهم لا يعرفون ما يعنيه هذا الاسم بالرغم من تسميتهم به!! وهذا من أغرب الأمور.

اللطيفة الحادية والعشرون

"رد على مقالة"

قَرَأْتُ قَبْلَ أَيَّامٍ مَقَالَةً فِي مَجَلَّةِ الْعَرَبِيّ الكويتيةِ الْعَدَد ٧١٨ سِبْتَمْبَر ٢٠١٨، لِكَاتِبَةٍ وأكاديميةٍ مِن لُبْنَانَ، تَحْتَ عِنْوَانٍ فرعيّ (قَطِيعَةٌ مَع التراثِ)، مَا نَصُّهُ: ((يظهرُ جَلِيًّا لِكُلّ مُتَتَبِّعٍ لِلنِّتَاجِ الأَدَبِيّ الْعَرَبِيّ الحَدِيثِ، أَنَّ هَذَا الْأَخِيرَ هُوَ وَلِيدُ قَطِيعَةٍ مَعَ التُّرَاثِ وارتباطٌ بِالتَّجَارِبِ العَالَمِيَّةِ. إذ هُنَاكَ وَرِيثُ الرومانطيقيين(جُبْرَان، مُطْران، العقاد، المازني)، ووريثُ الرمزيين والبارناسيين (سَعِيد عَقْل، صَلَاح عَبْد الصبور)، ووريثُ السورياليين والدادائيين (شَوْقِي أَبِي شقرا، إنْسِيّ الحاج)، ووريثُ سان جون برِس (أدونيس)، ووريثُ إليوت وبروتون (يُوسُف الخَال، خَلِيل حاوي). وَلَا ذِكْرَ لِمَن يُمْكِنُ اعْتِبَارُهُ وَرِيثَ امْرِءِ الْقَيْسِ أَوْ جَرِيرٍ أَوْ أَبِي تَمَّام أَو الْمُتَنَبِّي، إلَى مَا هُنَالِكَ مِنْ شُعَرَاءَ أَمْضَيْنَا سَنَوَاتٍ نَحْفَظُ أبياتَهم عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ فِي الْمَدْرَسَةِ ثُمَّ فِي الجَامِعَةِ. لَيْسَ فِي هَذَا الْقَوْلِ نَقْدٌ لِمُعاصِرينا، وَلَا انْتِقَاصٌ مِنْ قِيمَةِ قُدَمائِنا، بَل مُحَاوَلَةٌ لاسْتِقْرَاءِ وَاقِعِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيّ الراهنِ)). انتهى كلامُها.

قُلتُ: يُذَكِّرُنِي هَذَا الْكَلَامُ، بِمَسْأَلَةِ سَدِّ بَابِ الِاجْتِهَادِ الفِقهيِّ، وَالِاكْتِفَاءِ بِمَا وَضَعَهُ الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ مِنْ زُعَمَاءِ المَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالْحَنْبَلِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالمَالِكِيَّةِ. وَكَأَنَّ على الْعَقْلِ أَنْ يَتَوَقَّفَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ، وَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ فِي زَمَنٍ غَيْرِ زَمَانِهِم، فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ أَدِلَّتِهَا. وَلَا أَدْرِي هَلْ كَانَ

الْوَحْيُ يَنْزِلُ على هَؤُلَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَحُرِّمَ النّقّاشُ فِي الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ رَغْمَ الِاخْتِلَافِ الْبَيِّنِ فِي هَذِهِ الْأَحْكَامِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ أَنْفُسِهِم. وَمَنْ قَرَأَ تَارِيخَ ابْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيِّ الْأَنْدَلُسِيّ، يَجِدُ الجَوَابَ الشَّافِي فِي جُمُودِ بعضِ علماءِ الدينِ اللاحقينَ لَهَؤُلَاءِ وَعَدَمَ تَقَبُّلِهِمْ لِلنَّقْدِ أو على الأقلّ للتحديثِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ كَمَا قُلْنَا. مِنْ هَذَا الحَدِيثِ نَسُوقُ مَا نُرِيدُ أَنْ نُبَيِّنَهُ فِي مَورِدِ الرَّدِّ عَلَى كاتِبَتِنا الْكَرِيمَةِ، هُوَ أَنَّ بَابَ الشِّعْرِ وَالْأَدَبِ لَمْ يُغْلَقْ، وَلَمْ تَتَوَقَّفْ عَجَلَتُهُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي أَوْ أَبِي تَمَّامٍ وَغَيْرِهِ من شُعَراءِ العُصورِ الاسلاميةِ أو الجاهليةِ، لَكِنَّ الْأَمْرَ لَا يَعْدُو كونَ جُلِّ هَؤُلَاءِ الشُّعَرَاءِ كَانُوا أَصْحَابَ تَزَلُّفٍ وَتَبَعِيَّةٍ وَتَقْدِيسٍ لِلسَّلَاطِينِ وَالْحُكَّامِ، فَذَاعَ صِيتُهُمْ فِي الْآفَاقِ، وَعَلَا نَجمُهُمْ بَيْنَ الأَنْدَادِ، وَخُطَّتْ أَشْعَارُهُمْ عَلَى الْأَوْرَاقِ، واندثرَ مَنْ هُمْ أَعْلَى كَعْبًا مِنْهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ بِاسْتِطَاعَتِهِ الْوُصُولُ إِلَى مُرَافَقَةِ الْمُلُوكِ، بَلْ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ ثَمَنَ الْمِدَادِ، فَيَخْمدُ أَثَرُهُ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، وَيُمْحَى صِيتُهُ مِن سِجِلِّ الْبِلَاد. هُنَاكَ مِمَّنْ وَثَّقَهُ بَعْضُ الْكُتَّابِ الْقُدَمَاءِ أَمْثَال صَاحِبِ الْأَغَانِي، أو صاحبِ كتابِ يتيمة الدهرِ، وَغَيْرِهِ، مِنَ الشُّعَرَاءِ المغمُورينَ الْمُجِيدِينَ، فَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُمْ الْكَثِيرُ بِسَبَبِ ضَعْفِهِمْ، أَو فَقْرِهِمْ، أَوْ بِسَبَبِ خَوْفِهِمْ وَخَشْيَتِهِمْ مِن إِعْلَانِ أَشْعَارِهِمْ فِي حَضْرَةِ الْمَلِكِ. وَهَذَا الْأَمْرُ بِقَضِّهِ وَقَضِيضِهِ يَحْدُثُ الْآنَ. ناضلَ الْمُتَنَبِّي بِشِعْرِهِ مِنْ أَجْلِ الْمُلْكِ، فَمَدَحَ وَهَجَا وقارعَ الخُصُومَ حَتَّى قُتِلَ لِأَجْلِ هَذَا. عاصر الْمُتَنَبِّي سيفَ الدولةِ الحَمدَانيِّ، ومَدَحَهُ، وكان ذا حظٍّ عندَهُ، كما ذهبَ لفارسَ والعِراقِ،

فمَدَحَ عَضُدَ الدولةِ، ابن بويه الديلمي، ومدحَ كافورَ الإخشيديِّ في مصرَ، طالباً إياه الوِلايةَ، فَلَمْ يُعْطِهِ، فهجاهُ قائلاً:

لا تشترِ العبدَ إلاّ والعَصا مَعهُ

إنّ العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ

أَمَّا امْرُؤُ الْقَيْسِ فَكَانَ ابْنَ مَلِكٍ، وَالنَّاسُ تَهَابُ أَبْنَاءَ الْمُلُوكِ كَمَا الْمُلُوك، وَهَلُمَّ جَرَا. أَمَّا لِمَاذَا لَمْ يَظْهَرْ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَمْثَالُ أولئكَ، يحتذونَ حَذْوَهُم حَذْوَ الشِّعْرِ بِالشِّعْرِ، والأسلوبَ بالأُسلوبِ، فَلَا وُجُودَ لِلنّاقَةِ وَالْبَعِيرِ فِي زَمَانِنَا، وَاقْصِدُ لا أَهَمِّيَةَ لَهَا فِي عَالِمِنَا فنتغنَّى بِها، ونربطُ مَصِيرَنَا بِمَصِيرِها! الزَّمَن يَتَغَيَّر، وَاللُّغَةُ تَتَطوَّرُ، والأشياء المهمة في حياتنا تتبدلُ. فَمَا كُتِبَ فِي الْعَصْرِ الجَاهِلِيِّ، حيث جشوبةُ العيشِ، والتَّغَنّي بالنهب والسلب والغارات والبطولات والسيف والخيل، غَيْرُ الَّذِي كُتِبَ مِنْ شِعْرٍ فِي أَيَّامِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، حَيْثُ التَّرَفُ والانتعاشُ الاقْتِصَادِيّ، وَالِاسْتِقْرَارُ فِي الْمُدُنِ. فالتَّحَضُّرُ فِي وَقْتِهِ قَدْ وَصَلَ إِلَى قِمَّتَهِ بِالنِّسْبَةِ الى الدُّوَلِ الْمُجَاوِرَةِ لِبَغْدَادَ. وَمَا كُتِبَ مِنْ أَدَبٍ وَشِعْرٍ فِي الْأَنْدَلُسِ كَان مُسايراً لترَفِ الْعَيْشِ الَّذِي كَانَتْ تَتَّصِفُ بِهِ لَيَالِي الْأَنْدَلُس.

أَمَّا قَوْلُ الأَكَادِيمِيَّةِ الْفَاضِلَةِ بِأَنَّ مِنَ الجَلِيّ ظُهُورَ قَطِيعَةٍ مَعَ التُّرَاثِ الْعَرَبِيّ، فَلَا أُوافقُها فِي هَذَا الحُكْمِ. لِنَقُولَ أَنَّ مَا يُكْتَبُ الْآنَ هُوَ اسْتِمْرَارٌ لِمَا كَانَ يُكْتَبُ فِي الزَّمَنِ الجَاهِلِيّ لَكِنهُ بِحُلَّةٍ حَدِيثِةٍ، جديدةٍ، فجاءَ الشعرُ أَوْسَعَ مَعْنَى، وَأَدَقَّ مَبْنَى،

وَأَكْثَرَ الْتِزَامًا بِقَوَاعِدِ الْعَرُوضِ الخَليليَّةِ، وَهَذَا هُوَ التَّطَوُّرُ الطَّبِيعِيِّ فِي عالَمِ الشِّعْرِ وَالْأَدَبِ، كالتطورِ الطَّبِيعِيِّ فِي الصِّنَاعَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْعُلُومِ. لَا يُمْكِنُ ،وأَنا شاعرٌ، أَنْ أَتغنَّى بِالْبَعِيرِ وَالنَّاقَةِ وَالظَّبْي وَأَنا لَمْ أُشَاهِدْ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ بِأُمِّ عَيْنِي، إِلَّا مَا يَعْرِضُهُ التَّلْفازُ. كُلُّنَا نستمدُّ مِنَ التُّرَاثِ أَصَالَتَنا، وَنُضَمِّنُ كتاباتِنا الشِّعْرِيَّةَ والنَّثريَّةَ مُفْرَدَاتٍ كَانَتْ شَائِعَةً فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، مُضَافٌ لَها مُفْرَدَاتٍ تَطَوَّرَتْ فِي زَمَانِنَا لِأَنّ الْجُمُودَ عَلَى الْقَدِيمِ لَا يُقِرُّهُ الْعُقَلَاءُ، ويَمقُتُهُ الْعَقْلُ الحَدِيثُ، وَلَن يَهْتَمَّ بِهِ الجِيلُ الجَدِيدُ. تَأَثَّرَ الْعَالَمُ بِالنِّتَاجِ الْعَرَبِيّ، لَكِنَّ الشَّاعِرَ الْإِنْكِلِيزِيّ لَا يُمْكِنُهُ كِتَابَةَ قَصِيدَةٍ عَمُودِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَهَذَا أَمْرٌ تَفَرَّدَ بِهِ الشَّاعِرُ الْعَرَبِيّ، وَهَذَا مِنْ مميزاتِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ. فِي الْمُقَابِلِ كَتَبَ شُعَراؤُنا كَثِيرًا مِنَ الْقَصَائِدِ ذَاتِ الْبِنْيَةِ الانكليزيةِ، أَو الْغَرْبِيَّةِ، كَوْنُهَا لَا تُثْقِلُ كَاهِلَ الْأَدِيبِ، إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْبَسَاطَةِ والسَّلاسَةِ بِمَكَانٍ لَا يُنْكِرُهُ القاريء. لِكُلِّ قَوْمٍ أَدَبُهُم الخَاصّ بِهِم، وَمِنْ بَرَاعَةِ الشعراءِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ كَتَبُوا الشِّعْرَ الْعَمُودِيّ الْقَدِيمَ، وَكَتَبُوا الشِّعْرَ الْغَرْبِيَّ الحَدِيثَ على السواءِ، وَهَذَا لَا يُتْقِنُهُ غَيْرُهُم.

أَمَّا الْمَسْأَلَةُ الْأُخْرَى التِي ذَكَرَتْهَا كَاتِبَتُنا الْكَرِيمَةُ فَهِيَ أَنَّ الجَرْيَ وَرَاءَ فُنُونٍ ذَكَرَتهَا بِمَعرِضِ الحَدِيثِ عَنْ (جبران) و(العقاد) وَغَيْرِهِم، فَأَقُول: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُمَثِّلُونَ شَيْئًا قُبالةَ الْكَمِّ وَالنَّوْعِ الهَائِلِ مِنْ شُعَرَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَمَنْ أَعْطَاهُمْ هَذِهِ الشُّهْرَةَ هُوَ الْإِعْلَامُ، وَنَشْرُ نِتَاجِهِمْ فِي المَنَاهِجِ المدْرَسِيَّةِ، وَتَدْرِيسُ

مَورُوثِهِمُ الأدبيِّ فِي الجَامِعَاتِ. وَهُنَاكَ مَنْ هُمْ بمرتبتِهِم فِي رَصانَةِ النِّتَاجِ الأَدَبِيّ وَلَمْ يَذْكُرْهُمْ ذَاكِرٌ. لَا أَقُولُ وَلَا أُرِيدُ أَنْ يَفْهَمَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ السُّطُورِ أَنَّنِي أُقَلِّلُ مِنْ شَأْنِ هَؤُلاءِ، إِنَّمَا مَا أُرِيدُ إيصَالَهُ مِنْ فِكرَةٍ هي أَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَتَوَقَّفْ عِنْدَ هَؤُلَاءِ، وَأَنَّ مِنَ المغمُورينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ فِي وَقْتِنَا هَذَا مَنْ هُمْ بمرتبتِهِمْ أَوْ أَكْثَرَ، لَكِنَّ الدِّعَايَةَ وَالْإِعْلَامَ لَمْ يَشْمَلْهُم بِعَطْفِهِ وَاهْتِمَامِهِ. وَمِنَ الْعَادَاتِ الَّتِي تَمَيَّزَ بِهَا الْإِنْسَانُ الْعَرَبِيُّ هِيَ التَّقْدِيسُ لِلأَشْخَاصِ والرُّموزِ، دِينِيَّةٍ كَانَتْ أَم سِيَاسِيَّةٍ، بَل وأدبيةٍ. يُقَدِّسُونَ أَحْمَد شَوْقِي بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْأَخِيرَ كَتَبَ قَصِيدَةً يَهْجُو فِيهَا الثّائِرَ المِصْريَّ ضد الانكليز (أحمد عرابي)، وَيَلومُهُ لِأَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ. وَمَا دَرَى شوقي أَنَّهُ يَعْتَرِفُ لَهُ ضِمناً بِالْوُقُوفِ بِوَجْهِ البريطانيينَ والخديوي. هَذَا مِثَالٌ للشُّعَراءِ المُتَزَلِّفينَ الَّذِين كَتَبُوا رثاءً لِسُقُوطِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَأَسْمَاهَا دَوْلَةَ الخِلَافَةِ، الَّتِي كَانَتْ السَّبَبَ الْأَوَّلَ فِي تَخَلُّفِ الْعَرَبِ فِي كُلِّ الْمَجَالاتِ. وَنَسِيَ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ خُلَفَاؤُهُ فِي قُصُورِهِمْ مَعَ حَرِيمِ السُّلْطَانِ ! ! وَالْفُجُورَ الَّذِي كَتَبَهُ الْأَتْرَاكُ بِأَنْفُسِهِم وَبَثُّوهُ عَلَى شاشاتِ التَّلْفازِ ! ! مَا أَعْجَبَكُمْ، وَبِمَاذَا تَكِيلُونَ الْحُقَّ.

لَا يُمَثِّلُ هَؤُلَاءِ إِلَّا نَزْرًا بَسِيطًا مِنَ الْكَمِّ الْكَبِيرِ مِنَ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ أَعْرِفُ بَعْضَهُمْ وَقَدْ أَجَادَ أَيَّمَا إِجَادَةٍ فِي كِتَابَةِ الشِّعْرِ، وَهُنَاكَ مِنْ بَيْنِ رِفَاقِنَا مَنْ هُمْ أَكْثَرُ شَاعِرِيَّة مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ فَاضِلَتُنَا. لَمْ يَتَوَقَّفْ الشِّعْرُ عِنْدَ جُبْرَان وَلَا مُطْران وَلَا عِنْدَ أَمْثَالِهِم، فَقَدْ كَتَبَ هَؤُلَاءِ عَلَى الغِرَارِ الْحَدِيثِ، وَهُنَاكَ مَنْ كَتَبَ عَلَى

الطِّرَازِ الْقَدِيمِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَخْلُقَ امْرِءَ الْقَيْسِ مِنْ جَدِيدٍ، بَلْ ظَهَرَ مَخْلُوقٌ جَدِيدٌ اسْمُهُ الجواهريّ أَو مَحْمُود سامِي البارودي، أَو السّيّاب، أَوْ غَيْرُهُمْ يُمَثِّلُون أَسْمَاءَهُم، وشخصياتِهم، وَلَهُمْ طَرِيقُهُم الخَاصُّ، وَكُلٌّ أَبْدَعَ بفَنِّهِ وَعَلَى طَرِيقَتِهِ الخَاصَّةِ، وَالْقَاضِي هُنَا هُوَ الذَّائِقَةُ، وَهِيَ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمَيْنِ. لِنهتَمَّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ فِي خَلْقِ ذَائِقَةٍ بَيْنَ النَّاسِ وَإِبْرَازِ ما للشِّعرِ مِنْ تَأْثِيرٍ وِجْدَانِيٍّ ومَصيريٍّ، مِنْ خِلَالِ الْإِعْلَامِ وَنَشْرِ الْقَصَائِدِ وَإِقَامَةِ المِهْرَجَانَاتِ الَّتِي يُسْمَحُ بِالِاشْتِرَاكِ فِيهَا لِكُلِّ مَنْ عُرِفَتْ عَنْهُ الْكِتَابَةُ الرَّصِينةُ بَعِيدًا عَنِ العَلاَقَاتِ الشَّخْصِيَّةِ والانتماءاتِ الْعِرْقِيَّةِ والمَذهبيةِ والقُطريَّةِ الضَّيِّقَةِ. وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ أَتَذَكَّرُ أَنَّ مِهْرَجَانَ الْمِرْبَدِ الَّذِي يُعْقَدُ فِي مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ كُلَّ عَامٍ، كَيْفَ كَانَ يحتضِنُ الشُّعَرَاءَ الْكِبَارَ الْمُجِيدِينَ، فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ يَجْمَعُ كُلَّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ بِطَرِيقِ الْوَسَاطَةِ والعلاقاتِ الشَّخْصِيَّةِ المقيتةِ. وَحَقٌّ لَهُ الشِّعْرُ أَنْ ينتحرَ عَلَى أعتابِ هَؤُلَاءِ ، وينحَبَ بسببِ فعل العَابِثِينَ.

قُلتُ في هذا الموضوعِ بعضَ أبياتٍ من الكاملِ:

نَعْيـاً سَـمِعْتُ مِـن الفَوَاضِـلِ هاتِفـاً
مـاتَ امْـرُؤُ القَـيسِ، القَـديمُ، الفَاضِـلُ
مــاتَ القَــريضُ بِمَوتِــهِ فَقَريضُــنَا
يَـا لَلأَسَـى، مَـا كَـانَ شَـيئاً، بَاطِـلُ

فَكَـــأَنَّ في مَـــوتِ القَـــديمِ هَلاكَنـــا
وَكـــأنَّ إِحْيـــاءَ الجَديـــدِ لَحَائِـــلُ

قالـــتْ: كَـــأَنَّ الشِّـــعرَ في سَـــوراتِهِ
الآنَ، يَنْقُـــرُ في صُـــخُورٍ، ذابـــلُ

قُلـــتُ: الـــذي أَعْيَـــاهُ قَوْلَـــةُ نَاحِـــلٍ
لَـــنْ يُـــنْعِشَ الشِّـــعرَ الحَـــديثَ الناحِـــلُ

لا تَقْنَطِـــي مِـــنْ فَقْـــدِ ذلـــكَ واســـمَعِي
إِنَّ المَقَـــالَ رَهِـــينُ مَـــنْ هُـــوَ قَائِـــلُ

وَغَفِلْـــتِ في هـــذَا المَقَـــالِ حَقيقَـــةً
اَنَّ القَـــريضَ المَحْـــضَ فِينَـــا جَائِـــلُ

وَعُيـــوبُ مَـــنْ نَظَـــمَ السَّفاسِـــفَ جَمَّـــةٌ
وَوُجُودُهَـــا مِـــنْ بَعْـــدِ ذَلـــكَ زَائِـــلُ

لاَ يَغْفِـــرُ التّـــاريخُ أَيَّـــةَ زَلَّـــةٍ
فَصَـــحَائِفٌ كُتِبَـــتْ وَمِنهَـــا طَائِـــلُ

اليـــومَ فِينَـــا مَـــنْ يُـــلاذُ بِعِطْفِـــهِ
في الشِّـــعْرِ مِـــنْ أَدَبٍ رَصِـــينٍ ناهِـــلُ

لكـــنما خـــدم الأوائـــلَ سُـــلطَةٌ

ومـديحُ مـن غَلَـبَ الضَّـعيفَ، و بـاذِلُ

فَلتَـاتُ عَصْـرٍ لَـنْ تَكـونَ لِوَحْـدِها

حَكَـماً عـلى كُـلِّ العُصـورِ تُسَـاجِلُ

اللطيفة الثانية والعشرون

"متسوّلُ المدح"

أكتبُ هَذِهِ المقالةَ وَأَنَا آسفٌ عَلَى مَجْمُوعَةٍ كبيرةٍ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ، ورُفَقاءِ القَلمِ، وَجُلَسَاءِ الْأَفْكَارِ، ونُدَماءِ الْعُقُولِ، مِمَّنْ أَجَادُوا أَيَّمَا إِجَادَةٍ فِيمَا خَطَّتْهُ أَنَامِلُهُم، وَهُمْ فِي خِضَمِّ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ مِنَ الْأُدَبَاءِ والكُتَّابِ، وَالمَعِينِ الَّذِي لَمْ يَنْضُبْ مِنَ الشُّعَرَاءِ، آسِفٌ عَلَى صِفَةٍ، وَأَظُنُّهُ خُلُقًا فِيهِم، وَهِيَ اِسْتِجْدَاءُ المَدِيحِ، واستِدْرارِ الْإِطْرَاءِ، وَانْتِظَارِ الْإِعْجَابِ بِالْقَوْلِ أَوْ الْكَلِمَةِ المَكْتُوبَةِ. يَكْتُبُ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِن مَوْهِبَةٍ وَقُدْرَةٍ فِكْرِيَّةٍ وأَدَبِيَّةٍ، وَيَسْهَرُ اللَّيَالِي، مِنْ أَجْلِ إِخْرَاجِ نِتاجِهِ الأَدَبِيّ فِي جَرِيدَةٍ أَو مَجَلَّةٍ أَو واحَةٍ أَدَبِيَّةٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ خامِلَةٍ، عَلَى الْأَعَمِّ الْأَغْلَبِ، مِنَ المَجْمُوعاتِ الأَدَبِيَّةِ وَالشِّعْرِيَّةِ، مُنْتَظِرًا مِنَ الَّذِينَ تَوَسَّمَ فِيهِمْ حُسْنَ الْإِطْرَاءِ، وَجَزَالَةَ المَدْحِ، وَذَلاقَةَ اللِّسَانِ، وَفَنَّ الْوُصُولِ. يُلْقِي بِنِتَاجِهِ الأَدَبِيّ وَغَايَتُهُ هَذَا الَّذِي يَجُودُ بِهِ الْأَصْدِقَاءُ وَالْأَقْرِبَاءُ، لَيْسَتِ الْغَايَةُ رَصانَةَ الْعَمَلِ، وحِبْكَةَ المنتجِ، وَبَلَاغَةَ المَعْنَى وَفَصَاحَةَ الْكَلِمَةِ فِيهِ، فَتَجِدُهُ يَخْسِفُ وَجْهَهُ بَعْدَ عَدَمِ الحُصُولِ عَلَى الْإِطْرَاءِ المَنشودِ وَالمَدْحِ المرصودِ، فَيستشيطُ غَضَبًا وَيَرْمِي الْقَلَمَ وَالْوَرَقَ، وَيَلْوِي عُنُقَهُ ذَامًّا النَّاسَ جَمِيعًا، فيَرمِيهِمْ بِأَنْوَاعٍ مِنْ كَلِمَاتِ التَّقْرِيعِ والانتِقاصِ، وَكَأَنَّهُ يَعِيشُ فِي عَالَمٍ آخَرَ عاجِيّ. لَمْ يَعْلَمْ هَذَا المَخْلُوقُ بِأَنَّ الْعَمَلَ لَهُ لِسَانٌ، يَتَكَلَّمُ دُونَ أَيِّ أَمْرٍ مِنْهُ، سِوَى إِظْهَارُهُ لِلْآخَرِين، فِي سَاحَةِ الْأَدَبِ وَالشِّعْرِ، أَو سَاحَةِ الْإِبْدَاعِ إِنْ كَانَ عَمَلًا

هندسياً أَو معمارياً أَو تكْنُولُوجِياً. دَعْ أَعْمَالَكَ تَتَكَلَّمُ وَلَا دَاعِيَ لِأَنْ تَرْمِيَ أَقلَامَكَ، وتُغلِقَ أَبْوابَكَ، وتَطرُدَ خِلَّانَكَ، وتزدَري إخْوَانَكَ، فَالْعَمَلُ سُلُوكٌ، وَالسُّلُوكُ خُلُقٌ، وَالخُلُقُ لَا يَخْفَى عَنِ الْمُتَتَبِّعِينَ وَالنَّاظِرِيْنَ. لَا تَنْسَ أَنَّ عُيُونَ الحَاسِدِينَ كَثِيرَةٌ، وأحداقَ أَمْثَالِكَ مَفْتُوحَةٌ، تَنْتَظِرُ مِنْكَ مَا انتظَرْتَ مِنْهُمْ طَوَالَ هَذِهِ السِّنِينَ. لَا تَحْزَنْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُقَدِّرُوا أَعْمَالَكَ بالعَلَنِ، فأَعْماقُ النَّفْسِ أَوْسَعُ غَوْرًا مِنْ ظَاهِرِهَا، وَمَتاهَاتُهَا أَكْبَرُ مِنْ أَن تُحِيطَ بِهَا أَوْ تَطَّلِعَ عَلَيْهَا. مَنْ لَمْ يُطْرِكَ عَلَناً فَلَرُبَّمَا أَطْرَاكَ فِي الخَفَاءِ، لِأَنَّ قَاضِيَ الذَّائِقَةِ فِي أَعْمَاقِ النَّفْسِ تَقُولُ مَا لَا يَقُولُهُ اللِّسَانُ تَكَبُّرًا وَاسْتِخْفَافًا. لَوْ كَانَ عَمَلُكَ مُسْتَوْفِيًا كُلَّ مُتَطَلَّباتِ الْعَمَلِ الْمُتكاملِ، وَمَبْنِيًّا عَلَى أُسُسٍ رَصِينَةٍ مِنَ الْحِبْكَةِ وعناصرِ التَّكامُلِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَنتَقِشَ أَثَرُهُ فِي النُّفُوسِ وَيَأْخُذَ مَكَانَهُ فِي الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ. خُذِ الْقَلَمَ، وَاكْتُبْ مَا رَاقَ لَكَ، وَقُلْ الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَعْطَاكَ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ الْأَدَبِ أَوِ الصّنْعَةِ، وَحَلِّقْ بالمَوهبَةِ بَعِيدًا، دُونَ غُرُورٍ، وَبِلَا انْتِظَارٍ لِهباتِ الحَاسِدِينَ، وَغَيْرِ الحَاسِدِينَ، فَكُلُّنَا بَشَرٌ جُبِلَ عَلَى كَرَاهَةِ المُنافِسِ، وَحَسَدِ الأَنْدَادِ. لَا تَكُنْ طَالباً لِلْمَدْحِ، لِأَنَّكَ ستخرجُ مِن خَانَةِ الْمُبدِعينَ الصَّامِتينَ فَتَأْخُذُ اسْمًا جَدِيدًا بِلَا فَخْرٍ هُوَ مَا أُسَمِّيهِ " مُتَسَوِّلُ المَدْحِ". قلتُ في هذا المعنى بعضَ أبياتٍ:

يَـا مَـنْ تَسَـاءَلَ دَائِبًـا[٣١] عَـنْ مِدْحَـةٍ

خَفِّــفْ، فَجُــلُّ المَــدْحِ وَالْإِطْــرَاءِ

بَــابٌ كَــأَبوابِ التَّمَلُّــقِ صــادِحٌ

ذُو المَــدْحِ بــالتَّهريجِ فِي الْأَرْجَــاءِ

لَا تَحْسَــبِ المَشْــغُولَ عَنْــكَ مُجَافِيًــا

بَــلْ نَاصِــحًا بِالْعَقْــلِ وَالْإِبْــدَاءِ

مَـنْ يَصْـنَعِ المَعْـرُوفَ فِيـكَ تَزَلُّفـاً[٣٢]

هُــوَ خَــادِعٌ، فِي زُمْــرَةِ الأَعْــداءِ

كُـنْ مَاجِـدًا بِالْفِعْـلِ تَعْلُـو وَالنَّـدَى

مِــن رَاحَتَيْــكَ كَرَوْضَــةٍ غَنَّــاءِ

الْغَـيْمُ يَهْمِـي فِي مَفَـاوِزَ[٣٣] جَدْبَـةٍ[٣٤]

يَسْــقِي بِــلَا مَــدْحٍ ثَــرَى الجَــدْبَاءِ

---

[٣١] دَائِبٌ فِي عَمَلِهِ : جَادٌّ، مُنْهَمِكٌ

[٣٢] التَّزَلُّفِ : التَّذَلُّلِ، التَّقَرُّبِ إِلَى الشَّيْءِ بِمَهَانَةٍ وَمَذَلَّةٍ

[٣٣] مَفَاوِز: صَحَارَى، فَلَوَات

[٣٤] مكان جدْب/ جديب: قَحْط، لا زرع فيه ولا ماء

عَبِّــدْ طَرِيقَــكَ بالإِخَــاءِ تَسَــامِياً

وَاغْسِـلْ عُيونَـكَ مِـنْ نَـدَى الأَجْـوَاءِ

وَاعْمَـلْ بِصَـمْتٍ لَا لَقِيتُـكَ صَـاخِباً

كَالضَّــوْءِ يَمْــرَحُ فِي دُجَــى الظَّلْــمَاءِ

الْبَحْــرُ يَكْنِــزُ مَــا تَعَــاظَمَ وَصْــفُهُ

مَــا زَادَهُ شــيئاً وَشَــى[٣٥] الأَصْــدَاءِ

وَالنَّهْــرُ يَجْــرِي كَــالْعُرُوقِ يَشُــدُّهُ

أَمَــلُ الْوُصُــولِ لِغَايَــةٍ زَوْرَاءِ[٣٦]

((٣٥)) وَشَى الكَلاَمَ:كَذَبَ فِيهِ، اِخْتَلَقَهُ.

((٣٦)) الزَّوراءُ : البعيدة

اللطيفة الثالثة والعشرون

"الألغاز الشعرية"

سَأَلَنِي صَدِيقٌ لِي بَعْدَ أَنْ قَرَأَ أَحَدَ الْأَلْغَازِ الشِّعْرِيَّةِ وَالَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَبْيَاتٍ سَمِعَهَا مِنْ أَحَدِ الْأَصْدِقَاءِ يَقُولُ فِيهَا :

وقاضٍ قَد قَضى في النّاسِ عَدلاً،

لَهُ كَفٌّ ولَيسَ لَهُ بَنانُ

رأيتُ النّاسَ قَد قَبلوا قَضاهُ

ولا نُطقٌ لَديهِ ولا لِسانُ

سَأَلَنِي: هَل وَرَدَتْ الْأَلْغَازُ الشِّعْرِيَّةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قديماً؟

قُلْت لَهُ: نَعَمْ قَدْ وَرَدَتْ أَمْثَالُ هَذِهِ الْأَلْغَازِ الشِّعْرِيَّةِ لَكِنَّنِي لَمْ أهتدِ إلَّا إلَى الْقَلِيلِ مِنْهَا. إمَّا جَوَابُ اللُّغْزُ فَهُوَ "الْمِيزَانُ".

ذَكَّرَنِي هَذَا الْبَيْتُ بأجملَ مُساجَلَةٍ شِعْرِيَّةٍ ذُكِرَتْ فِي دِيوَانِ الشَّاعِرِ الجَاهِلِيّ امْرِئِ الْقَيْسِ وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَلْغَازٍ شِعْرِيَّةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّاعِرِ عُبَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ. لَا تَسْلَمُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ أَو الْمُحَاوَرَةُ الشِّعْرِيَّةُ مِن الشَّكِّ فِي وُرُودِهَا مِن شُعَرائِهَا لَكِنَّهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ ماتِعَةٌ مَعْنَىً وَمَبْنَىً وَقَرِيبةٌ جِدًّا للأُسلُوبِ الَّذِي اعْتَدنَاهُ مِنْ إمْرِءِ الْقَيْسِ سأُورِدُهَا كَمَا وَجَدْتُهَا شَارِحًا بَعْضَ مُفْرَدَاتِهَا العَصِيَّةِ عَلَى الْفَهْمِ بِإِذْنِ الله.

جاء في " ديوان امرءِ القيسِ بن حُجْرٍ الكِنديّ " – صاحبِ المُعَلَّقَةِ – أنَّ عُبيد بن الأبرص لقي امرءَ القيسِ، فقال له : " كيف معرفتك بالأوابد؟[٣٧]

فقال امرؤ القيس : " قل ما شئت تجدني كما أحببت"

فقال عبيد بن الأبرص مُلغِزاً: [٣٨]

ما حيّةٌ ميتةٌ قامت بميتَتِها

درداءُ ما أنبتتْ سناً وأضراسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الشعيرةُ تُسقى في سنابلها

فأخرجتْ بعد طول المُكثِ أكداسا

والدرداء: مؤنث أدرد: درِد الشَّخصُ : سقطت أسنانُه كلّها أو تحاتّت أو تكسّرت إلى أصولها.

فقال عبيد:

ما السُّودُ والبيضُ والأسماءُ واحدةٌ

لا يستطيعُ لُهُنّ النّاسُ تَمسَاسَا ؟

تَمسَاسَا: مسَّ الشَّيءَ : لَمسه بيده : نزل به. فقال امرؤ القيس:

---

[٣٧] الأوابد : الشوارد من القوافي. والآبدة : الكلمة أو الفعلة الغريبة

[٣٨] مُلغِز: فاعل من أَلغَزَ، الغَزَكلامَه: عَمَّى مُرادَهُ وأَضمره على خلاف ما أظهره

تلك السحابُ إذا الرّحمانُ أرسلها

روّى بها من مُحول الأرضِ أيْبَاسَا

مُحول الأرض: مَحَلَ البَلَدُ : أَجْدَبَ ، أَيِ انْقَطَعَ عَنْهُ الْمَطَرُ فَيَبِسَتْ أَرْضُهُ.

فقال عبيد:

ما مُرتجاتٌ على هَولٍ مراكِبُها

يقطعنَ طولَ المدى سَيراً وَإمرَاسَا

مُرتجاتٌ: ارتجَّ الشَّيءُ : تحرَّك واهتزّ بشدّة اِرْتَجَّ البَحْرُ : اِضْطَرَبَ.

الهَوْلُ : الفزعُ. أَمْرَاسُ المَرْكَبِ : أَطْنَابُهُ ، حِبَالُهُ وأَمرَسَ حبلَ البكرةِ أي أعادَهُ الى مجراهُ لعله أراد أن هذه المراكب تسير وتعود الى مجراها بعد اضطرابها.

فقال امرؤ القيس:

تِلكَ النّجُومُ إذا حانَتْ مَطالِعُهَا

شَبّهتُهَا في سَوَادِ اللّيلِ أقبَاسَا

أقبَاسَا: القَبَسُ : النَّارُ ، أَو : شُعلةٌ من نار تُؤخذ على طرف عودٍ أو قضيبٍ من الشَّمع ؛ للإنارة أو غيرها.

قال عبيد بن الأبرص:

ما القَاطِعاتُ لأرضٍ لا أنيس بها

تأتي سِراعاً وما تَرجِعنَ أنْكاسَا ؟

أنْكاسَا: النَّكْسُ : قلب الشيء على رأسه أو العود بعد الذهاب.

فقال امرؤ القيس:

تلك الرّياحُ إذا هَبّتْ عَوَاصِفُها
كفى بأذيالهَا للتُّربِ كنّاسَا

فقال عبيد:

ما الفَاجِعاتُ جَهَاراً في عَلانِيَةٍ
أشدُّ من فَيْلَقٍ مَملُوءةٍ بَاسَا ؟

فقال امرؤ القيس:

تِلكَ المَنايَا فَمَا يُبقِينَ مِنْ أحدٍ
يَكفِتنَ حمقَى وما يُبقينَ أكيَاسَا

يَكفِتنَ: يمتنَ. الأكياس: جمع كيِّس ضد الأحمقِ.

فقال عبيد:

مَا السّابِقَاتُ سِرَاعَ الطَّيرِ في مَهَلٍ
لا يَشتَكينَ وَلَو أُلجِمتَها فَاسَا ؟

الفاس: من اللجامِ وهي الحديدة القائمة في الحنك.

فقال امرؤ القيس:

تِلكَ الجِيادُ عليَها القَومُ قد سبحوا

كانوا لُهُنّ غَدَاةَ الرَّوْعِ أحلاسَا

الأحلاسُ : الْوَاحِدُ حِلْسٌ: كِسَاءٌ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ تَحْتَ الْبَرْذَعَةِ.

فقال عبيد:

مَا القَاطِعَاتُ لأرْضِ الجَوّ في طَلَقٍ

قبل الصّباحِ وَما يَسرِينَ قِرْطَاسَا ؟

القِرْطاسُ: الجَمَلُ الأَبيضُ.

فقال امرؤ القيس:

تِلكَ الأمَانيُّ يَترُكنَ الفَتى مَلِكاً

دُونَ السّمَاءِ وَلم تَرْفَعْ لَه رَاسَا

فقال عبيد:

مَا الحاكمُونَ بلا سَمْعٍ وَلا بَصَـرٍ

ولا لِسَانٍ فَصِيحٍ يُعْجِبُ النّاسَا ؟

فقال امرؤ القيس:

تِلكَ المَوَازِينُ وَالرّحْمَانُ أنْزَلَهَا

رَبُّ البَرِيّةِ بَينَ النّاسِ مِقيَاسَا

تِلْكَ كَانَتْ مِنَ الأَلْغَازِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي ثَنَايَا أَدَبِنَا الْعَرَبِيّ الْقَدِيمِ رَغْمَ الشَّكِّ فِي صِدقِ رِوَايَتِهَا لَكِنَّهَا تَبْقَى مُمتِعَةً فِي مَعْنَاهَا وَمَبْنَاهَا كَمَا أَسْلَفْنَا.

فِي الْمُقَابِلِ كَانَتْ لِي بَعْضُ أَبْيَاتٍ فِي هَذَا السِّيَاقِ قُلْتُ فِيهَا :

تَطيرُ الى الفَضاءِ تَطيرُ طَيْراً
فَتَحْسِبُ ما يَطيرُ وَما يَحُطُّ
وَتَأكُلُ في مَحَاجِرِهَا حِجَاراً
تَخَافُ على الصَّدَاقَةِ ما يَحُطُّ
فَتُحْصي كُلَّ ما يَمضي بَعيداً
وَتَقرأُ كُلَّ ما الأَيدي تَخُطُّ
عَرَفْتَ اللُّغْزَ أَمْ أَحْضَـرْتَ عُذْراً
ففي بَعضِ العُقولِ يكونُ خَلْطُ

جَوَابُ اللُّغْزِ : هُو "العينُ" فَهِيَ الَّتِي تَطِيرُ بِنَظَرِهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ فَتَعُدّ مَا يَطِيرُ وَمَا يَنْزِلُ وَيَحُطّ وَتَأْكُلُ الْكُحْلَ وَأَصْلُهُ مِنْ الْحِجَارَةِ أَوِ الصَلْبِ، وَتَخَافُ عَلَى الْمِرْوَدِ لِأَنَّهُ صَدِيقُهَا الْوَحِيدُ الَّذِي يُلْقِمُهَا الْكُحْلَ. وَالْعَيْنُ تُحْصِي كُلَّ مَا يَذْهَبُ بَعِيدًا أَوْ يَعُودُ، وَتَقْرَأُ كُلَّ مَا يُكْتَبُ أَوْ تَخُطُّهُ الْأَنَامِلُ.

اللطيفة الرابعة والعشرون

"حِكَمٌ ومَواعِظ"

(١)

لَم تَفْخَرِ الزَّهْرَةُ يَوْمًا عَلَى السَّاقِ، لِأَنَّهُ يَحْمِلُهَا، وَلَوْلَاه لَسَقَطَت إِلَى الْأَرْضِ، وَلَا عَلَى الجذْر، لِأَنَّه يَمُدُّهَا بِعناصِر الحَيَاةِ، وَلَوْلَاهُ لَمَا احتَفَظَت بِنَضارَتِها. فَلَا تَفْخَرْ عَلَى مَنْ هُمْ دُونَكَ لِأَنَّهُ لَوْلَا وُجُودُ هَؤُلَاءِ لَمَا عَلَوتَ وفَخَرتَ .

(٢)

انْظُرْ إِلَى الْقُبُورِ هَلْ رَأَيْتَ مِنْهَا مَا هُوَ جَمِيلُ المَنْظَرِ ورائقُ الْبِنَاءِ وَساموقُ الْعُلُوّ؟ ذَلِكَ مَا جَذَبَ انتباهَكَ لَا غَيْرُ أَمَّا حَقِيقَةُ سَاكِنِيهَا فَوَاحِدَةٌ.

(٣)

إِذَا كُنْتَ كَالْحِجَارَةِ، فَلَن يَكُونَ بمقدُوري الْوُصُولُ إِلَيْكَ إِلَّا بكَسرِكَ ، اللِّينُ وَالْعُذُوبَةُ صِفَةُ الطَّيِّبِينَ.

(٤)

لاَ تُحَاوِلْ مَعَ مَنْ أَهَانَ عَقْلَهُ، لِأَنَّهُ سَيُهِينُكَ

(٥)

المرأة ثلاثة أرباعها لطف اذا أحبتك... وكلها لؤمٌ اذا أبغضتك

(٦)

المرأة جبلٌ من اللُّطفِ ... وجَبَلانِ من الانتِقام

(٧)

اعط القلب ما يشتهي من الحب... فهو حياة القلوب

(٨)

الغضبُ: دليلُ الافلاس

(٩)

دَقّاتُ القُلوبِ ... رُوزنَامَةُ العُمرِ

(١٠)

كُنْ أليفًا، فَتَستَغْني عَنِ الظُّفْرِ والنّابِ... وَلَا تَكُنْ أَسَدًا، فَتَستَغني عَنِ القَلبِ

(١١)

لم يخلق الله للإنسانِ ظفرا قويًا... بل جعلَ لهُ قلبًا رهيفًا، وأناملَ رَقيقةً

(١٢)

ما تضمره القلوب... تفضحه العيون...وتكتبه الأنامل

(١٣)

الشِّعرُ في وقتٍ منَ الأوقاتِ يَصبحُ الصديقَ الأوحدَ للشّاعرِ حين يعزُّ الأصدقاءُ

(١٤)

لا تخطيء اليدُ الاّ بعدَ أن يخطأَ العقلُ

(١٥)

استشعر الغنى وإن كنت فقيرًا ... لأنه نصفُ الراحةِ

(١٦)

خفف من آلام الآخرين ولو بنظرة العطف

(١٧)

لم يَسخَرِ الجبلُ يومًا منَ الوادي ... فلولاهُ لكانَ غريقًا

(١٨)

لا تفخرْ بأكثرَ ممّا فيكَ... لأنك ستدخلُ عالمَ الخيالِ... فتصبحَ لا شيء

(١٩)

خُلِقَ الإِنْسَانُ مَعَ الحَيَوَانَاتِ . . . حَتَّى يَكُونَ مُمَيَّزًا

(٢٠)

كُنْ قمرًا في الليلِ .... وشمساً في النهارِ

(٢١)

أولُ خُطوةٍ تخطوها ستُكتبُ سيرةً في تاريخكَ... فلا تتعجلِ الخُطُواتِ، حتى تتيقن من وجودِ الأرضِ تحتَك

(٢٢)

أَرِحْ قلبَكَ بِذِكرِ الحُبِّ... وعقلَكَ بدُرَرِ الحِكمةِ

(٢٣)

كُن شامخًا كما تريدُ... وتواضَعْ كُلَّما امتَلأتَ حِكمةً وعِلماً

(٢٤)

ألزِمْ عقلكَ بِطَرائفِ الحكمةِ... وأرِحْ قلبَك بنَسائِمِ الحبّ

(٢٥)

الحَيَاةُ أَعْظَمُ سِنْدانٍ تُطرَقُ عَلَيْهِ النُّفُوسُ وَالْأَجْسَاد

(٢٦)

المرأةُ هي العالمُ بأسرِهِ.... فاذا فسدَتْ، فسدَ العَالمُ

(٢٧)

رُبَّمَا تَسْعَى إِلَيْنَا التعاسةُ دُون رَغْبَةٍ مِنَّا فِيهَا، وَرُبَّمَا نَحْنُ الَّذِينَ نَسْعَى إِلَيْهَا بإرادتِنا . . . فَمِنْ أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ أَنْتَ؟!

(٢٨)

كُنْ عِنَباً وتمرًا .... ولا تكُنْ حَنظَلاً مُرًّا

(٢٩)

اذا اعتلى صديقك منصبا رفيعا... فكن منه على حذر... فلربما كان يتمم

نقصه بصداقتك، والآن يتلذذ بأذيتك، لأن الصداقة لا قيمة لها مع غرور المنصب

(٣٠)

البشر أوغاد كلهم، والدليل أنهم يقتلون بعضَهُم بعضاً

اللطيفة الخامسة والعشرون

" هيهات"

قلتُ في إحدَى قصائدي:

يُـذِلّونَ العُقـولَ لكَـي نُـذَلّ

فهيهــاتَ الذلالَــةُ للأُبــاةِ

هيهات : مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يَكْثُرُ اسْتِخْدَامُهَا فِي الْكِتَابَةِ وَخَاصَّةً الشِّعْر. مَا مَعْنَاهَا؟ وَكَيْفَ نستخدِمُها؟ وَمَا مُشَابِهاتُها أَو مُشتَقّاتُها؟

مَوْضُوعٌ شائِقٌ يَنْفَعُ الشُّعَرَاءَ والنّاثِرينَ، نَعْرِضُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مُعينٍ لهم .

هَيْهَات : هِيَ اسْمُ فِعْلٍ ماضٍ بِمَعْنَى بَعُدَ .

سُؤَال : كَيْف نُحَرِّكُها؟

الجَوَاب : كُلّ الحَرَكَاتِ مِنْ رفعٍ ونصبٍ وجرٍ جَائِزَةٌ فِيهَا فَنَقُولُ: "هيهاتُ" أَو "هيهاتَ" أَو "هيهاتِ". وَهَذَا هُوَ مَا سُمِعَ مِنَ الْعَرَبِ بِالِاسْتِقْرَاءِ .

هَيْهاتَ مِنْ عَبْلَةَ مَا هَيْهاتا

هَيْهاتَ إِلَّا ظَعَناً قَدْ فَاتَا

نقولُ: (هيهاتَ أن يَعودَ ما مَضى). (هَيْهَاتَ أَنْ تَعُودَ الْمِيَاهُ إِلَى مَجَارِيهَا)

جاءت في القرآن في سورة (المؤمنون) الآية ٣٦ ﴿هَيْهاتَ هَيْهاتَ لما توعدون﴾

سؤال: ما هي اللغات الأخرى التي وردت لهذه المفردة؟

اللغات الأخرى هي: أيْهاتَ وهَيْهانَ وأيْهانَ وهايَهاتَ وهايَهانَ وآيَهاتَ وآيَهانَ ، وهِيْهاتَ وهُيْهاتَ وإيْهاتَ وأُيْهاتَ وهِيْهانَ وهُيْهانَ وأُيْهانَ وإيْهانَ مَبْنياتٍ ومُعْرَباتٍ ، وهَيْهانْ وأيْهَا وأيْآتَ.

وكما قال صاحب لسان العرب: والمستعمل منها استعمالاً عالياً الفتح بلا تنوين.

قال : ومن كسر التاء لم يجعلها هاء تأْنيث ، وجعلها بمنزلة دَراكِ وقَطامِ.

وقد ينوّن فيقال هَيْهاتٍ وهَيْهاتاً ؛ قال الأَحْوَصُ :

تَذكَّرُ أَيَّاماً مَضَيْنَ من الصِّبَا ، وهَيْهاتِ هَيْهاتاً إليكَ رُجُوعُها

قلتُ :

باتوا على جهلكم فالبؤس قد باتا هيهات من منقذٍ في ذاك هيهاتا

نقول: هَيْهات بين هذا وذاك : شتّان بينهما.

أَنْ لَنْ يَرَوْا مِثْلَكَ حَتَّى يُحْشَرُوا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْجِنَابُ الْأَخْضَرُ

الحقيقة الأخرى هي: اتفق أَهلُ اللغة أَن التاء من هيهات ليست بأَصلية ، أَصلها هاء .

قال جرير:

فَهَيْهاتَ هَيْهاتَ العَقِيقُ وأَهْلُهُ وهَيْهاتَ خِلٌّ بالعَقيقِ نُحاولُهْ

وقال آخر:

إِن العظيمَ لكالربيعِ رحابةً هيهاتَ يحضرُه مكانٌ ضيقُ

سؤال: كيف نعرب هيهات؟

الجواب : "هيهات" اسم فعل ماض بمعنى "بَعُد". ومعلوم أن اسم الفعل يقوم مقام الفعل في المعنى والعمل والزمان؛ فإذا قلنا مثلا: (هيهاتَ المَفرُّ) كان الإعراب: هيهات اسم فعل ما ض مبنيٌّ على الفتح، لا محل له من الإعراب، والمفر فاعل. ومن النحاة من يرى أن هيهات في هذا السياق مبتدأ مبنيّ على الفتح في محل رفع والمفر فاعلٌ أغنى عن الخبر.

اللطيفة السادسة والعشرون

" سَكَنٌ لَكُم "

قال تعالى: {هُوَ الذي خَلقَكم من نَفْسٍ وَاحدَةٍ وَجَعَلَ منْهَا زَوْجَهَا ليَسْكنَ إليْهَا} [الأعراف:١٨٩].

وقال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الروم:٢١].

حَدَّثَنِي زَمِيلٌ لِي، كنتُ قَد دَعَوتُهُ إِلَى مَأْدُبَةٍ خَاصَّةٍ، أَعْدَدْتهَا لِتَكُونَ مناسبةً للتباحث فِي أَوْضَاعِهِ العائليةِ، وَحَلّ بَعْضِ مَا اِعْتَرى عَلَاقَتَهُ مَعَ زَوْجه. كَانَ يَحْمِلُ مِنْ هَمِّ دُنْيَاهُ ثِقَلَ الْجِبَال، وَيُعَانِي فِي مِضْمَارِ حَيَاتِهِ مِنْ أُمَّهَاتِ الْأَهْوَال، وَمِن زَوْجَتِهِ مَا يَتَصَاغَرُ أَمَامَهُ جَلَدُ الرِّجَالِ. جَلَسَ وكأنني بِهِ لَمْ يَشْعُرْ بِمَا يُحِيطُ بِهِ، وَلَمْ أَشْعُرْ بِأَنَّهُ عَلَى مَا يُرام. الْوَجْهُ شَاحِبٌ، الْعُيُونُ غَائِرَةٌ، وَالشِّفَاهُ ذَابِلَةٌ، وَشَعْرُ اللِّحْيَةِ وَالشَّارِبِ قَد اخْتَلَطَا، تَجُرُّهُ رِجْلَاه دُونَ هَدْيٍ وَلَا رَشَادٍ، يَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا يَفْعَلُ الشَّيْخُ الهَرِمُ، لَا يَظُنُّ الرَّائِي لَهُ بِأَنَّهُ سَيَقدِرُ عَلَى النُّهُوضِ بَعْدَ جِلْسَتِهِ هَذِهِ. سَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ وكأنني أَعْرِفُ مَا سَيُجيبُنِي بِهِ وَهَذَا مِنَ السُّؤْلِ المُجَابِ، فاهْتَاجَ، وَقَدْ بَانَ شَرَارُ الْغَيْضِ فِي عَيْنَيْهِ، وَدُخَانُ الْغَضَبِ مِنْ صُدْغَيْهِ. قَالَ لِي: تَسْأَلُنِي وَكَأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ مَا أُعانيهِ مِنْ سُوءِ مُعَامَلَةِ زَوْجَتِي لي، وَمِقْدَارَ مَا أُقَاسِيهِ مِنْهَا وَمُنْذُ عَشَرَاتٍ مِنَ السِّنِينَ مَضَتْ. سَأَلْتُ مَرَّةً أَحَدَ شُيُوخِ الدِّيْنِ عَنْهَا وَعَنْ الحَلِّ فِي أَمْثَالِ حَالَتِي

مَعَهَا، فَقَالَ لِي الشَّيخُ: كُنْ صَابِرًا عَلَى أَخْلاقِهَا كَمَا صَبَرَ بعضُ أَنْبِيَاءِ الله، أَلَسْتَ مُؤْمِنًا يَا رَجُل؟ ضَحكتُ وَكِدْت أَبْكِي مِنْ عِظَمِ المُصِيبَةِ بِهَذَا الشّيْخِ وبزوجتي . وَدّعْته بَعْدَ أَنْ دَعَوْتُ لَهُ بِمِثْلِهَا، حَتَّى يَعْرِفَ مِقْدَارَ صَبْرِي عَلَيْهَا، ومعاناتي مِنْهَا ، لَكِنْ أنّى لَهُ ذَلِكَ وَهُوَ قَدْ بَدَّلَ ثَلَاثَ زَوْجَاتٍ مِنْ قِبَل ! !

ضحكتُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، وَمن مَنْظَرِ صَدِيقِي وَهُوَ يَسردُ حكايةَ الشيخِ مَعَهُ. كُنْتُ اسْتَمِعُ إِلَى قِصَّتِهِ، وَفِي نَفْسِي ارتسمتْ صورةُ زَوْجَتِي الَّتِي عاشرتُها سِنِينَ مَعدودةً، وكنتُ أرددُ مِرارًا الْآيَة الَّتِي تَصِفُهَا بـ (تسكنوا اليها). فَهَل يَا تُرَى جَمِيعُ النِّسَاءِ تَشْمَلُهَا الْآيَة؟ أَم زَوْجَتِي فَقَط؟

تَتَطَرَّق الْآيَة إِلَى حَقِيقَةٍ ثَابِتَةٍ وَهِيَ أَنَّ المَرْأَةَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ سَكَنًا لِلرَّجُلِ، وَعَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ، مِنْ جَانِبِهِ، سكنًا لَهَا. المَسْكَنُ وَاحِدٌ، وَالسَّكَنُ مُشْتَرَكٌ. قرأتُ تَفْسِيرَ الْآيَةِ فِي أَكْثَر مِنْ كِتَابٍ لِلتَّفْسِيرِ، فوجدتُ أنَّ أفضلَ تفسيرٍ لَهَا هُوَ أَنَّ المَرْأَةَ بعذُوبَتِها، وَلَطَافَتِهَا، وخضوعها، وَضَعفِهَا، وليونتها، وسعةِ صَدْرِهَا، ومطاولتها، وحبها، وشفيف عَاطِفَتِهَا، وَصَبْرِهَا عَلَى خُلُق الرَّجُل، وَتَحَمُّلِهَا الْكَبِيرِ لمشاقِّ الحياةِ، والعائلة، وَالْأَطْفَال، بَل وهمِّ العيشِ، لَمْ تَكُنْ بِهَذَا الْوَصْفِ الاّ لأنَّ اللهَّ جَعَلَ فِيهَا مِنْ المُقَوِّمَات الَّتِي تَنْفَعُهَا فِي أَن تَكُونَ سَكَنًا كَمَا وَصَفَهَا. أَمَّا صَدِيقِي هَذَا فَلَا أَظُنُّه يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ سَكَنًا لِزَوْجَتِه بَل سَاكِنًا فَقَط!! وَهَذَا لَن يَسْتَقِيمَ. فَكَمَا تَأْخُذ لابَدَّ أَنْ تُعْطِيَ.

فِي الصَّبَاحِ وَمُنْذ الْفَجْر تصحو عَلَى أَوَّلِ شُعَاعٍ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الناعسةِ، وَكَأَنَّهَا نحلةٌ شَدت حِزَام الجَدّ وَالْعَمَل، فَخَرَجَتْ إِلَى مَيْدَان الشُّغْل والانتاج. فِي النَّهَارِ تَدُور كَمَا الفراشة، تَحُطّ هُنَا وَهُنَاكَ، فتنشر الْفَرْحَة، وَتَنثُرُ النَّشرَ والطيبَ بَيْن أزاهير الرِّيَاض، وَأَرْكَانِ الْبَيْت، تذرُّ مِن أنامِلِها قطراتٍ مِن النَّدى عَلَى وجهِ الحبيبِ، الَّذِي يَصْحُو هُوَ الْآخَرُ عَلَى نغماتها المنعشةِ، وبرودةِ أصابعِها الرقيقةِ. تقبّلهُ قُبلةَ الصَّبَّاح، فَيُحِسّ بِأَنَّ الْعَالَمَ يَجْتَمِع بَيْنَ كَفَّيْهِ وَالرَّاحَة تُكَلِّلُ وَجْهَه وتدفئ رِجْلَيْه. خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النَّفْسَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ خُلِقَ مِنْهَا الزَّوْجُ أَيْضًا، لَا مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أَضْلَاع الرَّجُلِ كَمَا تَقُولُ الرِّوَايَات وَالْأَخْبَار. قُلْت لَهُ : يَا صَاحِبِي هَلْ كُنْت سَكَنًا لَهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ حَتَّى تطالبها بِمَا تُرِيدُ؟ قَال : وَكَيْف أَكُون لَهَا سَكَنًا وَقَد خُلِقْن لخدمتنا ! ! قُلْت لَهُ : وَمَنْ قَالَ لَك هَذَا؟! المَرْأَة سَكَن لَك، فَأَنْتَ تَسْكُن إِلَيْهَا وترتاح فِي حِضْنِهَا. وَهِيَ كَذَلِكَ. وَالزَّوْجَة لِبَاسٌ وَسَتْرٌ لَكَ وَأَنْت سَتْرٌ وَلِبَاسٌ لَهَا، وَلَن تَقُوم بِهَذِه المُهِمَّةِ لِوَحْدِهَا. لَا تَكُنْ أنانيا وَاهْجُر عَصَبِيَّةَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لِأَنَّهَا مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ خُلِقَتْ لِتَحْتَمِي بِك، لَا أنْ تَحْمِلَ عَلَيْهَا أوزارَكَ وأوزارَها، وأحمالكَ وأحمالَها. اتَّقِ اللهَ يَا رَجُلُ ؟

هز يده، ثم تركني و ذهبَ. فقلتُ في هذا بعضَ أبياتٍ من الكاملِ:

هِـيَ مَسْـكَنُ الْحُـبِّ الْعَفِيـفِ الْبَـاقِي
سَــكَنٌ وَقَــدْ لَاذَتْ بِهَــا أَشْــوَاقِي

وَصَــفَ الصَّــديقُ بِأَنَّهَــا كَوَصِــيفَةٍ
قَبُحَــتْ فَكَــانَ بِقُبْحِهَــا إِخْفــاقِي
خُلِقَــتْ لِأَجْــلِ العَــابِثِينَ دُعَابَــةً
هِــيَ رَهْــنُ أَحْقَــابٍ مِــنَ الْإِمْــلَاقِ
هِيَ صَفْحَةٌ سَوْدَاءُ مِنْ زَمَنٍ مَضَى
هِــيَ قَــذَّةٌ تُؤْذِيــكَ فِي الأَحْــدَاقِ
هِــيَ جُمْلَــةُ الأَخْطَــاءِ وَالْقَــدَرُ الَّــذِي
لُفَّــتْ بِــهِ مِــنْ تَعْســهِ أَوْرَاقــي
بَــلْ كُوْمَــةُ الأَحْــزَانِ فِي قَلْــبٍ شَــقَى
فَسَــعَتْ، مِــنَ الأَحْقَــادِ، فِي إِحْرَاقِــي
وَوَصَــفتُها كَفرَاشــةٍ ضَــحِكَتْ لَهَــا
رَوضُ الخَمائِــلِ مُلتقَــى العُشّــاقِ
نَشَــرَتْ لنَــا عَبَــقَ الــورودِ بِرقَّــةٍ
وَتَطــوفُ بــالأكوَابِ، فِعــلَ السّــاقي
وتُحــيطُ بــالأرواحِ تَفــرحُ باللِّقــا
لِتُريــكَ وَجهًــا، بَــاحَ بــالإشرَاقِ

اللطيفة السابعة والعشرون

"كي و لكي"

جِئْتُكَ كَي أَتَعَلَّمَ / جِئْتُكَ لِكَي أَتَعَلَّمَ

سُؤَال: فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ نستخدمُ "كي" لِوَحْدِهَا وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى نستخدمُ "لكي" فِي الجُمْلَةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى تَعْلِيلٍ، فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ؟

الجَوَابُ: "لِكَيْ": اللَّام تَعْلِيلِيَّةٌ و"كَيْ" : مَصْدَرِيَّةٌ نَاصِبَةٌ لِلْفِعْلِ (أَتَعَلَّمُ) الَّذِي بَعْدَهَا. وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ المَصْدَرَ الَّذِي تَشَكَّلَ مِن كَي وَالْفِعْلِ (وَهُو: التَّعَلُّمُ) يَكُونَ مَجْرُورًا بِلَامِ التَّعْلِيلِ. وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: جِئْتُكَ للتَّعَلُّمِ. وَهَذَا الْأَمْرُ أَوْلَى مِنْ جَعْلِ "كي" تَعْلِيلِيَّةً هِيَ الْأُخْرَى. لِمَاذَا ؟

الجَوَابُ: حَتَّى لَا يَجْتَمِعَ مُعَلِّلانِ مُتتالِيانِ وَهُمَا "اللام" و"كي" وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى قَاعِدَةٍ ذَكَرَهَا الْأُصُولِيُّون: أَنَّهُ إِذَا دَارَ الْكَلَامُ بَيْنَ التَّأْسِيسِ والتَّوْكِيدِ فَحَمْلُهُ عَلَى التَّأْسِيسِ أَوْلَى. أَيْ إِذَا احْتَمَلَ الْكَلَامُ مَعْنًى جَدِيدًا غَيْرَ مَذْكُورٍ وَمَعْنًى مُؤَكِداً لِمَعْنى مَذْكُورٍ، فَحَمْلُهُ عَلَى الجَدِيدِ أَوْلَى، زيادةً فِي الْفَائِدَةِ. والحَصِيلَةُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ هُوَ إِذَا قُلْنَا بِأَنَّهَا مَصْدَرِيَّةٌ فَقَد أَفَادَتْ مَعْنًى جَدِيدًا غَيْرَ مَعْنَى التَّعْلِيلِ فِي اللَّامِ. وَإِذَا قُلْتَ بِأَنَّهَا تَعْلِيلِيَّةٌ، لَمْ تُفِدْ إِلَّا تَوْكِيدَ مَعْنَى التَّعْلِيلِ الَّذِي أَفَادَتْهُ اللَّامُ قَبْلَهَا. وابتعاداً عَنْ تَكْرارِ التَّعْلِيلِ الْمَوْجُودِ أَصْلًا، وَالَّذِي يُمْكِنُ الِاكْتِفَاءُ بِهِ، وَهُوَ اللَّامُ، فَلَابُدَّ مِنْ حَمْلِهَا عَلَى المَصْدَرِيَّةِ، مِنْ بَابٍ أَوْلَى، حَتَّى تُعْطِينَا مَعْنىً جَدِيدًا، لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي

الْأَلْفَاظِ أَنْ تُسَاقَ لِإِفَادَةِ مَعَانٍ جَدِيدَةٍ تُثْرِي الْكَلَامَ، لَا مُجَرَّدَ تَوْكِيدِ مَا سَبَقَ. قُلْتُ فِي هذا المعنى (بحر الوافر):

مَدَدْتُ يَدِي إِلَى خَدَّيْكِ خَجْلَى
لِكَيْ أَحْظَى لَدَيْكِ بِمَا أُرِيدُ
فَإِنِّي بِتُّ أَصْطَرِعُ احتِراقًا
وَلَيْلُ الصَّبِّ مَسْرَاهُ وَئِيدُ
فَعَادَتْ مِنْكِ فِي فَشَلٍ ذَرِيعٍ
طَرِيقُ الْوَصْلِ مَقْصَدُهُ بَعِيدُ
حَبِيبِي كَيْ أُشَاطِرَكَ اهتِمَامِي
مَدَدْتُ الْكَفَّ، فِي وَلَعِي تَزِيدُ؟

هُنَاكَ تَعْلِيلٌ آخَرُ: يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ بِأَنَّ (الزِّيادَةُ فِي المَبْنَى تَدُلُّ عَلَى الزِّيَادَةِ فِي المعنىَ). مَا مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ؟

المَعْنَى هُوَ: "لكي" زَائِدَةٌ فِي المَبْنَى عَلَى "كي"، فَتُفِيدُ زِيَادَةً فِي المَعْنَى. فَمَثَلًا: "مِنْ" الزَّائِدَةُ وَالَّتِي تُفِيدُ التَّنْصِيصَ عَلَى الْعُمُومِ فِي قَوْلِهِ تَعَالى(أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ). فَهِي زَائِدَةٌ لِلتَّنْصِيصِ عَلَى عُمُومِ النَّكِرَةِ: "بشير" الَّتِي جَاءَتْ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ "ما" فَأَفَادَتْ الْعُمُومَ ابْتِدَاءً، ثُمَّ زِيدَ فِي المَبْنَى بِذِكْرِ "من"، الَّتِي

زادَتْها عُمُومًا عَلَى عُمُومٍ، فَصَارَتْ زِيَادَتُهَا فِي اللَّفْظِ زِيَادَةً فِي المَعْنَى.

وَأَمَّا "كي" فَهِيَ تَعْلِيلِيَّةٌ. وَفِي هَذَا المَقَامِ لابُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ نَاصِبٍ لِلْفِعْلِ بَعْدَهَا، وَهُوَ "أنْ" المُضْمَرَةُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تعالى(فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عينُها).

سُؤَال: وَلِمَاذَا نَحْتَاجُ إِلَى "أنْ" المُضْمَرَةِ، أَلَيْسَ مِنَ الْأَسْهَلِ أَن نَكْتَفِيَ بِكَي النَّاصِبَةِ؟

الجَوَاب: لِأَنَّ الحَرْفَ التَّعلِيلِيَّ لَا يَدْخُلُ عَلَى الْفِعْلِ مُبَاشَرَةً إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَى المَصْدَرِ المُؤَوَّلِ مِنْ "أنْ" المُضْمَرَةِ بَعْدَهُ وَالْفِعْلِ بَعْدَهَا، حَتَّى يَكُونَ مَجْرُورًا. تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: (لقرارِ عينِها). وَلَمَّا كَانَ عَمَلُ "كي" فِي هَذَا المَوْضِعِ: الجَرَّ، لَزِمَ تَقْدِيرُ "أن" مُضْمَرَةً بَعْدَهَا، لِأَنَّ الْفِعْلَ لَا يُجَرُّ، فاجْتُنِبَ ذَلِكَ بِدُخُولِ "أن" النَّاصِبَةِ الَّتِي مَحَضَتِ الْفِعْلَ بَعْدَهَا لِلاسْمِيَّةِ، وَلَا إِشْكَالَ فِي جَرِّ الِاسْمِ بِاللَّامِ أَوْ أَيِّ جَارٍّ آخَرَ.

اللطيفة الثامنة والعشرون

"القَهْوَةُ وَالخَمْرُ"

قال ابنُ المعتزّ[٣٩]:

هاكَ فَاشْرَبْ وَاسْقِنيهَا قَهْوَةً لا عَيْبَ فِيهَا
بِنْتَ كَرْمٍ عُتِّقَتْ حَوْ لَيْنِ في صُلْبِ أَبيهَا
قُلْتُ لِلخَمَّارِ لَـمَّا صَبَّها في الكَأْسِ: إيها
هذهِ الخَمْرُ التي كُنْـ ـتُ زَماناً أَشْتَهيهَا

سألني : حينما قَرَأتُ البيتَ الأَوَّلَ ظَنَنتُ أَنَّ الشاعرَ قَصَدَ بالقَهْوةِ هذا الشَّرابَ البُنِّي الذي يَشيعُ شُرْبُهُ هذهِ الأيامَ في العالَمِ كُلِّهِ. وَلَمّا أَكْمَلتُ قِرَاءَةَ باقي الأبياتِ، فَهِمتُ أَنَّها تُعني الخَمْرَةَ. فلماذا سُمِّيَتْ الخَمرَةُ باسمِ القَهْوَةِ؟قلتُ: (القَهْوَةُ): بفتح القاف وسكونِ الهاءِ وفتحِ الواوِ، شَرَابُ البُنِّ المُغَلَّى. وَتَأتي بِمعنَى المَقْهَى، وهوَ مَكَانُ شُرْبِ القَهْوَةِ. أمّا معنَاها في أبياتِ ابنِ المُعتَزِّ فَهو الخَمرَةُ. وتأتي

---

[٣٩] عبد الله بن المعتز بالله وهو أحد خلفاء الدولة العباسية، وكنيته أبو العباس، ولد عام (٢٤٧ هـ، ٨٦١م)، في بغداد، وكان أديبا وشاعرا ويسمى خليفة يوم وليلة، حيث آلت الخلافة العباسية إليه، ولقب بالمرتضى بالله، ولم يلبث يوما واحدا حتى هجم عليه غلمان المقتدر بالله وقتلوه في عام (٢٩٦ هـ،٩٠٩م)، وأخذ الخلافة من بعده المقتدر بالله. ولقد رثاه الكثير من شعراء العرب. وهو مؤسس علم البديع.

بمعنَى اللَّبَنِ المَحْضِ.

سُمِّيَتْ بذلكَ لأنها تُقْهِي شَارِبَها عنِ الطعامِ، أَي تَذهَبُ بِشَهوَتِهِ. وفي التهذيبِ: أَي تُشبِعُهُ. أَقْهى عنِ الطعامِ واقْتَهَى: ارتدَّتْ شَهوتُهُ عَنهُ من غيرِ مَرَضٍ مثل أَقْهَمَ، يقالُ للرَّجُلِ القَليلِ الطُّعمِ : قد أَقْهَى وقد أَقْهَمَ، وقيلَ: هو أَنْ يَقدِرَ على الطعامِ فَلا يأَكُلُه وإِن كانَ مشتهياً له.

هذا ما تفعَلُهُ الخَمرةُ بشَارِبها. أمّا القَهوةُ المُتعَارَفَةُ في أيّامِنَا ومِنَ الجانبِ الصِّحّي، فقدْ صَرَّحتْ البحُوثُ الطبيةُ بأنَّ القَّهْوَةَ(وأعني شَرابَ البُنّ)، يُقَلّلُ الشَّهيةَ للطَّعَامِ وخَاصّةً إذا شَربناها قبلَ الوَجبات بفترةٍ قصيرةٍ. استُعمِلتْ القَهوَةُ في بَرنامَجِ تَخْسيسِ الوَزنِ والمُسمّى بـ (ريجيم القهوة) (**coffee diet**). وأثبتتِ البُحُوثُ جَدوى هذا العَمَلِ. إذن اتفقتِ الخَمْرَةُ مَع القَهْوَةِ فِي هَذَا المَفْعُولِ وَاخْتَلَفَتْ مَعَهَا بِعَدَمِ الْإِسْكَارِ وَذَهَابِ الْعَقْلِ.

قالَ الشاعرُ عَبْدُ اللهَّ الرُّبيعِيّ[٤٠]، وَهُوَ مِنْ شُعَرَاءِ الْعَصْرِ العَبَّاسِيِّ :

رُبّ صَهبَاءَ من شَرَابِ قَهوَةٍ بَابِلِيّةٍ خَندَرِيسِ

(٤٠) عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع.ينتمي إلى بيت حجابة ووزارة وهو من الشعراء الذين اجتمع لهم تجويد الشعر وصوغ اللحن وحذق العزف والغناء ، عمر طويلاً وعاصر سبعة من خلفاء بني العباس وكان مقرباً منهم، لقبه المفتون وذلك في حداثته، معظم شعره مقطعات صاغها للحن.

وهو من قَصِيدَةٍ عَدَد أَبْيَاتِهَا ثَمَانِيَةٌ. الصَّهْبَاءُ : الخَمرُ، صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من صَهُبَ وصَهِبَ مُذَكَّرُها: أصهبُ. الأَصْهَبُ : ذو اللون الأَصفر الضارب إلى شيءٍ من الحمرة والبياض. خَنْدَريسُ: الخَمْرُ، مُشْتَقٌّ من الخَدْرَسَةِ، ولم تُفَسَّرْ، أو رُومِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ.

وَقَال أخرُ وَهُوَ عَبْدُ المَلِكِ الْحَارِثِيُّ[٤١] مِنْ شُعَرَاءِ الْعَصْرِ العَبَّاسِيِّ :

كأنَّ بِفيها قَهْوَةً بابِليَّةً بِماءِ سماءٍ بَعْدَ وَهْنٍ مِزَاجُها

[٤١] أبو الوليد عبد الملك بن عبد الرحيم (أو عبد الرحمن) الحارثي (؟ - ١٩٠هـ/٨٠٥م) شاعر عربي من العصر العباسي. نشأ عبد الملك في الفلجة، وهي إحدى البلدات التابعة لدمشق، ويعود نسبه إلى بني حارث بن كعب. اشتهر عبد الملك في مسقط رأسه شاعراً، فقرَّر المغادرة إلى بغداد، إلا انَّه أثار سخط الخليفة هارون الرشيد، لسببٍ مجهول، فأُلقِيَ به في السجن، ولا تذكر الروايات خبراً له بعد سجنه. يُرجَّح أنَّه تُوفِّي قرابة ١٩٠هـ.

اللطيفة التاسعة والعشرون

" هل تحبُّ علمَ العَروضِ"؟

سَأَلَنِي : هَل تُحِبّ عِلْمَ الْعَرُوضِ؟

قلتُ : كَلّا، لَا أُحِبُّ دِرَاسَةَ هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي يُشْبِهُ جُمُودُهُ جُمُودَ الصَّخْرِ وَعِصْيَانُهُ عَلَى الْفَهْمِ وُجُومَ الْحَجَر.

قَال : إِذْن كَيْفَ يُقْبِلُ الْكَثِيرُ مِنَ الشُّعَرَاءِ عَلَى دِرَاسَتِهِ والْمُتَخَصِّصينَ عَلَى تَدْرِيسِهِ وَالتَّرويجِ لَهُ؟

قُلْتُ: يَا صَدِيقِي عِلْمُ الْعُرُوضِ كَالدَّوَاءِ والبَلسَمِ الشَّافِي الَّذِي لَا يُحِبُّهُ المَرِيضُ لَكِنَّهُ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَرُبَّمَا بِدُونِهِ يَمُوتُ، فَيَتَنَاوَلُهُ وَهُوَ كَارِهٌ لَهُ، وَيُحِبُّهُ وَلَا يَتَمَنَّى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ. الدَّوَاءُ هُوَ السُّمُّ الشَّافِي، فِي قَامُوسِ الطِّبّ، نَتَجَرَّعُهُ وَلَا نَكَادُ نُسِيغُهُ، لَكِنَّهُ يُجَدِّدُ الصِّحَّةَ فِي أَبْدَانِنَا، وَيَطْرُدُ المَرَضَ، وَيَنْحُو بِالْجِسْمِ إِلَى الصِّحَّةِ وَالِاسْتِقَامَة. أَمَّا عِلْمُ الْعَرُوضِ، فَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي بِدُونِه لَنْ نَكْتُبَ الشِّعْرَ الصَّحِيحَ، بَلْ نُسَطِّرُ شِعْرًا سَقِيمًا، وأبياتاً مَكْسُورَةً. كَتَبْتُ الشِّعْرَ الْعَمُودِيَّ مُنْذُ أَنْ كُنْتُ شَابًّا صَغِيرًا، عَلَى غِرَارِ مَا كَتَبَهُ شُعَرَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ شُعَرَاءُ مَا قَبْلَ الْخَلِيل بْنِ أَحْمَدَ الفراهيدي، الَّذِي اِكْتَشَف هَذَا الْعِلْم. لَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِي أَن أدرسَ الْعَرُوضَ، وَقَدْ قَرَأْتُ قَلِيلًا عَنْهُ فِي أَحَدِ الْكُتُبِ الَّتِي كَانَتْ فِي مَكتَبتي، فَوَجَدْتُ أَنّ عِلْمَ الطِّبِّ أَرْحَمُ وَأَكْثَرُ سُهُولَةً مِنْه. فَهُوَ عِلْمٌ جَامِدٌ بِمَعْنَى الْكَلِمَةِ، وَلَن يَخطُرَ بِخَلَدي

أَنَّنِي أُحِبُّهُ يَوْمًا مَا، فَتَرَكْتُهُ وَكَتَبْتُ عَلَى أَنْغَامِ المُوسِيقَى الدَّاخِلِيَّةِ الَّتِي أَشْعُرُ بِهَا عِنْدَ الْكِتَابَة. وَدَامَ هَذَا الْأَمْرُ كَثِيرًا. وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي حَدَّثَتْنِي نَفْسِي أَنْ أَعْرِضَ شِعْرِي عَلَى قَوَانِينِ عِلْمِ الْعَرُوضِ. هُنَا حَدَثَتِ الكَارِثَةُ الْعُظْمَى، حَيْثُ وَجَدْتُ أَنَّ أَغْلَبَ شِعْرِي لَا يَنْتَمِي إِلَى بَحْرٍ مُعَيَّنٍ، أَوْ نَفْسِ الْبَحْرِ مِنْ ابْتِدَاءِ الْقَصِيدَةِ إِلَى مُنْتَهَاهَا. كَيْف أَحُلُّ الْأَمْرَ فِي مِثْلِ هَذِهِ المَوَاقِفِ الَّتِي لَا أَحْسُدُ نَفْسِي عَلَيْهَا؟

أَسْرَعْتُ بَعْدَهَا إِلَى مُرَاجَعَةِ كُلِّ مَا كَتَبْتُ، وَعَدَّلْتُ مَا أَسْتَطِيعُ التَّعْدِيلَ، وَبِالأَحْرَى، مَا يَقْبَلُ التَّعْدِيلَ. وَطَرَحْتُ الْكَثِيرَ مِنْ قَصَائِدِي فِي سَلَّةِ المُهْمَلَاتِ، لِأَنَّنِي أَحْتَرِمُ الْعِلْمَ، وأَيَّ عِلْمٍ وُضِعَ بَعْدَ جَهْدٍ كَبِيرٍ مِنْ قِبَلِ الْعُلَمَاءِ الْكِبَارِ، وَعَلَى مَرّ التَّارِيخ الْبَشَرِيّ. وَمِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ عِلْمُ الْعُرُوضِ، الَّذِي وَجَدْتُ، وَبَعْدَ تَعْدِيلِي لِلقَصَائِدِ، أَنَّهَا أَصْبَحَتْ تُغَنَّى مِنْ قِبَلِ أَيِّ أَحَدٍ وَلَيْسَ مِنْ قِبَلِي أَنَا فَقَط، لِأَنَّنِي رُبَّمَا أَعْتَبِرُ المَكْسُورَ صَحِيحًا، أَوْ قَد لَا أَشْعُرُ بِهِ، لِأَنَّنِي اعْتَدْتُ عَلَى كَسْرِهِ، فَغَابَ عَنِّي الصَّحِيحُ. أَحْبَبْتُ حِينَهَا هَذَا الْعِلْمَ الْعَظِيمَ الَّذِي وَضَعَهُ الْخَلِيلُ عَلَى أَنْغَامٍ خَاصَّةٍ كَانَ يَنْظِمُ عَلَيْهَا الشُّعَرَاءُ قَبْلَهُ، لَا عَلَى قَانُونٍ كَالَّذِي وَضَعَه هَذَا الرَّجُلُ الْكَبِير. أَمَّا عِلْمُ الْعَرُوضِ فَقَدْ وُضِعَ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الشِّعْرَ فِي زَمَنٍ يَعقُبُ زَمَنَ الْخَلِيلِ. وَهَكَذَا أَصْبَحَ عِلْمًا كَسَائِرِ الْعُلُومِ الَّتِي اكْتُشِفَتْ رُبَّمَا بالصدفةِ تَارَةً، وبالتدقيقِ وَالتَّمْحيصِ تَارَةً أُخْرَى. أَحْبَبْتُ هَذَا الْعِلْمَ لِأَنَّهُ قَوَّمَ القَصائِدَ الَّتِي بَدأْتُ أَكتُبُها عَلَى أنغامِ بُحورِهِ الْآخِذَةِ بِالِاتِّسَاعِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ.

ومن طريفِ ما قرأتُ في بعضِ الكتبِ القديمةِ(محاضرات الأدباء: للراغب الأصفهاني)، دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ فَانْتَهَى إِلَى حَلقَةِ عَلِمٍ يَتَذَاكَرُون الْأَشْعَارَ وَالْأَخْبَارَ، وَهُو يَسْتَطِيبُ كَلَامَهُم، ثُمَّ أَخَذُوا فِي الْعَرُوضِ، فَلَمَّا سَمِعَ المَفَاعِيلَ والفعول، وَرَدَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَعْرِفْهُ، فَظَنَّ أَنَّهُمْ يَأْتَمِرُونَ بِه، فَقَامَ مُسرِعاً وَخَرَج وَقَال :

قد كان أخذُهُمُ في الشِّعرِ يُعجِبُني
حتّى تَعَاطَوا كَلامَ الزِّنجِ والرُّومِ
لَمّا سَمِعتُ كلاماً لَستُ أعرِفُهُ
كأنهُ زَجَلُ الغِربانِ والبومِ
وَلَّيتُ مُنفَلِتاً واللهُ يَعصِمُني
مِنَ التَّقَحُّمِ في تلكَ الجَراثيمِ!

ويقول ابن طباطبا[٤٢]:

[٤٢] أبو الحسن بن طباطبا محمد بن أحمد بن محمد الهاشمي القرشي (ت. ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م) عالم وشاعر وأديب ولد في أصبهان وتوفي فيها. له كتب ألفها في الأشعار والآداب، منها: كتاب سنام المعالي.كتاب عيار الشعر.كتاب الشعر والشعراء.كتاب نقد الشعر.كتاب تهذيب الطبع. كتاب في العروض.

كــلُّ العُلــومِ يَــزينُ المَــرءَ بَهجَتُهــا
إلّا العَروضُ، فقد شانَتْ ذَوي الأَدَبِ
بِيَ الــدَّوائِرُ دَارتْ مِــنْ دَوائِرِهَــا
مــا لِإمــرىءٍ أَرِبٍ في ذاكَ مِــنْ أَرَبِ
فَاســتَعمِلِ الــذَّوقَ في شِــعرٍ تؤلِّفُــهُ
وزِنْ بــهِ مــا بَنَــوْا في ســالفِ الحِقَــبِ

وَكَمَا غَلَطَ الجَاحِظُ بَادِئَ الْأَمْرِ فَذَمَّ الْعَرُوضَ، وَمَا لَبِثَ أَنْ اسْتَثْنَى بَعْدَ ذَلِكَ حِينَمَا عَلِمَ بِعَظَمَتِهِ وأَهَمِّيَتِهِ. قلتُ في هذا المَعنى بَعضَ أبياتٍ:

لَا تَسَلْني عَنْ عَرُوضٍ زَادَ هَمِّي
وَقْعُهُ فِي الـنَّفْسِ مَـا زَالَ شَـدِيدا
كَـانَ ظَنِّـي فِيـهِ عِلْـمًا مُسْـتَحِيلًا
ذَاكَ عِلْــمٌ جَــاءَ لِلــدُّنْيَا فَرِيــدا

اللطيفة الثلاثون

"العاطفةُ في الشِّعر"

الْعَاطِفَةُ، وَكَمَا يُعَرِّفُهَا عُلَمَاءُ النَّفْس: هِي اسْتِعْدَادٌ نَفسيّ ينزعُ بِصَاحِبِهِ إِلَى الشُّعورِ بانفعالاتٍ وجدانيّةٍ خاصَّةٍ، وَالْقِيَامِ بِسُلُوكٍ معيَّن حِيَالَ شَخْصٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ فِكْرَةٍ معيّنَة. وَمن عَنَاصِرِ الْأَدَبِ، وبالخصوصِ الشَّعْر، الْعَاطِفَةُ، وَهِيَ إِلَى جَانِبِ ثَلَاثَةٍ مِنَ العَنَاصِرِ الْأُخْرَى الَّتِي تَشْمَلُ المَعْنَى، الْخَيَالَ، والأسلوب. فَلَا نَتَصَوَّرُ شِعْرًا لَا عَاطِفَةَ فِيهِ، وَلَا وَسِيلَةً لِإِثَارَةِ المُتَلَقِّي أَوْ السَّامِع. الشِّعْرُ الَّذِي يَخْلُو مِنَ الْعَاطِفَةِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِكَلِمَاتٍ مَرْصُوصَةٍ إِلَى بَعْضِهَا الْبَعْضِ، لَا يَرْبِطُ أَجْزَاءَهَا إِلَّا قَوَاعِدُ النَّحْوِ. قلتُ لِأَحَدِ الشُّعَرَاءِ: لِمَاذَا تكتبُ الشعرَ وَكَأَنَّكَ تَمُوتُ غَداً؟

قَال : وَمَاذَا تَقْصِدُ بِهَذَا الْكَلَام؟

قلتُ : تَهْتَمُّ بِعَدَدِ الْأَبْيَاتِ، وتفخَرُ بِأَنَّكَ طَوِيلُ النَّفَسِ فِي الْكِتَابَةِ، فَتَرْمِي بالقصيدةِ ذَاتِ السِّتِّينَ وَالسَّبْعِينَ بيتاً، دُونَ الِالْتِفَاتِ إِلَى عَنَاصِرِ تَكَامُلِهَا، مِن الْخَيَالِ، وَالْعَاطِفَةِ، وسمُوِّ المَعَانِي .

قَال : هَذَا هُوَ أُسلوبي فِي كِتَابَةِ الشِّعْر .

نَعَمْ هَذَا هُوَ الْأُسْلُوبُ المُمَيِّزُ لِهَذَا الشَّاعِر. يَكْتُبُ مِنْ أَجْلِ الْعَدَدِ، لَا مِنْ أَجْلِ الْإِمْتَاعِ، وَتَحْرِيكِ الْقَارِئِ، وَالعَزْفِ عَلَى عَوَاطِفِهِ. يكتبُ كَي يُقْنِعَ غُرُورَهُ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْكِتَابَةِ، وَلَنْ يَجِدَ لَهُ مُعْجَبًا إِلَّا نَفْسَهُ .

الْقَصِيدَةُ، أَوْ رُبَّمَا بَيْتُ الْقَصِيدَةِ، أَشْبَهُ بِالْبَيْتِ المأهول. لَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْخَالِي مِنْ سَاكِنِيهِ، إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ حَرَكَةٌ وَشَدٌّ وَجَذَب. هَذَا يُحَرِّكُ ذَاكَ، وَذَاكَ يُحَرِّكُ هَذَا، فَيُصْبِحُ الْبَيْتُ وَكَأَنَّهُ يَتَنَفَّسُ وَيَتَحَرَّكُ، وَيَشْعُر. وَفِي الْمُقَابِلِ، الْبَيْتُ الْخَالِي مِنْ أَهْلِهِ، أَو المَسْكُونِ دونما حَرَكَةٍ، أَشْبَهُ بِالْأَحْجَارِ الَّتِي شُيِّدَت بِه .

وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ الشِّعْرَ لَا يَنْبِضُ بِمَا فِيهِ مِنْ عَاطِفَةٍ. فَلَوْ قَرَأتَ أبياتاً لِشَاعِرٍ مَا، فَإِنَّ تَعَابِيرَ وَجْهِكَ شُهُودٌ عَلَيْكَ. فَلَوْ كَانَ الشِّعْرُ حماسياً، فَإِنَّ الوُجومَ وَالِانْفِعَالَ المَكْتُومَ يُمْكِنُ رُؤْيَتُهُ عَلَى مُحَيّا السَّامِعِينَ. وَلَوْ كَانَ غَزَلياً شفيفاً، لَرَأَيْتَ اهْتِزَازَ الرُّؤُوسِ، وَأَمَارَاتِ الذُّهُولِ، وَالشَّغَفِ، وَرُبَّمَا السُّكْرَ وَالنُّعَاسَ عَلَى الْوُجُوهِ .

قَالَ الشَّاعِرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ شُكْرِي[٤٣] :

ألا يا طائرَ الفردو سِ إنَّ الشِّعرَ وجدانُ

وَمِن مَقولاتِهِ فِي وِجْدَانِيَّةِ الشِّعْرِ، وأهميةِ الْعَاطِفَةِ فِيهِ، يَقُولُ فِي دِيوَانِهِ : (ولشعرِ العواطفِ رنةٌ ونغمةٌ لَا تَجِدُهَا فِي غَيْرِهِ مِنْ أَصْنَافِ الشِّعْرِ، وَسَيَأْتِي يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ يُفِيق فِيهِ النَّاسُ إِلَى أَنَّهُ هُوَ الشِّعْرُ وَلَا شَعْرَ غَيْرُهُ. فَالشِّعْرُ مَهْمَا اخْتَلَفَتْ أَبْوَابُهُ

---

[٤٣] عبد الرحمن شكري (١٢ أكتوبر ١٨٨٦م - ١٩٥٨م)، شاعر مصري من الرواد في تاريخ الأدب العربي الحديث، فهو ثالث ثلاثة من أعمدة مدرسة الديوان التي وضعت مفهوماً جديداً للشعر في أوائل القرن= =الميلادي الماضي، أما صاحباه فهما العقاد والمازني. كان عبد الرحمن شكري شاعراً مجدداً ومفكراً أصيلاً حريصاً على اللغة العربية الفصحى، كما كان ناقداً لعبت آراؤه النقدية دوراً كبيراً في الأدب العربي الحديث، ووجهته نحو وجهة تجديدية بناءة.

لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَا عَاطِفَةٍ، وَإِنَّمَا تَخْتَلِفُ الْعَوَاطِفُ الَّتِي يَعْرِضُهَا الشَّاعِرُ، وَلَا أَعْنِي بِشِعْرِ الْعَوَاطِفِ رَصَّفَ كَلِمَاتٍ مَيْتَةٍ تَدُلُّ عَلَى التَّوَجُّعِ أَو ذَرَفِ الدُّمُوعِ، فَإِنَّ شِعرَ الْعَوَاطِفِ يَحْتَاجُ إِلَى ذِهْنٍ خِصْبٍ وَذَكَاءٍ وخيالٍ وَاسِعٍ لِدَرْسِ الْعَوَاطِفِ وَمَعْرِفَةِ أَسْرَارِهَا وتحليلها). وَلَمْ يَرُقْ شعْرُ شَوْقِي للعقّادِ لِأَنَّهُ يزخُرُ بِالصَّنْعَةِ، وَلَا يُعَبِّرُ عَنِ الْعَوَاطِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ الصَّادِقَة .

فَحِينَمَا تَقْرَأُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَهِي لِلشَّاعِرِ الْعِرَاقِيّ الْبَابِلِيّ ضِيَاء مَحْمُود المَجِيد(٤٤)، مِن قصيدةٍ مِن دِيوَانِه (عصافير تحتسي الغروب) وَالَّذِي أهداني نسخةً مِنْه :

أُفكّرُ ليلتي وسَنَا نَهاري ... أفكرُ فيكِ حتى صرتِ وَقتي

وراءكِ خلفَ أشجاني وسُهدي ... وأذهبُ للوَغى أنّى ذَهَبتِ

وأيمُ اللهِ إنَّ الصمتَ أمضى ... من السيفِ المُهَنَّدِ ما امتشَقتِ

تجدْ أَن الْوِجْدَان يَتَحَرَّكُ كَمَا يَتَحَرَّكُ وجدانُ الشاعرِ، فكتبَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ.

---

(٤٤) شاعر عراقي بابلي من مواليد ١٩٥٣ بابل – الإسكندرية، التحصيل الدراسي بكالوريوس لغة انجليزية ودبلوم لغة المانية، عمل في التدريس لما يزيد على ٤٠ عاما. كتب الشعر العمودي منذ أن كان طالبا في الثانوية، وشارك حينها بالمهرجانات المدرسية والشعبية. أصدر أول مجموعة شعرية بعنوان أحلام مؤجلة عام ٢٠١٤ ثم ديوان ثان بعنوان (عصافير تحتسي الغروب عام ٢٠١٧)وهو عضو إتحاد الادباء والكتاب في العراق وعضو مجموعة شعراء المتنبي وعضو تجمع فرسان العمود وعضو في جمعية الرواد الثقافية وعضو اتحاد الادباء العرب. شارك في مهرجانات داخل وخارج العراق أهمها مهرجان المربد الدولي الثالث والثلاثين و مهرجان بابل الدولي.

حِينَمَا تَقْرَأ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ، تَشْعُر وَكَأَنَّهَا تَتَنَفَّس، وتتكلم مَع الْقُلُوب، فتثيرُها طَوْعًا أَوْ قَسْرًا .

وَحِينَمَا تَقْرَأ أَبْيَات الشَّاعِر الدكتور فَارِس الْخُفَاجِيّ[٤٥] مِن دِيوَانِه (على ضِفاف القوافي) الذي صدَرَ عام ٢٠٢١م:

من ليس يفهمُ بَوحَ العينِ إن نَطَقَتْ
فإنهُ لأحاسيسِ الهَوى جَهِلا
يا ساكنَ القلبِ، يا نبضاً بِداخِلِه
يا من على كلِّ غالٍ في الحياةِ غَلا
أهدَيتُه الدمعَ في حُزني وفي فَرَحي
وهْوَ الجديرُ بأن أهدي له المُقلا

تَشْعُرْ وَكَانَّ المَعَانِي تَتَحَدّثُ إلَيْكَ، وَهِي تُترجمُ رَهِيفَ قَلْبِ الشَّاعِر، وَتُرْجُمَانِ أحاسيسه ووجدانه، فَتُحَرِّكُ الْعَوَاطِفَ، فتستجيبُ رَغْمًا عَنْهَا .

وَحِينَمَا تَقْرَأ أبياتاً لِلشَّاعِر عَلِيّ حَميد الحمداني ، الشَّاعِر الْبَابِلِيّ :

([٤٥]) طبيب وشاعر عراقي من مواليد عام ١٩٦٨م عاش في محافظة بابل أكمل دراسته الإعدادية في مدينة الحلة وأكمل دراسة الطب في كلية طب البصرة جنوب العراق عام ١٩٩٢م حاصل على شهادة الدبلوم العالي في طب الأسرة. له ديوانان مطبوعان هما (أغاريد صادقة ٢٠١٧) و(على ضفاف القوافي= ٢٠٢١) وكلها من الشعر العمودي وبعض قصائد التفعيلة. عضو جمعية الرواد الثقافية المستقلة فرع بابل. عضو في مؤسسة شعراء العمود في العراق.

سَهَري الطويلُ ينامُ في أحداقي والشوقُ يَسحبُني إلى أعمَاقي

وأدورُ في تِلكَ الأزقةِ هارباً من لَوعةٍ ضَرَبَتْ بلا إشفاقِ

هيَ لَيلةٌ والبدرُ فيها كاملٌ لا شيءَ يؤنسُني سِوَى أشواقي

يأخذك إلَى عَالَمِ الخُيَالِ، فَيَطُوفُ بِكَ بَيْنَ أَزِقَّةِ المَدِينَةِ الَّتِي عَشِقَهَا، فَهَرَبَ إِلَيْهَا بأشواقِهِ وَآلامِهِ .

اللطيفة الحادية و الثلاثون

" أَلِفُ التَّأسيس "

قلتُ في إحدى قَصائِدي، وهي من بحر الكامل، وحرفُ الرَّويّ فيها الباءُ المفتوحةُ متبوعةً بألِفِ الإطلاقِ:

يَـا أَيُّهَـا الْمُزْجِـي[٤٦] حَنِـينَ غَرَامِـهِ
أَرْفِقْ، فَقَدْ أزجى السُّراةُ رَكَائِبَا[٤٧]
وَاطْـرَحْ مِـنَ الهَـمِّ الْعَظِيمِ حَمَـائِلاً[٤٨]
وَاجْـنَحْ[٤٩] إِلَى هَيْفَـا النِّسَـاءِ مُـدَاعِبَا
هـذِي حَيَـاةُ المَـرْءِ أَسْرَعُ رَاكِـضٍ
حَيْثُ المَغِيبُ، أَلَيسَ مِثْلُكَ ذَاهِبَا؟

---

(٤٦) أزجى الله الفلك:زجاها، ساقها، جعلها تمضي في رِفق "أزجي الفلاحُ ماشيتَه- {رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ} - {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا} ".

(٤٧) السراةُ: جمعُ سار، الذي يسيرُ ليلاً، السُّرَى : سَيرُ عامَةِ الليل. ركائبا: الرِّكابُ :الإبل المركوبة، أو الحاملة شيئًا، أو التي يراد الحملُ عليها.

(٤٨) حمائل: جمع الحَمِيلُ :ما حمله السَّيْل من الغُثَاءِ والطِّين.

(٤٩) جَنَحَ إليه، وجَنَحَ له: مالَ إليه وتابَعَه.

وَأَنِـــينُ ذَا الصَّـــدِّ الْمُقِـــيمُ كَغَيْمَـــةٍ

وَرَفَـتْ وَغَطَّـتْ بِـالْهُمُومِ غَيَاهِبَـا[٥٠]

وَيَحَـــارُ ذَا اللَّيْـــلُ الْبَهِـــيمُ بِطِفْلَـــةٍ[٥١]

حَـــوْرَاءَ، تَلْتَفِـــعُ الجَـــمَالَ كَواكِبَـــا[٥٢]

تُغْرِيـــــكَ فِي دَلٍّ تَزِيـــــدُ بَهاءَهَـــــا

فَاقَـــتْ بِـــأَلْوَانِ الغُنَـــاجِ لَوَاعِبَـــا[٥٣]

لَـــكَ فِي الحَيـــاةِ مَـــذَاهِبٌ وَمَشَـــارِبٌ

أَفَـــلَا تَصُـــوغُ مِـــنَ الغَـــرَامِ مَـــذَاهِبا

قِـــفْ وَالِهـــاً لَعِـــبَ الهُيَـــامُ بِعَقْلِـــهِ[٥٤]

لِتَطـــولَ فِي دُنْيَـــا الجَـــمَالِ مَرَاتِبَـــا

نَهَلَتْـكَ مِـنْ عَسَـلِ الشِّـفَاهِ مَراضِـباً

فَنَشَرْـتَ مِـنْ طَـلِّ الرُّضَـابِ سَـحَائِبَا

---

[٥٠] ورَفَ الظِّلُّ: اتَّسع وطال وامتدَّ. غياهبا: الغَيْهَبُ : الظُّلْمَةُ.

[٥١] لَيْلٌ بَهِيمٌ : مُظْلِمٌ.

[٥٢] الحَوْراءُ من النِّساء: البيضاء، لا يُقصد بذلك حَوَرُ عينَيْها. الْتَفَعَ بالثَّوب: اشتمل به حتَّى يُجَلِّل جسدَه.

[٥٣] الغُناجُ : الدَّلاَلُ. امرأَة لَعُوبٌ: الرَّشيقة الحركات الحَسَنةُ الدَّلال.

[٥٤] مَا زَالَ وَالِهاً بِهَا : مُتَحَيِّراً بِهَا مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ وَالوَجْدِ. الهُيَامُ :الجُنون من العشق.

لَعِبَــتْ كَــأَمْوَاجِ تَمِيــدُ بِخِصْــرِهَا
تُخْفِــي كَــأَعْمَاقِ البِحَــارِ عَجَائِبَــا

ما هوَ ألفُ التأسيسِ؟ ولماذا سُمّيَ بهذا الاسمِ؟

الجوابُ: أَلِفُ التأسيسِ هو حرفُ الألِفِ الذي هو أحدُ حُروفِ القافيةِ، يفصل بينهُ وبينَ الرَّويِّ حرفٌ صحيحٌ. والرويّ في قصيدتي أَعلاهُ هو الباءُ متبوعاً بألفِ الإطلاقِ. وألفُ التأسيسِ هو الألفُ الذي يسبِقُ حرفَ الرويّ مَتبوعاً بحرفٍ صَحيحٍ، وهو الهمزةُ الجالسةُ على الكرسيِّ في البيتِ الأولِ (رَكائِبا). أمَّا لماذا سُمِّيَ بالتأسيسِ؟ فَلأَنَّهُ تَقَدَّمَ على أَحرُفِ القافيةِ فكانَ أَشْبَهَ بأُسِّ البِناءِ. ومنَ الأمورِ المهمَّةِ في هذا المجالِ هو إذا وُجِدَ التأسيسُ في البيتِ الأوَّلِ منَ القصيدةِ، فعَلى الشاعرِ أَنْ يلتزِمَ بهِ في كُلِّ أَبْياتِها.

سؤال: وإذا لم يَلتزِمْ الشَّاعرُ بهذا الكلامِ، فماذا نُسَمِّي هذا؟ وهل يُعَدُّ ذلك عَيباً كَبيراً في القصيدةِ؟

الجواب: نعم هذا عَيبٌ من عُيوبِ القَافيةِ يُسَمَّى: سِنادُ التَّأسِيسِ.

سؤال: هل يُشْتَرَطُ في أَلفِ التأسيسِ أَن تَكونَ في الكلمةِ نَفسِها التي بها حَرفُ الرويّ؟

الجواب: يُشترطُ في ألفِ التأسيسِ أَن تكونَ في الكلمةِ نفسِها التي بها حرفُ الرويِّ أو في كلمةٍ أُخرَى بِشَرطِ أن يكونَ حرفُ الرويِّ ضَميرًا أو جُزءً من ضَميرٍ.

فَمِثالُ كونِ التأسيسِ في الكلمةِ نفسِها التي بها حَرْفُ الرويِّ قولُ المتنبي:

على قَدرِ أهلِ العَزْمِ تأتي العَزائِمُ

وَتأتي على قَدْرِ الكِرامِ المَكَارِمُ

ومثالُ كونِ التأسيسِ في كلمةٍ أخرى غيرِ الكلمةِ التي بها حرفُ الرويِّ والذي هو الضميرُ الياءُ قولُ الشاعرِ:

سَأُحْرِقُ أشْعَاري وَكُلَّ خَواطِري

وَأخرُجُ منها لا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

وَمِثالُ كونِ التأسيسِ في كلمةٍ أخرى غيرِ كلمةِ الرويِّ التي هي بعضُ ضَميرٍ قولُ الشاعرِ:

فإنْ شِئْتُما ألقَحْتُما أو نَتَجْتُما

وإنْ شِئْتُما مِثْلًا بِمِثْلٍ كَما هُمَا

فالميمُ هو حرفُ الرويّ وهي جزءٌ منَ الضميرِ هما.

فإن كانتْ الألفُ في كَلمةٍ والرويُ في كلمةٍ أخرى لَيستْ ضَميرًا فلا تُسَمَّى هذهِ الألفُ تأسيساً ولا تَلزَمُ الشاعرَ مثل قولِ الشاعرِ القرويِّ:

صياماً إلى أنْ يَفْطِرَ السَّيفُ بالدمِ

وَصَمتاً إلى أنْ يَصْدَحَ الحَقُّ يَا فَمِي

أفِطْرٌ وأحْرَارُ الحِمَى في مَجَاعَةٍ
وَعيدٌ وَأبطالُ الجهادِ بمَأتَمِ

فالميمُ هو حرفُ الرويِّ وهو في كلمةٍ لَيست ضَميرًا والألفُ في كلمةٍ أخرى فلا نَعُدُّهَا تأسيساً ولا يَلتزمُ الشاعرُ بها كما هو واضحٌ في البيتينِ السابقينِ. هذا كلُّ شيءٍ عن ألفِ التأسيسِ.

اللطيفة الثانية والثلاثون

"صَرفُ ما لا يَنصَرفُ"

من كتاب: الضرورة الشعرية ومفهومها لدى النحويين: دراسة على ألفية بن مالك لإبراهيم بن صالح الحندود، في باب "صرف ما لا ينصرف":

(ذكرَ العلماءُ أنه يجوزُ للشاعرِ أنْ يَصرِفَ في الشعرِ ما لا يَنصرِفُ؛ لأنَّ الأسماءَ أَصلُها الصَّرفُ. فإذا اضطُرَّ الشاعرُ، ردَّها إلى أصلِها ولم يلتفتْ إلى العِللِ الدّاخلَةِ عليها).

ويرى بعضُ البصريّينَ أنّ كلَّ ما لا ينصرفُ يجوزُ صَرفُهُ إلاَّ أنْ يكونَ آخرُهُ ألفَ تأنيثٍ نحو: "بشرى" فإنه لا يجوزُ فيه ذلك. واستثنى الكسائيُّ والفرّاءُ "أفعل" الذي معه "مِنْ" كـ "هذا أفضلَ منك، ورأيت أكرمَ منك. فإنه لا يجوز صرفه.

وذكرَ بعضُهُم أنَّ صرفَ ما لا ينصرفُ لغةٌ عندَ قومٍ منَ النُّحاةِ. وقد أجازَ ذلك في الكلامِ أحمدُ بن يحيى. وزعمَ أبو الحسنِ الأخفشُ أنهُ سَمِعَ منَ العربِ مَن يصرف في الكلامِ جميعَ ما لا ينصرفُ. كما حَكى الزجاجي مثل ذلك.

وفي دراسةٍ هي عبارةٌ عن رسالةٍ لنيلِ شهادةِ الماجستير للباحثِ صالح فليح زعل المذهان من جامعةِ الشرقِ الأوسطِ تبين له أنَّ صرفَ الممنوعِ منَ الصرفِ لم يكن إلاّ لُغةً عربيةً فصيحةً صرفتِ الممنوعَ من الصرفِ مطلقاً وما

صرفُ الممنوعِ من الصرفِ في القرآن الكريمِ وقراءاتهِ إلاّ دَليلٌ على فصاحةِ هذهِ اللغةِ. ومنَ الشواهدِ في الشعرِ العربي قولُ عمرو بن كلثوم:

كأنَّ سُيوفَنا فينا وفيهِم مخاريقٌ بأيدي لاعبينا

لم يكن هناكَ ضرورةٌ لا من جهة الوزنِ أو غيرهِ في صرفِ كلمةِ " مخاريق" وهي صيغةُ (منتهى الجموعِ) في اصطلاحِ النحويينَ والتي حقُّها حسب القواعدِ النحويةِ أن تمنعَ من الصرفِ، لكننا وجدنا الشاعرَ يصرفها دون أن يعترضَ عليهِ أحدٌ لأن الأصلَ هو الصرفُ. ومن الأبياتِ التي نظمتْ في النحو هذا البيت:

والصَّرفُ في الجَمع أتى كثيرا
حتى ادَّعى قومٌ بهِ التَّخييرا

ومنَ الشواهدِ الأخرى قولُ الأخطلِ:

كَلَمْعِ أيدي مثاكيلٍ مُسَلَّبَةٍ
يَنعَيْنَ فِتيانَ ضَرسِ الدهرِ والخُطُبِ

ويلاحظُ أنه كلمةَ" مثاكيلٍ" قد صُرِفتْ من غيرِ عِلَّةٍ أوجبتْ صرفَها.

ومنَ الشواهدِ الأخرى قولُ الأخنسِ بن شهاب:

وغارتْ إيادٌ في السَّوادِ وَدونَها برازيقُ عُجْمٌ تَبتَغي مَنْ تُضارِبُ

فقد صرف "إياد" وحقها المنع من الصرفِ لأنها علمٌ مؤنثٌ لا لضرورةٍ

وزنية أو غيرها.

وقولُ الشماخ:

وجاءتْ سُلَيمٌ قَضَّها بِقضيضِها

تُمَسِّحُ حَوْلي بالبَقيعِ سِبالَها

وقد صرف " سُلَيم" وحقها المنعُ من الصرفِ. وهناك شواهد كثيرة أصفحنا عنها خوفاً من الإطالةِ.

وقولُ لبيد:

فضلاً وذُو كَرَمٍ يُعينُ على النَّدى سَمْحٌ كَسُوبُ رَغَائِبٍ غَنَّامُها

فصرَفَ (رغائبٍ) بتنوين الكسر، والأصل فيها عدمُ الصَّرفِ؛ لأنها من صِيَغِ مُنتهى الجُموعِ؛ وهي على وزنِ (مفاعِل) كـ (مساجد) التي تمنع من الصرف.

وقد جاءت في القرآن ألفاظ قليلة، خالفت قاعدة الممنوع من الصرف، من ذلك قوله تعالى: {إنا أعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً} (الإنسان:٤)؛ فقد جاء في الآية لفظ {سلاسلا} منوناً مصروفاً، وبحَسَبِ مُقتَضى قواعِدِ المَنْعِ من الصَّرفِ، كان ينبغي أن يُمنَعَ هذا اللفظُ منَ الصَّرْفِ؛ لأَنَّهُ مشبه صيغة ووزن (مَفَاعِل)، وهو من صيغ منتهى الجموعِ، وكلُّ ما جاءَ على هذهِ الصيغةِ، يُمنَعُ منَ الصَّرفِ؛ كمساجد، وصوامع، ومنابر؛ فلا يُنَوَّنُ، ويُجَرُّ بالفَتحَةِ عِوَضاً عن الكسرةِ. وإضافة إلى كل ما سبق، فإن لفظ {سلاسلا} قد جاء في مصاحف مكة

والمدينة والكوفة بالألف؛ فكان ذلك دليلاً على صحة مجيء هذا اللفظ مصروفاً. على أن القراءات القرآنية روايات مسموعة، ورسم المصحف سنة متبوعة؛ ومجيء لفظ {سلاسلا} مصروفاً، قراءة صحيحة متينة، يعضدها رسم المصحف، وهي جارية على طريقة عربية فصيحة.

"غواشٍ" في قوله تعالى:((لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)). و "تتراً" على قراءة من القراءات في قوله تعالى ((ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَاً . كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ . فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ)). التي وردت من أقوامِ العربِ وألسنتهم ولهجاتهمْ ومن الطبيعي أن نعترف بكلِّ لهجاتِ العربِ.

اللطيفة الثالثة والثلاثون

"شرُّ النساءِ"

دخلَ مجلِسَنا وَكُنَّا نَتَجاذَبُ أطرافَ الحَديثِ مِن شِعرٍ ونَثرٍ وطُرفَةٍ. سلَّمَ بتحيةٍ عَرجاءَ ابتَلَعَ نِصْفَهَا، وَأَلْقَى نصفَها الآخرَ عَلَيْنَا. جلسَ، فتهَيَّبنا سؤالَهُ، وَكَانَ فِي سابقِ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى وِفَاقٍ دَائِمٍ مَعَ زَوْجَتِهِ، فَفِي كُلِّ مُدَّةٍ يتحفنا بمشكلةٍ جَدِيدَةٍ مَعَهَا .

سَأَلْتُه : هَا، أَرَاك لَسْتَ عَلَى مَا يُرام. مَا بِك؟

قَالَ: وَهَل غَيْرُهَا؟

قلتُ: مُشْكِلَةٌ جَدِيدَة؟ سَاعدَك الله يَا صَدِيقِي. أَنَا لَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْك، لَكِنَّنِي أتحاملُ عَلَى نَفْسِي. مَا بَالُ المَرْأَةِ إذَا تَزَوَّجَتْ وأكتنفها بَيْتُ الزَّوْجِ، دَرَجَت إلَى التَّمَرُّد وَالطُّغْيَان وَحُبّ التَّسَلُّط وَالسَّيْطَرَةِ، وَكَأَنَّهَا فَتَاةٌ أُخْرَى، لَا تِلْكَ الَّتِي عَرَفَهَا قَبْلَ الْبِنَاءِ بِهَا؟ هَلْ لَك أَنْ تُجِيبَنِي يَا أَخِي وَأَنْتَ المثقفُ وَالشَّاعِرُ الَّذِي لَا يَشُقُّ لَهُ غُبَارٌ .

قَالَ وَقَدْ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْغَضَبِ: بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ فِي اللَّيْلَةِ المَاضِيَةِ كَتَبَتُ أَبْيَاتًا ستقرأها فِي هَذِهِ الْوَرَقَةِ، أَوْجَزْتُ فِيهَا مَا أعانيه، وَمَا هُوَ تقييمي لِلْمَرْأَة، لِأَنَّنِي أَحْسَسْتُ، بَعْدَ كَثْرَةِ المَشَاكِلِ مَعَهَا أَنَّهَا لَا يُمْكِنُ إِصْلَاحُهَا، ففقدتُ الْأَمَلَ مِنْ هَذَا. هَذِهِ الْأَبْيَاتُ جَرَينَ دُون تَأَمُّلٍ مِنِّي. قلتُ:

مـــا شَرُّ مـــا خَلَـــقَ الإلـــهُ ســـأَلتَني
فَأَجَبـــتُ مـــن قَهْـــري وَلا أتَهَيَّـــبُ
المـــرأةُ البَلـــوَى يُخَـــادِعُ ضَـــعْفُها
فَاحـــذَرْ ضَـــعيفَ الخَلـــقِ، ذلـــكَ مَطلَـــبُ
لَـــنْ يُرتَجَـــى مِنهَـــا صَـــفَاءُ سَريـــرَةٍ
وَخِيـــارُهُنَّ الى السَّـــذاجَةِ أقْـــرَبُ
وَخَـــبَرْتُهُنَّ فَـــما لَهُـــنَّ رَجَاحَـــةٌ
في الـــرَّأيِ إلا نُـــزْرَةٌ لا تُحْسَـــبُ
وَجَمـــالُهُنَّ فُقاعَـــةٌ وَحَبائِـــلٌ
تُغْـــري بِـــهِ ضَـــعفَى القُلُـــوبِ وَتَخلِـــبُ
تُعطيـــكَ مـــن غَـــزَلِ اللِّســـانِ وَعَذبِـــهِ
وَتَقـــولُ مِـــنْ حِكَـــمِ الغَـــرامِ وَتَكـــذِبُ
أمَّـــا الرِّجـــالُ عَزيمَـــةٌ وَصَـــلابَةٌ
كَـــفٌّ تَعَـــوَّدَ للنَـــدى يَسْـــتَعذِبُ
وَخَـــبَرتُ أفئِـــدَةَ الرِّجـــالِ وَجَـــدتُها
كَصَـــفاءِ يُنبُـــوعٍ، بـــلى، بـــلْ أعـــذبُ

دَعْ ذِكْـــــرَهُنَّ فَـــــإنَّهُنَّ سَـــــوامٌ
فِي الخَتْـــلِ والعُجْـــبِ المَقيـــتِ وَقُلَّـــبُ
واهجُـــرْ صَـــباباتِ القلـــوبِ فشَـــأنُها
تُلْهيـــكَ عـــن ذِكـــرِ الإلـــهِ فَتُـــذنِبُ
هـــيَ نَـــزوةٌ للعـــابِثينَ وَسَـــطوَةٌ
شَرَكٌ يُنكِّـــلُ بِـــالقُلوبِ ويُرعِـــبُ
لـــولا الحَيـــاءُ لَكُنـــتُ أوَّلَ عـــازِفٍ
عـــن بُقْعَـــةٍ فيهَـــا النِّســـاءُ تَقَلَّـــبُ
لا القلـــبُ يَهـــوى، والعيـــونُ طَـــوامحٌ
أحيـــا بعيـــداً دونَ أنثـــى تَلعَـــبُ
واقصِـــدْ الى مَرقَـــى الرِّجـــالِ مُوَاظِبـــاً
إنَّ الحيـــاةَ صَـــحيفَةٌ بِـــكَ تُكْتَـــبُ

لستُ الوحيدَ الذي ذم المرأة بل كثير من الشعراء والفلاسفة على مر التاريخ ومنهم البحتري حيث قال:

بِكُـــلِّ سَـــبيلٍ لِلنِّسَـــاءِ قَتِيـــلُ
ولَـــيْسَ إلى قَتْـــلِ النِّسَـــاءِ سَـــبِيلُ

وَفي كُـــــلِّ دَارٍ للمُحَبِّـــــينَ حَاجَـــــةٌ
ومـــــا هِـــــيَ إلاَّ عَـــــبْرَةٌ وعوِيـــــلُ
وَإِنَّ بُكَـــــائي بـــــالطُّلُولِ لَرَاحَـــــةٌ
فَهَـــــلْ مُسْـــــعِدَاتي بالْبُكَـــــاءِ طُلُـــــولُ؟
كـــــأَنْ لَمْ يَكُـــــنْ فِيهَـــــا لِعَيْنَيْـــــك مَنْظَـــــرٌ
إِذِ الـــــدَّارُ دارٌ، والحُلُـــــولُ حُلـــــولُ
وَإِذْ حَسَـــــنَاتُ الـــــدَّهْرِ يَجْمَعْـــــنَ بَيْنَنَـــــا
عـــــلَى الوَصْـــــلِ، والحُـــــرُّ الكـــــريمُ وَصُـــــولُ
فأَحْـــــدَثَتِ الأَيَّـــــامُ بَيْنـــــي وبَيْنَهـــــا
ذُحُـــــولاً، ومـــــا تَفْنَـــــى لُهُـــــنَّ ذُحُـــــولُ
ولَـــــوْلاَ الهَـــــوَى مـــــا ذَلَّ في الأَرضِ عاشـــــقٌ
وَلكِـــــنْ عَزِيـــــزُ العاشِـــــقِينَ ذَلِيـــــلُ

وقال آخرُ:

إن النساء كأشجار نبتن معًا ... منهن مُرٌّ وبعض المرِّ مأكولُ
إن النساء ولو صوِّرن من ذهبٍ ... فيهن من هفوات الجهل تمحيلُ

إن النساء متى ينهين عن خُلق فإنــه واجــب لا بــد مفعــول

فـما وعـدنَكَ مـن شرّ وفـين بـه وما وعدنك مـن خـير فممحـولُ

وقالَ آخرُ:

هي الضِّلع العوجاء لست تُقيمها

ألا إن تقويم الضلوع انكسارُها

وتجمع ضعفًا واقتدارًا على الفتى

وهذا عجيبٌ: ضعفها واقتدارُها

قال لي: ما قولكَ أنتَ أيها الشاعرُ العاشقُ، في النساءِ؟

قلتُ: أنا من النساءِ بينَ بين، لا أمدحُهنَّ مدحَ عاشقٍ مُستهامٍ، ولا أقدحهُنَّ كمبغضٍ قالٍ مُضامٍ، فهن الضعافُ، مهما عظُم شأنُهنَّ، وهنَّ الأمهاتُ، والبناتُ، والحبيباتُ، والأخواتُ، الحانياتُ، والمؤازراتُ في أوقاتِ الشدائدِ، والباكياتُ في حالِ المرضِ والسقامِ، وذواتُ النفوسِ الرقيقةِ، والقلوبِ الشفيقة. خيارُهنَّ تُوزنُ بميزانِ الذهبِ. وإن صلُحنَ، فإنهنَّ عنوانُ الأخلاقِ، والأدبِ، لا مناصَ للرجلِ من خِلَّتِهنَّ، ولا مندوحةَ عن عِشقِهنَّ. لن يكونَ للرجلِ بيتٌ إلّا إذا سَكَنتهُ المرأةُ، ولا يُسمّى بيتًا حتى يكونَ فيه أهلٌ، وهي المرأةُ ومن ورائها الذريةُ والولَد. وإذا لم تصلحْ المرأةُ، فلك أن تستبدِلَها بخيرٍ منها، لأن العيشَ مع سيئةِ الخُلقِ، والجاهلةِ لمعنى الأسرةِ والعِشرةِ، لا خيرَ فيها، ولا أعممُ الأمرَ، فأغلبُ النساءِ من

الصالحاتِ، الطائعات، الحافظات، الحانيات على أزواجهنَّ، وأرجو أن يكن كذلك. أصلحَ الله لك زوجَك، وألقى الله بينكما السكينةَ والوئامَ، يا صديقي، على الشرط الذي اتفقنا عليه قبل مدة من الزمانِ، وهو أن تحسنَ إليها لا أن تتسلَّطَ عليها وتشبعَها قذعاً وشتماً.

قَال : بَعْدَ أَنْ هَزّ يدَه مُسْتَهْزِئًا بِمَا قُلْتُ: أَسْأَلُ اللهَّ أَنْ يُرِيك مَا رَأَيْت حَتَّى تُصَدِّقَ بِمَا أعانيه. لَقَد اسْتَنْفَذْتُ كُلَّ سُبُلِ الْإِصْلَاحِ مَعَهَا لَكِنَّهَا لَمْ تُصْلِحْ مِنْ حَالِهَا، وَلَا أَظُنُّ بَعْدَ مُرُورِ عِشْرِينَ سَنَةً أَن أَحْظَى بِامْرَأَةٍ مُطِيعَةٍ، وَدُودَةٍ، فَهِي رَجُلٌ بِمَعْنَى الْكَلِمَةِ يَا صَدِيقِي .

قُلْتُ: أَعَانَك اللهَّ يَا أَخِي، لَمْ يَبْقَ مَا أَقُولُه لَك .

اللطيفة الرابعة والثلاثون

" كلُّ جَمعٍ مُؤَنَّثٌ"

سألتُ الأستاذَ: كيف نُعربُ "رجالات" وقد انتهت بألف وتاء وهم رجال!!

قال: انتبه لي: إذا قلتُ: رأيتُ رَجُلاً فإنَّ "رَجُلاً" مفعولٌ بهِ منصوبٌ بالفتحةِ. ولو جعلتَها: رأيتُ رجالاً، فإنَّ "رِجَالاً" مفعولٌ بهِ منصوبٌ بالفتحةِ أيضا. ولو جَعلتَها: رأيتُ رجالاتٍ، فإنَّها تُنصبُ بالكسرةِ بدلَ الفتحةِ، لأنها جمعُ مؤنثٍ سالم. أليس كذلك؟

قلتُ: بلى. ولكن كيف نجمعُ الرجالَ جمعاً مؤنثاً سالماً؟

قال: رجالاتٌ جمع " رجالٌ" أي يُجمَعُ الجمعُ على المؤنثِ. كما قال تعالى: ((كأنهُ جِمَالاتٌ صُفْرٌ)) على قراءة.

ويُنسبُ للزمخشري هذان البيتان:

إنَّ قَومي تَجَمَّعوا وبِقَتلي تَحَدَّثوا

لا أبالي بِجَمْعِهِمْ كلُّ جَمْعٍ مُؤَنَّثُ

ولا يُفهمُ من البيتِ الثاني أن كلَّ جمعٍ للجمعِ يأتي جمعًا مُؤنثًا سالماً، إنَّما تَنطبقُ القاعدةُ على جمعِ جمعِ التكسيرِ فقط. واللمسةُ اللطيفةُ التي ذكرها الزمخشري في

البيت الثاني وأراد بها أن القوم أرادوا به شرا أو ربما تحدَّثوا بقتلهِ، لكنهُ لم يبالِ بهم، لأنهم بجمعهم وان كانوا من الرجال فهم أناثٌ لا يعتد بهم.

اللطيفة الخامسة والثلاثون

" قراءةٌ لِمُعَلَّقةِ عنترة"

تَعَوَّدتُ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظفاري أَنْ لَا أَمْدَحَ شَخْصًا وَلَا شَيْئًا حَتَّى أَخْبُرَهُ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ وأَتَفَحَّصَهُ عَمِيقَ التَّفَحُّصِ، وأغُوصَ فِي أَعْمَاقِه. كُنتُ اسْتَمِعُ لِعَدَدٍ منَ المَادِحين، وَمِنْهُمْ مَنْ يُقَدِّمُ عِبَارَاتِ المَدْحِ لشاعرٍ أَو قَصيدةٍ وَكَأَنَّهُ يُقَدِّمُ أَحَاسيسَهُ عَلَى طَبَقٍ مِنَ الْفِضَّةِ إلى حبيبتِهِ، بِوَلَهٍ وَهُيَامٍ. سَمِعْتُ كَثِيرًا عَنْ مُعَلَّقَةِ عَنْتَرَةَ، وَأَنَّهَا مِنْ أَجْوَدِ الشِّعْرِ وأَفْخَمِهِ وأبلَغِهِ. فَهِيَ قَصِيدَةٌ كُتِبَتْ، وَكَمَا تَقُولُ الرِّوَايَةُ الَّتِي لَا يُعْرَفُ مَدَى مِصداقيتِها، أَنَّهُ، أَيْ عَنْتَرَة ((جَلَسَ يَوْمًا فِي مَجْلِسٍ بَعْدَمَا كَانَ قَدْ أَبْلَى وَاعْتَرَف بِهِ أَبُوهُ وَأَعْتَقَهُ فَسَابَّهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْسٍ ذَكَرَ سَوَادَهُ وَأُمَّهُ وَإِخْوَتَهُ، فَسَبَّهُ عَنْتَرَةُ وَفَخَرَ عَلَيْهِ، وَقَالَ فِيمَا قَالَ: إِنِّي لَأحضُرُ الْبَأْسَ وَأُوفِي المَغْنَمَ وَأعُفُّ عَنْ المَسْأَلَةِ، وَأَجُودُ بِمَا مَلَكَتْ يَدَي وَأُفَضِّلُ الخُطَّةَ الصَّمَّاءَ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَنَا أَشعَرُ مِنْكَ. قَالَ: ستعلمُ ذَلِكَ. فَقَالَ عَنترةُ المُعلَّقَةَ)).

تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ وَبَدَأْتُ قِرَاءَةَ المُعَلَّقَةِ بِتَمَعُّنٍ، حَتَّى أَخْبُرَ مَا جَاءَ فِيهَا. مَطْلَعُهَا كَانَ:

هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ أَم هَلْ عَرَفتَ الدَّارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

وَبَعْد وُصُولِي الْبَيْتَ الثَّالِثَ وَجَدْتُ أَوَّلَ حَيَوَانٍ ذَكَرَ فِي بِدَايَةِ الْقَصِيدَةِ وَهُو

النَّاقَةُ حَيْثُ يَقُولُ:

وَلَقَدْ حَبَسْتُ بها طَويلًا نَاقَتي أشكُو إلى سُفْعٍ رَواكِدَ جُثَّمِ

ثُمَّ يَعُودُ فَيُكَرِّرُ ذِكْرَ النَّاقَةِ فِي الْبَيْتِ السَّابِعِ (عَلَى رِوَايَةٍ) :

فَوَقَفتُ فيها ناقَتي وَكَأَنَّهُ فَدَنٌ لِأَقضِيَ حاجَةَ المُتَلَوِّمِ

والفَدَنُ : القَصْرُ. ويشيرُ الى دارِ عَبلةَ. والمُتَلَوِّم: هو المُتَمَكِّثُ.

ثُمّ يَتَوَالَى ذِكْرُ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْقَصِيدَةِ فَيَذْكُرُ " الهَيْثَمَ" فِي الْبَيْتِ التَّاسِعِ:

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عَهدُهُ أَقْوَى وَأَقفَرَ بَعدَ أُمِّ الهَيثَمِ

يَمْدَحُ الطَّلَلَ وَيُقْصَدُ بِهِ مَا تَبَقَّى مِنْ دَارِ عَبْلَةَ. وَقَدْ كَانَ يُكَنِّي عَبْلَةَ بـ ((أُمِّ الهَيثَمِ)). والهَيْثَمُ هُوَ الصَّقْرُ أَوْ هُوَ فَرْخُ العُقَابِ أَو فَرْخُ النَّسْرِ. وَأَقْوَى المكانُ: أَيْ خَلَا مِنْ سَاكِنِيهِ وَأَقْفَرَ: خَلَا مِنْ الناسِ. فَبَعْدَ عَبْلَةَ خَلَا المَكَانُ مِنْ سَاكِنِيهِ وَأَقْفَرَ.

ثُمّ نَصِلُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَادِيَ عَشَرَ فَنَجِدُ أَنَّهُ ذَكَرَ الْأُسُودَ :

حَلَّت بِأَرضِ الزائِرينَ فَأَصبَحَتْ عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ اِبنَةَ مَخرَمِ

وَالزَّائِرِينَ : جَمْعُ زَائِرٍ أَي الأَسَدُ الَّذِي يَزْأَرُ وَأَرَادَ بِهِ أَرْضَ الأَعْدَاءِ.

وَنَصِلُ الْبَيْتَ الرَّابِعَ عَشَرَ فَيَأْتِي عَلَى ذِكْرِ الْعَنْزَةِ وَالغَيْلَمِ :

كَيفَ المَزارُ وَقَد تَرَبَّعَ أَهلُها بِعُنَيزَتَينِ وَأَهْلُنَا بِالغَيلَمِ

عُنَيزَتَينِ: مَوْضِعٌ. لَكِنَّهُ فِي الْأَصْلِ اسْمٌ للعَنْزَةِ، وَهِيَ الْحَيَوَانُ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَى عَائِلَةِ المَاشِيَةِ. أَمَّا الغَيْلَمُ فَهُو: السُّلَحْفاةُ الذَّكَرُ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى "شَابٌّ غَيْلَمٌ":

عَرِيضُ المَفْرِقِ كَثِيرُ الشَّعَرِ، أَو غَيْلَمُ الآبَارِ: مَنْبَعُ المَاءِ فِيهَا. وَنقولُ: مَا بِالدَّارِ غَيْلَمٌ : أي أَحَدٌ. وتربَّعَ : أَي أقامَ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ.

وَفِي الْبَيْتِ الْخَامِسَ عَشَرَ يَذْكُرُ كَلِمَةَ " ركائب" حَيْثُ يَقُولُ :

إِن كُنتِ أَزمَعتِ الفِراقَ فَإِنَّما زُمَّتْ رِكائبُكُمْ بِلَيلٍ مُظلِمِ

الرَّكُوبَةُ من الدَّوَابِّ: هي الرَّكُوبُ، أو المخصَّصَةُ للرُّكوبِ وجمعُها ركائبٌ. وأزْمَعَ : أسرَعَ. يخاطبها أنها أسرعت بالفراق وقد زَمَّ الشيءَ زَمًّا: شدَّهُ فقد شَدُّوا أَغْراضَهُمْ على رَكائِبِهِمْ وَسَارُوا بِلَيلٍ مُظْلِمٍ.

ثُمَّ يَعُودُ فَيَرتَاعُ مِن شيءٍ عَظِيمٍ حَيْثُ يَقُولُ :

مَا رَاعَنـي إِلّا حَمولَةُ أَهلِها وَسطَ الدِيارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمخِمِ

والشيءُ الَّذِي رَاعَهُ هُوَ " الحَمُولَةُ" أَيْ الْإِبِلُ الَّتِي تُطِيقُ أَن يُحْمَلَ عَلَيْهَا. وَهَذِهِ الْحُمُولَةُ الْمِسْكِينَةُ تَسَفُّ، أَي تَتَنَاوَلُ الْيَابِسَ دُونَ بَلَلٍ، فَتَأْكُلُ حَبَّ الخِمْخِمِ، أَي نَبَاتَ شَوْكٍ لَهُ حَبٌّ أَسْوَدُ.

وَإِذَا وَصَلْنَا الْبَيْتَ السَّابِعَ عَشَرَ، وَجَدْنَا صِنْفًا جَدِيدًا مِنَ النُّوقِ، وطائِرَ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ حَيْثُ يَقُولُ:

فيها اِثنَتانِ وَأَربَعونَ حَلوبَةً سُوداً كَخافِيَةِ الغُرابِ الأَسحَمِ

اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَا غَيْرُ، عَدَّهَا بِنَفْسِهِ أَوْ رُبَّمَا يَعْرِفُ عَدَدَهَا مِنْ قِبَلُ مِنْ النُّوقِ ذَوَاتِ اللَّبَنِ وَهِيَ الحَلُوبَةُ. وتلكَ النُّوقُ كُلُّهُنّ سُودٌ كَسَوَادِ رِيشِ الْغُرَابِ

الأسْحَمِ، أَيْ الشَّدِيدُ السَّوَادِ.

وَحِينَمَا نَصِلُ الْبَيْتَ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ الْمُعَلَّقَةِ، نَجِد أَنَّهُ يَذْكُرُ حَيَوَانًا آخَرَ هُوَ الْغَزَالُ حَيْثُ يَقُولُ :

وَكَأَنَّما نَظَرَتْ بِعَيْنَيْ شَادِنٍ رَشَإٍ مِنَ الغِزْلانِ لَيسَ بِتَوْأَمِ

والشَّادِنُ: وَلَدُ الغَزَالِ وَجَمْعُهُ شَوَادِنُ. وَالرَّشَا: وَلَدُ الغَزَالَةِ الَّذِي قَوِيَ وَمَشَى مَعَ أُمِّهِ جَمْعُهُ أَرْشَاءٌ. والتوأَمُ: المَوْلُودُ مَعَ غَيْرِهِ فِي بَطْنٍ وَاحِدَةٍ.

ثُمَّ نَنْتَقِلُ إِلَى الْبَيْتِ الْعِشْرِينَ فَنَجِدُ كَلِمَةَ" الفَأْرَةَ" :

وَكَأَنَّ فأرَةَ تاجِرٍ بِقَسيمَةٍ سَبَقَتْ عَوارِضَهَا إِلَيكَ مِنَ الفَمِ

وَلَوْ أَنَّ مَعْنَاهَا هُنَا عَلَى مَا قِيلَ: وِعَاءُ الْمِسْكِ لَكِنَّ الْكَلِمَةَ مَعْرُوفَةٌ وَتَعْنِي هَذَا الْحَيَوَانَ الَّذِي هوَ مِنْ الْجِرْذَانِ. والقسيمةُ هِيَ الْوِعَاءُ. وَعَوَارِضُها أَيْ صَفَحَاتُ الْخَدِّ.

ثُمَّ يَأْتِي عَلَى ذِكْرِ الذُّبَابِ فِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ حَيْثُ يَقُولُ :

وَخَلا الذُبابُ بِها فَلَيسَ بِبارِحٍ غَرِداً كَفِعلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ

للهِ دَرُّهُ مِنْ ذُبَابٍ يَتَرَنَّمُ وَيُغَرِّدُ وَكَأَنَّهُ نَشْوانُ مِنْ كَثْرَةِ الشَّرَابِ. يَقُولُ: خَلَا أَي اِسْتَفْرَدَ بِهَا الذبابُ فَلَمْ يَبْرَحْ المَكَانَ أَيْ لَمْ يَتْرُكْهُ وَهُوَ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ يُغَرِّدُ كَمَا يَفْعَلُ الشَّارِبُ الَّذِي يُرَدِّدُ صَوْتَهُ وَيُغْنِي.

وَحِينَمَا يصلُ الْبَيْتَ السَّادِسَ وَالْعِشْرِينَ يَذْكُرُ فَرَسَهُ الْأَسْوَدَ وَهُوَ الْحَيَوَانُ

الْأَهَمُّ مِنْ بَيْنِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا فَيَقُولُ:

تُمسي وَتُصبِحُ فَوقَ ظَهرِ حَشِيَّةٍ وَأَبيتُ فَوقَ سَراةِ أَدهَمَ مُلجَمِ

الحَشِيَّةُ: هِيَ الفِرَاشُ المَحْشُوّ. والسَّرَاةُ: سَرَاةُ كلِّ شَيْءٍ: وسَطُهُ وَمُعْظَمُهُ سَراةُ الفَرَسِ: أَعْلَى مَتْنِهِ. الأدْهَمُ: جَوَادٌ أَدْهَمُ: أَسْوَدُ. جَوَادٌ مُلْجَمٌ: أَيْ أُلْبِسَ اللِّجَامَ. فَكَأَنَّمَا يَشْكُو سُوءَ حَظِّهِ فِي مَا آلَ أَمْرُهُ مِنْ بَقَاءِهِ عَلَى ظَهْرِ جَوَادِهِ الْأَسْوَدِ فِي حِينِ تَنَامُ مَعْشُوقَتُهُ عَلَى فِرَاشٍ مَحْشُوٍّ وَمُرِيحٍ. وَمِنَ الْمُفَارَقَاتِ فِي هَذَا أَنَّ جَوادَهُ وَلَوْنَ وَجْهِهِ لَا يَخْتَلِفَانِ فَلَا يَرَى الرَّائِي إِلَّا السَّوَادَ مِنْهُمَا فَكَيْفَ إِذَا صَادَفَ سَيرهُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ. وَالْأَبْيَاتُ الَّتِي تَلِي هَذَا الْبَيْتَ لَا شَيْءَ فِيهَا سِوَى وَصْفٌ لِلنَّاقَةِ الَّتِي حَمَلَتْ عَبْلَةَ. حَتَّى يَصِلَ الْبَيْتَ الْحَادِيَ وَالثَّلَاثِينَ فَنَجِدُ أَنَّهُ ذَكَرَ الْقُلصَ حَيْثُ يَقُولُ:

تَأوي لَهُ قُلُصُ النَعامِ كَما أَوَتْ حِزَقٌ يَمانِيَةٌ لِأَعجَمَ طِمطِمِ

وَقُلُصُ النَّعَامِ: أَيْ ذَكَرُ النَّعَامِ وقُلُصُ: مُفْرَدُهَا قَلُوصٌ مِنَ الْإِبِلِ وَالنَّعَامِ بِمَنْزِلَةِ الْجَارِيَةِ مِنَ النَّاسِ. وَشَبَّهَهَا بِهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أُذُنٌ. أَمَّا حِزَقٌ: وحَزَائِقُ أَيْ جَمَاعَاتٌ مِنَ الْإِبِلِ يَمَانِيَةٌ. أَيْ أَنَّهُ مُسْتَطْرِدٌ فِي وَصْفِ النَّاقَةِ الْعَجِيبَةِ. حَتَّى إِذَا وَصَلْنَا الْبَيْتَ السَّادِسَ وَالثَّلَاثِينَ نَجِدُ أَنَّ الهِرَّ يَنْتَظِرُنا فِي مُسْتَهَلّ الْبَيْتِ حَيْثُ يَقُولُ:

هِرٌّ جَنيبٌ كُلَّما عَطَفَتْ لَهُ غَضبى، اِتَّقاها بِاليَدَينِ وَبِالفَمِ

وَهَذَا الهرُّ يَجْلِسُ إِلَى جَانِبِهَا فَهُوَ جَنيبٌ كُلَّمَا غَضِبَتْ عَلَيْهِ اِحْتَمَى مِنْهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالفَمِ. وَيُكْمِلُ تَعْدَادَ الْحَيَوَانَاتِ فَيَذْكُرُ الفَنيقَ فِي الْبَيْتِ الْأَرْبَعِينَ:

يَنباعُ مِن ذِفرى غَضوبٍ جَسرَةٍ زَيّافَةٍ مِثلَ الفَنيقِ المُكدَمِ

والفَنيقُ: هُوَ الفَحْلُ مِنَ الْجِمَالِ. والكَديمُ: هُوَ الَّذِي كَدَمَتْهُ الْفُحُولُ فِي الْعِرَاكِ. ثُمَّ يَذْكُرُ الْخَيْلَ فِي الْبَيْتِ الْخَمْسِينَ، وَيَذْكُرُ السَّابِحَ فِي الْبَيْتِ الْحَادِي وَالْخَمْسِينَ، ثُمّ الذِّئَابَ فِي الْبَيْتِ التَّاسِع وَالْخَمْسِينَ حَيْثُ يَقُولُ:

بِرَحِيبَةِ الفَرْعَينِ يَهدي جَرْسُها بالليلِ مُعْتَسَّ الذِّئابِ الضُّرَّمِ

والرَّحيبَةُ هِيَ الْوَاسِعَةُ أَي وَاسِعَةُ الْفَرْعَيْنِ، أَيْ بَيْنَ عُرقُوبَيْنِ، وجَرْسُها: صوتُها، والمُعتَسُّ: الطَّالِبُ المُبْتَغِي، والضُّرَّمُ : الجِياعُ.

وَيَذْكُرُ فِي الْبَيْتِ الْحَادِي وَالسِّتِّينَ " جزَرَ السِّباعِ":

فَتَرَكتُهُ جَزَرَ السِباعِ يَنُشْنَهُ يَقضِمْنَ حُسْنَ بَنانِهِ وَالمِعصَمِ

وَمُفْرَدُهَا جَزَرَةٌ أَيْ الشَّاةُ أَو النَّاقَةُ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلذَّبْحِ. ثُمَّ يَذْكُرُ الشَّاةَ مَرَّةً أُخْرَى فِي الْبَيْتِ الثَّامِنِ وَالسِّتِّينَ وَالسَّبْعِينَ:

يا شاةَ ما قَنَصٍ لِمَن حَلَّتْ لَهُ حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيتَها لَم تَحرُمِ

قالَت رَأَيتُ مِنَ الأَعَادِيَ غِرَّةً وَالشاةُ مُمكِنَةٌ لِمَنْ هُوَ مُرتَمِ

ثُمَّ يَذْكُرُ الجَدَايَةَ أَيْ الصَّغِيرَ مِنْ وَلَدِ المَعْزِ والبَقرِ وَالْغَنَمِ والغِزْلانِ فِي الْبَيْتِ الْحَادِي وَالسَّبْعِينَ حَيْثُ يَقُولُ:

وَكَأَنَّما اِلتَفَتَت بِجيدِ جَدايَةٍ رَشإٍ مِنَ الغِزلانِ حُرٍّ أَرثَمِ

وَالْجِيدُ هُوَ الْعُنُقُ، وَالْحُرُّ: الخَالِصُ. أَمَّا الأَرْثَمُ: فَهُوَ الَّذِي فِي طَرَفِ أَنْفِهِ

بَيَاضٌ. ثُمَّ يَعُودُ فَيَذْكُرُ الْحَيَّةَ السَّوْدَاءَ فِي الْبَيْتِ السَّادِسِ وَالسَّبْعِينَ حَيْثُ يَقُولُ:

ولقَد هَمَمْتُ بغارةٍ في لَيلَةٍ سوداءَ حالِكَةٍ كَلَونِ الأدلَمِ

وَقِيلَ بِأَنَّ الأَدْلَمَ هِيَ الْحَيَّةُ السَّوْدَاءُ. ثُمَّ خَتَمَ الْقَصِيدَةَ وَفِي آخِرِ بَيْتٍ يَذْكُرُ جَزْرَ السِّبَاعِ الَّتِي شَرَحْنَاهَا قَبْل قَلِيلٍ، وَالنِّسْرَ، والقَشْعَمَ: أَيْ الْكَبِيرَ مِنَ النُّسُورِ.

وَفِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ الطَّوِيلَةِ نَوْعًا مَا أَحْصَيْتُ مَا ذُكِرَ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانَاتِ، أَوْ ذَكَرَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهَا، فَوَجَدْتُهَا اربعاً وَعِشْرِينَ مُفْرَدَةً وَهِيَ كَالْآتِي: نَاقَتِي، نَاقَتِي، الْهُيْنَمُ، الزائرينَ، عُنَيزَتَينِ، الغَيْلَمُ، رَكائِبُ، حَمُولَةٌ، حَلُوبَةٌ، الْغُرَابُ الأَسْحَمُ، شَادِنٌ، رَشأ، غِزْلانٌ، فَأْرَةٌ، الذُّبَابُ، أَدْهَمُ، قُلُصُ النَّعَامِ، حِزَقٌ، هِرٌّ، فَنيقُ، الذِّئَابُ، جَزْرَ السِّبَاعِ، شَاةٌ، ثم الأَدْلَمُ. عَرَفْنَا مِنْ خِلَالِ هذِهِ القِراءةِ مَا كَانَ يَشْغَلُ ذِهْنَ الشَّاعِرِ التائِقِ لِلِقاءِ حبيبَتِهِ وقَدْ رَحَلَتْ قَبلَ قليلٍ. يَذْكُرُ النَّاقَةَ وَالْخَيْلَ وَيُعَرِّجُ عَلَى بُطُولَاتِهِ فَيَذْكُرُ مِنْهَا الشَّيْءَ الكَثِيرَ لِأَنَّهُ كَانَ فَارِسًا شُجَاعًا عَلَى مَعَايِيرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَالْعَقْلِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ آنَذاكَ. لَمْ أَجِدْ كَلِمَاتِ الِاشْتِيَاقِ والغُرْبَةِ بِتِلْكَ الْعُذُوبَةِ الَّتِي أَجِدُهَا فِي طَيَّاتِ أبياتِ الشِّعْرِ الْحَدِيثِ أَوْ رُبَّمَا فِي شِعْرِ العَصْرِ العَبَّاسِيِّ أَو الْأَنْدَلُسِيّ. تَعَرَّفْنَا فِيهَا عَلَى مَعَانِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ إثراءً لِمُعْجَمِ الْأَدِيبِ وتَرديدًا لِمُفْرَدَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْجَمِيلَةِ.

اللطيفة السادسة والثلاثون

"إِشْباعُ الْكَافِ والتّاءِ وَمُشْكِلَةُ سَلَفِيَّةِ النُّقّادِ والشُّعَراءِ"

قَالَ مِسْكينُ الدَّارِمِي[٥٥]:

أَخَاكَا أَخَاكا إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ

كَساعٍ إِلى اَلْهيجا بِغَيْرِ سِلاحِ

اعْتَدْنَا فِي كُلِّ مُحاوَلاتِ التَّجْديدِ والتَّطْويرِ، فِيمَا يَخُصُّ عِلْمَ العَروضِ والْقافيَةِ، أَنْ يَعْتَرِضَ (النُّقّادُ والشُّعَراءُ السَّلَفِيُّونَ). وَهَذِهِ المَرَّةُ اعْتَرَضُوا عَلَى إِشْباعِ الْكَافِ والتّاءِ فِي حَشْوِ أَبْياتِ القَصيدَةِ العَرَبيَّةِ. وَيَقُولُونَ بِأَنَّ إِشْباعَ الْكَافِ والتّاءِ فِي حَشْوِ البَيْتِ، مِنَ العُيوبِ المُسْتَقْبَحَةِ أَوْ غَيْرِ الجائِزَةِ. وَلَدَيهم قاعِدَةٌ مِنْ قَواعِدِ الكِتابَةِ العَروضيَّةِ تَقولُ: تُشْبَعُ كَافُ المُخاطَبِ أَوْ المُخَاطَبَةِ، وَنونُ الرَّفْعِ فِي الفِعْلِ المُضَارِعِ، وَنونُ جَمْعِ المُذَكَّرِ السّالِمِ، وَتاءُ ضَميرِ التَّكَلُّمِ أَو المُخاطَبِ لِلْمُذَكَّرِ أَوْ المُؤَنَّثِ، تُشْبعُ حَرَكَتُها إِذَا وَقَعَتْ إِحْدَاهَا نِهايَةَ أَحَدِ الشَّطْرَيْنِ، مِثْل: سَلامُكَ،

---

[٥٥] مسكين الدارمي هو ربيعة بن عامر التميمي. وسُمّي الدارمي نسبة إلى دارم أحد أجداده. هو شاعر أموي.سُمي مسكين لقوله: أنا مسكين لمن أنكرني ولمن يعرفني جدّ نطق. عاش في صدر الدولة الأموية، وقرَّبه يزيد وأدناه، وكان صوته إلى أبيه، وذكره الفرَزْدق، وبيَّن مكانته كما جاء في "الأغاني". توفي ربيعة بن عامر في سنة ٩٠ هـ، وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك.

سَلامُكِ، يَسْبَحَانِ، يَسْبَحُونَ، تَسْبَحِينَ، مُسْلِمُونَ، مُسْلِمِينَ، قُمتُ، قُمتَ، قُمتِ. تُكْتَبُ عَروضيًا هَكَذَا: سَلَامُكَا، سَلَامُكِي، يَسْبَحَانِي، يَسْبَحُونَا، تَسْبَحِينا، مُسْلِمونَا، مُسْلِمينا، قُمْتَا، قَمْتُو، قُمتِي.

وَيَعُودُونَ مِنْ بَابٍ خَلْفِيّ فَيَسْتَثْنُونَ الْهَاءَ، والنّونَ فِي (أَنَا)، والْمِيمَ فِي (أَنْتُمُ وَ كُنْتُمُ)، فَيَقُولُونَ: تُشْبَعُ حَرَكَةُ هَاءِ الضَّميرِ الغائِبِ لِلْمُفْرَدِ الْمُذَكَّرِ، وَميمُ الجَمْعِ، إِنْ لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَى ذَلِكَ كَسْرُ البَيْتِ الشِّعْريِّ، أَوِ التِقاءِ سَاكِنَيْنِ، مِثْلُ: لَهُ، بِهِ، لَكُمُ، بِكُمُ، تُكْتَبُ عَروضيًا هَكَذَا: لَهو، بِهي، لَكُمُو، بِكُمُو. فَهَلْ هُنَاكَ مِنْ قاعِدَةٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا بَيْنَ الأَقْدَمِينَ وَالْمُحَدَثِينَ نَتَّبِعُها فِي هَذَا الِاسْتِقْباحِ أَوِ (التَّحْريمِ)!

وَهَلْ أَنَّ الشّاعِرَ يُعْتَبَرُ مُتَمَرِّدًا إِذَا لَمْ يَلْتَزِمْ بِمَا وَضَعَهُ بَعْضُ السَّلَفِيِّينَ لُغَةً وَنَحْوًا؟

وَمِن خِلالِ قِرَاءَتِي لِهَذَا الْمَوْضوعِ، وَلِأَنَّنِي مِنْ أُولَئِكَ اَلَّذِينَ لَمْ يُلْزِموا أنفُسَهُم بِهَذِهِ القاعِدَةِ اَلَّتِي وَضَعَها واحِدٌ مِنْ البَشَرِ، وَجَدتُ أَنَّ هَؤُلَاءِ يَكِيلُونَ بِمِكْيَالَيْنِ فِي مَا يَخُصُّ التَّعامُلَ مَعَ هَذِهِ الحُروفِ (المِيم ، الْهَاءِ ، الْكَافْ ، التّاءِ ، النُّونِ). وَلَا أَجِدُ فَرْقًا بَيْنَها إلّا فِي النُّطْقِ. وَكَيْفَ لَهُمْ أَنْ يُجِيزُوا مَدَّها فِي نِهايَةِ الشَّطْرَيْنِ (اَلشَّطْرِ اَلْأَوَّلِ والشَّطْرِ الثَّانِي) مِنَ البَيْتِ الشِّعْريِّ، وَلَمْ يُجِيزُوا هَذَا فِي اَلْحَشْوِ؟ التبريرُ الوَحيدُ لَهُمْ فِي هَذَا الجَوازِ هوَ اسْتِقامَةُ الوَزْنِ، وَعَدَمُ التِقاءِ سَاكِنَيْنِ. وَلَيْسَ حَشْوُ البَيْتِ بِبَعِيدٍ عَنْ هَذَا الِاسْتِثْناءِ.

وَنَراهُمُ يُجيزُونَ إسقاطَ حَرْفٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ البَيْتِ لِلضَّرُورَةِ، بِالرَّغْمِ مِنْ قُبْحِ الْمُتَحَصَّلِ مِنَ المَعْنَى، بِدَاعِي وُرودِها فِي كَلامِ السَّلَفِ.

وَكَمِثالٍ، مَا قَالَهُ صَريعُ الْغَوَانِي (مُسْلِمُ بْنُ الوَلِيدِ): [٥٦]

سَلِ النّاسَ إِنِّي سائِلُ اللهَ وَحْدَهُ

وَصَائِنُ وَجْهِي عَنْ فُلانٍ وَعَنْ فَل

والشّاهِدُ فِيه (فَل) أَيْ بِمَعْنَى (فُلان)! ! !

فَهَلْ هَذَا بِرَبِّكُمْ إلّا اَلتَجَنّي عَلَى لُغَتِنَا وَعَروضِنا ؟

وَحِينَمَا قُلْتُ أَنَا:

رُدِّي إِلَيْهِ، فَأَنْتِ كُلُّ قِصَّتِهِ

كُلُّ القَضيَّةِ، لَستِ مِنْ مَآسيهِ

جَاءَ الِاعْتِراضُ عَلَى إِشْباعِ التّاءِ فِي (أَنْتِ وَ لَستِ)؛ وَمَن يَقْرَأُ البَيْتَ لَا يَلْحَظُ تَوَقُّفًا أَوْ نَشازًا فِي النُّطْقِ أَوِ الْمُوسِيقَا وَلَا المَعْنَى، وَلَمْ تَتَغَيَّرْ الكَلِمَةُ بِهَيْئَتِها. إِذْ

---

[٥٦] هو صريع الغواني أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري، أحد الشعراء المفلقين، قال الشعر في صباه ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء مكتفيا بما يناله من قليل العطاء، ثم انقطع إلى يزيد بن مزيد الشيباني قائد هارون الرشيد الذي اتصل به فيما بعد ومدحه ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه. ولما أصبح الحل والعقد بيد ذي الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون في أول خلافته، قربه وأدناه وولاه أعمالا بجرجان، ثم الضياع بأصبهان. اكتسب من عمله الجديد مئات الألوف وأنفقها في لذاته وشهواته، ولما قتل الفضل لزم منزله ونسك ولم يمدح أحدا حتى مات بجرجان سنة ٢٠٨ هـ.

لَا وُجودَ لِانْتِهاكِ حُرْمَةِ اللُّغَةِ وَلَا النَّحْوِ كالَّذي جَاءَ فِي البَيْتِ التَّالِي لِلشَّاعِرِ كُثَيِّر عَزَّةَ:

لَيْتَ التَّحيَّةَ كَانَتْ لِي فَأَشْكُرُها

مَكانَ (يَا جَمِيلُ) حُيِّيتَ يَا رَجُلُ

فَقَدْ نَوَّنَ فِيهَا المُنَادَى (جَمِيلٌ) وَحَقُّهُ اَلْضَمَّةُ لَا التَّنْوين، لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ. وَشَتَّانَ بَيْنَ الإِشْبَاعِ الذي لا يخرِقُ قانونًا، وَبَيْنَ هَذَا الخَرَقِ الواضِحِ. وَمِن هَذَا القَبِيلِ الكَثيرُ الكَثيرُ.

وَالَّذِي أُريدُ إيصالَهُ مِنْ فِكْرَةٍ فِي هَذَا المَوْضوعِ، اَلَّذِي طَالَ الكَلامُ فِيه، واعْتَرَضَ المُعْتَرِضُونَ عَلَيْهِ، أَنَّ سَليقَةَ الرَّجُلِ البَدَويِّ، وَاعْتيادَهُ فِي النُّطْقِ أَوْ فِي الشِّعْرِ خاصَّةً، كَانَ لَا يُسيغُ الاشباعَ فِي حَشْوِ البَيْتِ، وَكَانَ يُسيغُ أَمْثالَ الضَّروراتِ الآنِفَةِ الذِّكْرِ، اَلَّتِي لَا نسيغُها نَحْنُ فِي زَمَانِنَا، وَهَكَذَا رُبَّمَا تَتَغَيَّرُ الأُمورُ فِي الأَعْوَامِ القادِمَةِ. فَاللُّغَةُ فِي موجَزِها هِيَ (ابْنَةُ البيئَةِ) اَلَّتِي يَعيشُ فِيهَا الفَرْدُ. وَبيئَةُ البَدَويِّ لَيْسَتْ بيئَةَ القَرْنِ الحَادِيَ وَالعِشْرِينَ حَتْمًا.

أَمَّا بَعْضُ مِنْ يَحْتَجُّ بِعَدَمِ وُرودِها فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، فَأَقولُ لَهُ : إِنَّ القُرْآنَ لَمْ يَلْتَزِمْ بِكُلِّ مَا كَانَ سَائِدًا فِي عَصْرِ النُّزولِ. وَرَدَتْ فِيه كَلِماتٌ أَعْجَمِيَّةٌ لَمْ يَعْتَدْها أَوْ يَسْمَعْ بِهَا هَذَا البَدَويُّ المِسْكينُ. فَمَثَلًا : كَلِماتُ (جَنَّةٌ، فِرْدَوْسٌ، أَبًا، وَغَيْرُها الكَثيرُ) لَمْ تَكُنْ مَعْروفَةً آنَذَاكَ. أَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ تَطَوُّرِ اللُّغَةِ؟ وَأَنَّ الحاجَةَ المُلِحَّةَ

لِإيصَالِ المَعْنَى دَعَتْ القُرْآنَ إلى الِاسْتِعانَةِ بِمُفْرَداتٍ أُخْرَى لَمْ يَهْتَدِ اَليها هَذَا الانسانُ اَلَّذِي لَمْ يَعرفْ مِنْ دُنْيَاه إلّا الخَيْمَةَ، والصَّحْراءَ، والْبَعيرَ، وَكَيْفَ يَنْزو عَلَى جيرانِهِ وَأَهْلِهِ فِيَفْتَخِرَ بِصَرامَةِ سَيْفِهِ، وَرُمْحِهِ! ! !

وَلَوْ افْتَرَضْنَا جُزَافًا أَنَّ نَبِيًّا ظَهَرَ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ، لَكَانَ كِتابُهُ السَّماويُّ، مَشْحونًا بِالْمُصْطَلَحَاتِ وَالْمُفْرَداتِ العَصْريَّةِ الْمُتَعارَفَةِ بَيْنَنَا.

الغايَةُ مِنْ كَلَامِي هَذَا هوَ أَنَّ مَبْدَأَ الحَرَكَةِ مَوْجودٌ حَتَّى فِي اللُّغَةِ والنَّحْوِ والْعَروضِ وَلَوْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا، كَحالَةِ إِشْباعِ حَرَكَةِ حَرفَي الْكَافِ والتّاءِ فِي حَشْوِ البَيْتِ الشِّعْريِّ، كالَّذي جَاءَ فِي بَيْتِ مِسْكينِ الدارميّ أَعْلَاه. وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا مِنَ التَّجاوُزِ المَكْروهِ، مَادَامَ الوَزْنُ لَمْ يَخْتَلّ، وَالمَعْنَى لَمْ يُمَسّ، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ مَدْلولُ الكَلِمَةِ، وَهَيْئَتُها.

اللطيفة السابعة والثلاثون

"امتِحَانُ الأَطِبّاءِ"

كَانَ أَمِينُ الدَّوْلَةِ (ابنُ التلميذِ) رَئِيسَ الْمُسْتَشْفَى (العَضدي) بِبَغْدَادَ، وَقَدْ فَوَّضَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ الْإِشْرَافَ عَلَى صِنَاعَةِ الطِّبِّ وَامْتِحَانِ مَنْ يُزَاوِلُهَا مِنَ النَّاسِ. و فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الِامْتِحَانِ، حَضَرَ شَيْخٌ لَهُ هَيْئَةٌ، وَوَقَارٌ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا كَبِيرًا منْ صِنَاعَةِ الطِّبِّ. فَلَمَّا جَاءَ دَوْرُهُ فِي الامْتِحَانِ، وَرَآهُ أَمِينُ الدَّوْلَةِ صَامِتاً لَا يُشَارِكُ فِي الْإِجَابَةِ، قَالَ لَهُ: مَا السَّبَبُ فِي كَوْنِ الشَّيْخِ لَا يُشَارِكُ زُمَلاءَهُ فِي الْبَحْثِ حَتَّى أَعْرِفَ حَقِيقَةَ عِلْمِهِ؟

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا سَيِّدَنَا! وَهَلْ تَكَلَّمتُمْ فِي شَيْءٍ لَا أَعْرِفُهُ؟ وَقَد مَرَنْتُ عَلَيْهِ مُنْذُ سَنَواتٍ؟ فَقَالَ ابْنُ التِّلْمِيذِ: وَعَلَى مَنْ قَرَأْتَ هَذِهِ الصِّنَاعَةَ؟

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا سَيِّدَنَا، إِذَا صَارَ الإِنْسَانُ فِي مِثْلِ هَذِهِ السِّنِّ فَمَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ أَسَاتِذَتِهِ، بَلْ يُسْأَلَ عَنْ تَلامِيذِهِ، فَقَدْ مَاتَ أساتِذَتِي مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ.

قَالَ أَمِينُ الدَّوْلَةِ: جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ أَسْأَلَ عَنِ الْكُتُبِ الطِّبِّيَّةِ الَّتِي قَرَأَهَا مَنْ يُزاوِلُ الْمِهْنَةَ، فَمَاذَا قَرَأْتَ؟ قَالَ الشَّيْخُ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ! صِرْنَا إِلَى حَدِّ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الصِّبْيَانُ، لِمِثْلِي لَا يُقَالُ مَاذَا قَرَأْتَ، بَلْ يُقَالُ مَاذَا أَلَّفْتَ؟ وَسَوْفَ أُحَدِّثُكَ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ حِينٍ. وَسَكَتَ ابْنُ التِّلْمِيذِ حَتَّى خَلَا المجْلِسُ، ثُمَّ رَأَى الشَّيْخَ يَدْنُو مِنْهُ لِيَقُولَ: يَا سَيِّدِي، اعْلَمْ أَنِّي شِخْتُ وَكَبِرْتُ، وَأَنَا أمارسُ هَذِهِ الصِّنَاعَةَ، وَلَيْسَ لِي

بِهَا عِلْمٌ كَثِيرٌ إِلَّا مَا جَرَّبْتُهُ شَخْصِيًّا بالمِرَانِ، وَلِي أَوْلَادٌ وَأَصْهَارٌ، فَسَأَلتُكَ بِاللهِ أَنْ لَا تَفْضَحْنِي بَيْنَ النَّاسِ، وَأَلَّا تَمْنَعْنِي التَّكَسُّبَ لِعِيَالِي. فَسَكَتَ ابْنُ التِّلْمِيذِ مُفَكِّرًا، ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَلَكِنْ عَلَى شَرْطٍ، هُوَ أَلَّا تَهْجُمَ عَلى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ، وَلَا تُشِيرَ بِفَصْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسهلٍ إِلَّا لِلْمَرَضِ الْقَرِيبِ الْعَادِي. فَقَالَ الشَّيْخُ: هَذَا دَيدَني، وَلِذَلِكَ وَثِقَ النَّاسُ فِيَّ. ثُمَّ صَفَّقَ ابْنُ التِّلْمِيذِ فَحَضَرَ الجُمَاعَةُ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الخِطَابَ قَائِلًا: هَذَا شَيْخُكُمْ، وَقَدْ عَرَفْتُ فَضْلَهُ، وَ كُنْتُ جَاهِلًا قَدْرَهُ مِنْ قِبَلُ. وَمَضَى الِامْتِحَانُ، فَجَاءَ رَجُلٌ لِيَسْأَلَهُ ابْنُ التِّلْمِيذِ: عَلَى مَنْ تَعَلَّمْتَ هَذِهِ الصِّنَاعَةَ؟ فَقَالَ المُمتَحَنُ: يَا سَيِّدِي أَنَا مِنْ تلاميذِ هَذَا الشَّيْخِ، وعَنْهُ أَخَذْتُ طُرُقَ الْعِلَاجِ. فابتسمَ ابْنُ التِّلْمِيذِ وَحَارَ فِيمَا يَرُدُّ عَلَى الرَّجُلِ و أَمْهَلَهُ لِمَجْلِسٍ آخَرَ.

اللطيفة الثامنة والثلاثون

" بَيْتُ القَصيدْ"

كَثيراً مَا نسمعُ بِهَذِهِ العبارةِ" بَيْتُ القَصيدِ"، أَو "بيتُ القَصيدةِ"، فَمَاذَا تُعْنِي؟

كَتَب الشُّعَرَاءُ القَصائِدَ الشِّعْرِيَّةَ قَدِيمًا، وَكَانَتْ غايَتُهُمْ مِنْ كِتَابَتِهَا، عَلَى الْأَغْلَبِ، المَدْحَ، وَالتَّكَسُّبَ المادّي، أَوْ التَّقَرُّبَ إِلَى ذَوِي الشَّأنِ وَالسُّلْطَانِ. والبَعْضُ الآخَرُ كَتَبَ القَصائِدَ الطّوالَ وهي تتحدثُ عن صِفاتِ الشّاعِرِ الَّتِي يختلِقُها هُوَ لَهُ وَلَرُبَّمَا لَمْ يَكُنْ لَهَا وُجُودٌ فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ، وَاقْصِدُ التَّفَاخُرَ وَالِاسْتِعْلَاءَ عَلَى الأَنْدَادِ والأعداءِ. بَعْدَ ذَلِكَ، كَتَبَ هَؤُلَاءِ بِمَوضوعاتٍ تَخُصُّ الْغَزَلَ وَوَصْفَ الطَّبِيعَةِ، والرِّثاءَ، والحِكمَةَ، وَغَيْرَها. وَفِي ثَنَايَا القصيدةِ نَجِدُ بَيْتًا أَوْ بَيْتَيْنِ عَلَّقَ الشَّاعِرُ فِيهِ حَاجَتَهُ، بِشَكْلٍ أَكْثَرَ إفصاحًا مِنْ أَبْيَاتِ القَصِيدَةِ الْأُخْرَى. هَذَا الْبَيْتُ أَصْبَحَ يُطْلَقُ عليهِ" بَيْتُ القَصيدِ". فكانَ بَيْتُ القَصيدِ يُشِيرُ إِلَى عِدَّةِ أُمُورٍ مِنْهَا:

١. ذِكْرُ الحَاجَةِ التي كُتِبَتِ القصيدةُ مِن أجلِها.

٢. أحسنُ بَيْتٍ فِي الْقَصِيدَةِ من ناحية المبنى والمعنى.

٣. السرُّ وَالْقَصْدُ فِيه والذي يلخص القصيدة كلها .

وكما قال أحدُ الأدباءِ العراقيين: لَمْ يَكُنْ يُمَيِّز "بيت القصيدة" هَذَا إِلَّا خَنَاذِيذُ الشُّعَرَاءِ، وما أقلَّهم، الَّذِينَ جَمَعُوا علمَ الشِّعْرِ إِلَى فَنِّهِ، مِثْلَمَا فَعَلَ الْفَرَزْدَقُ، الَّذِي

أُنشِدَ مرةً مُعَلَّقةَ لَبيدِ بْنِ رَبِيعَةَ "عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا"، فَلَمَّا بَلَغَ الإنشادُ قولَهُ:

وَجَلَا السُّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا

سَجَدَ؛ فأَنكرَ عَلَيْهِ مَنْ بِالمَجْلِس؛ فَقَال: مَا لَكُمْ! أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ سَجَدَاتِ الْقُرْآنِ، وَأَنَا أَعْرِفُ سَجَدَاتِ الشِّعْرِ، وَهَذَا مَوْضِعُ سَجْدَةٍ!!

مِن المُلَاحَظِ أَنَّ بَيْتَ القصيدِ يَضِيعُ أَوْ يُظْلَمُ أَوْ يَتَعَدَّدُ فِي ثَنَايَا قَصَائِدِ الْحِكْمَةِ، لِأَنّ أَغْلَبَ أَبْيَاتِهَا تَخُوضُ فِي مَوَاضِيعَ مُتَعَدِّدَةٍ، قَد يَتَنَقَّلُ الشَّاعِرُ فِيهَا مِنْ موضوعٍ، أَو غَرَضٍ، إِلَى آخرَ. فِي هَذِهِ الحَالِ، لابُدَّ أَنْ يَتَعَدَّدَ بَيْتُ الْقَصِيدَةِ. الْأَمْرُ الْآخَرُ هُوَ أَنَّ المُتَلَقِّيَ أَو المُتَذَوِّقَ أَو النَّاقِدَ، رُبَّمَا يستهويهِ بَيْتٌ فِي قَصِيدَةٍ لَم يَسْتهوِ آخَرَ مِنْ نَفْسِ طَبَقَتِهِ. إِذَن قَدْ لَا يَتَّفِقُ الْكُلُّ عَلَى بَيْتٍ وَاحِدٍ فِي قَصِيدَةٍ مُعَيَّنَةٍ عَلَى أَنَّهُ بَيْتُ القصيدِ، لِأَنّ الْأَفْهَامَ قَدْ لَا تَتَّفِقُ فِي إِدْرَاكِ المَعْنَى المُوَحَّدِ فِي ذَاتِ الْبَيْتِ. لِذَا نَجِدُ تَعَدُّدًا لِبَيْتِ القصيدِ، فَيُصْبِحَ "أَبْيَاتِ القصيدِ" فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَة.

اللطيفة التاسعة والثلاثون

" جَرِيرُ وَالجَارِيَةُ اللَّخْنَاءُ"

أَعْجَبَتْنِي هَذِهِ الْقِصَّةُ الَّتِي قَرَأْتُهَا فِي كِتَابِ (الْكَامِلِ لِابْنِ الْمُبَرِّدِ)، تَذْكُرُ جَرِيرًا[٥٧] الشَّاعِرَ، حِينَمَا قَدِمَ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ دُخُولِهِ الْعِرَاقَ. دَخَلَ عَلَى عَامِلِ الْحَجَّاجِ فِيهَا وَهُوَ الْحَكَمُ بْنُ أَيُّوبَ بْنُ أَبِي عُقَيْلٍ الثَّقَفِيِّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْحَجَّاجِ. وَبَعْدَ مُحَادَثَتِهِ، وَالتَّعَرُّفِ عَلَيْهِ مِنْ خِلَالِ مَا أَبْدَاهُ لَهُ، وَحِوَارِهِ مَعَهُ، أَرْسَلَهُ بِكِتَابٍ مَعَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ، أَيْ إِلَى الْكُوفَةِ. وَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ لَهُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ ذُو بَدِيهَةٍ، فَقُلْ فِي هَذِهِ الجارية(لِجَارِيَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى رَأسِهِ).

فَقَالَ جَرِيرٌ : مَا لِي أَنْ أَقُولَ فِيهَا حَتَّى أَتَأَمَّلَهَا، وَمَا لِي أَنْ أتأمَّلَ جَارِيَةَ الْأَمِيرِ.

فَقَالَ : بَلَى، فتأَمَّلْهَا واسأَلْهَا.

فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُكِ يَا جَارِيَة؟ فَأَمْسَكَتْ.

---

[٥٧] جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي (٣٣ هـ - ١١٠ هـ/ ٦٥٣ - ٧٢٨ م) شاعرٌ من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيلة في نجد. من أشهر شعراء العرب في فن الهجاء وكان بارعًا في المدح أيضًا. كان جرير أشعر أهل عصره، ولد ومات في نجد، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمانه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. كان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً. بدأ حياته الشعرية بنقائض ضد شعراء محليين ثم تحول إلى الفرزدق "ولج الهجاء بينهما نحوا من أربعين سنة" وإن شمل بهجائه أغلب شعراء زمانه. مدح بني أمية ولازم الحجاج زهاء العشرين سنة.وصلت أخباره وأشعاره الآفاق وهو لا يزال حيا، واشتغلت مصنفات النقد والأدب به. اقترن ذكره بالفرزدق والأخطل.

فَقَالَ لَهَا الْحُجَّاجُ : خَبِّريهِ يَا لُخْناءُ.

فَقَالَتْ : أُمَامَةُ. فَقَالَ جَريرُ: (وَهذِهِ الْأَبْيَاتُ نَقَلْتُهَا مِنْ دِيوَانِهِ وَلَيْسَ مِنْ كِتَابِ الْمُبَرِّدِ، وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ لَمْ يَذْكُرْ مِنْهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَّا أَرْبَعَةَ أبياتٍ، اجتزأتُ منها):

وَدِّع أُمامَةَ حانَ مِنكَ رَحيلُ
إِنَّ الوَداعَ لمن تحبُ قَليلُ
هذي القُلوبُ صَوادِياً تَيَّمتِها
وَأَرى الشِفاءَ وَما إِلَيهِ سَبيلُ
أَعذَرتُ في طَلَبِ النَوالِ إِلَيكُمُ
لَو كانَ مَن مَلَكَ النَوالَ يُنيلُ
إِن كانَ طِبَّكُمُ الدَلالُ فَإِنَّهُ
حَسَنٌ دَلالُكِ يا أُمَيمَ جَميلُ
قالَ العَواذِلُ قَد جَهِلتَ بِحُبِّها
بَل مَن يَلومُ عَلى هَواكِ جَهولُ
كَنَقا الكَثيبِ تَهَيَّلَت أَعطافُهُ
وَالريحُ تَجبُرُ مَتنَهُ وَتُهيلُ
أَمّا الفُؤادُ فَلَيسَ يَنسى ذِكرَكُم
ما دامَ يَهتِفُ في الأَراكِ هَديلُ

فَقَالَ لَهُ الحَجّاجُ: قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكَ السَّبِيلَ إلَيْهَا، خُذْهَا هِيَ لَكَ. فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى يَدِهَا فَتَمَنَّعَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَهَا.

اللطيفة الأربعون

" مجاراة: هاتوا ما عندكم من شعر الحكمة"

شعر الحكمةِ من أرفعِ الشعرِ... ولابد أن يكتبَ الشعراءُ فيهِ أو يحاولوا كتابتَهُ، لأنهُ اللونُ الأكثرُ بقاءً، وتداولًا، ومعه الغزلُ.

من القديم :قال أبو ذؤيب

والنَّفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتَها وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقنَعُ

ومن الحديثِ: كتبتُ أنا:

والنفسُ لاهِيَةٌ إذا أعدَدتَها لِلَّهوِ،مَا فَتِئَتْ تَخوضُ، وتلعَبُ

طلبتُ من أعضاءِ مجلسنا الثقافيّ مجاراة أو كتابة أبيات من الحكمةِ، فانهالَ عدد منهم، وألقوا ما في دلائهم، فكان كرنفالاً رائعاً، اخترتُ منهُ ما راق لي وإليك المشاركات: قال الشاعر البابلي ضياء محمود المجيد:

والنفس ترغب بالكثير وتبتغي سحب السماء وفوقها تتربعُ

تمشي على دعةٍ كأن عيونها تسعى إلى حكم الانام وتطمعُ

إحذرْ سريرتها و لملمْ شملها شرفاً والا في الدناءةِ تَقبعُ

وقال الشاعر البابلي الدكتور فارس الخفاجي:

تَمَسّكْ بالقَناعةِ إنَّ فيها كمالًا، ما لهُ في الخيرِ سَبقُ
ولا تَصمُتْ إذا ظلمٌ تَمادى فقدْ يُجدي أمامَ الظُلمِ نُطقُ

وكتبت الشاعرة البابليةُ وداد الواسطي:

والنفسُ جوهرةٌ إذا هَذّبتَها إن شَحَّ تِبرٌ في المحافلِ تُطلبُ
فاخترْ لنفسك ما يليق بزهوها الذّكرُ يبقى والرسومُ سَتَذهبُ
وعليكَ نفسك لا تلوذ بغيرها فالطبعُ حتماً في النهاية يغلبُ
أمّارةٌ بالسوءِ إن طاوعتَها وإلى صلاحٍ إن رغبتَ سَتَرغَبُ

ومن مصر كتب الشاعر عبد الرحمن محمد:

ومن كان في ثوبِ الكرامةِ عاريًا فليسَ إلىٰ عيشِ الكرامِ سبيلُ
و من يرتقِبْ عيشَ الهوانِ لنفسهِ يَذلُّ و أسبابُ الهوانِ تطُولُ
و كل كريمٍ في الفِعَالِ لأصلهِ و كلٌ جميل في الخصال أصيلُ

وقال الشاعر الواسطيّ حميد شغيدل الشمري:

فلا يغلبنّ الرأي قولٌ منمقٌ ولا يُفسدُ الرأيَ العظيم (مُسيلمُ)
وكنْ مثلَ نَخلِ الرافدينِ مُشمخراً ومعطاءَ ذا خيرٍ يفوحُ ويُكرمُ
وإني أرى الأيامَ كالنارِ والغَضا فكنْ راجحاً في العيش ذاك تنَعَّمُ
واذكرْ أخاً في اللهِ ليس تفاخرًا واعلمْ، فانّ الدهرَ يُعطي ويَحرمُ

وقال الشاعر السوريّ الطبيب عماد أسعد:

نادَبتُ خاطِرتي أجابَت: يا فَتى إنَّ الحياةَ مليئةُ الوصَماتِ
وجنينُ ناقتِها ترابٌ قاحلٌ يأوي إلى الصَّلصالِ في الكرّاتِ
للمرءِ يبقى حسنُ فعلٍ أدهَمٍ والضّيمُ من سَغبِ الشُّرورِ الذَّاتي
تلكَ الدَّفاترُ في الحياةِ مليئةٌ فِيمَ اقترَفنا من نَكيرٍ عاتِي
من عسرِ عسرٍ أو بلاهةِ موقفٍ الخَيرُ من عَسفِ الطُّغاةِ شَتاتي

وقال الشاعر السوريّ مالك الشعّار:

مَنْ لمْ يَذُقْ مُرّ الحياة فلَن يَّجِدْ طَعْماً ولو عاشَ الزّمانَ مُدَلّلا

وكتب الشاعر العراقي جاسم محمد محمود:

داوِ الجراحَ ولا تشكُ الزمان إذا
جارَ الزمانُ فما استثنى به أحدا
إنَّ العزيزَ عزيزُ القومِ أجمعِهِم
قد ذَلَّ من كان في نعمائهِ فُرَدا
لله أمرُك أنّى كنتَ تقصدهُ
فاحسب حسابَ لقاءٍ قد يكون غدا

للزرعِ حصدٌ فأنظِرْ ما زرعتَ عسى
وقتَ الحصادِ تباهي فيه من حصَدا

وقال الشاعر العراقي ثابت العبيدي:

وَلِكلِّ مخلوقٍ طريقٌ للنجاةِ أو ٱلتَدَلِّي
مَا أُجبرَ ٱلخلقُ ٱلمكرَّمُ بِالسجودِ لِشرِّ عِجلِ
لَولَا الإساءةُ للعقولِ أو ٱلمخافةُ أو لجهلِ

وقال الشاعر البابليّ كامل الكناني:

رفقًا بصاحبك المسيء ولا تكن كالسيف تقطعهُ بدونِ سَماحِ

وكتب الشاعر البابلي علي حميد الحمداني:

إذا ما كانَ تحتَ الريشِ شوكٌ يَكلُّ الصَقرُ عَن خَوضِ الرهانِ
وإن نهضَ العيُّ خطيبَ قومٍ سيعضِلُهم بِهِ فهمُ البيانِ
كذاك السيفُ لا يبدو رشيقاً إذا ابتليت به كفُّ الجبانِ

وكتب الشاعر مصطفى عبد الله العبيدي:

والنفسُ ظامئةٌ لكلِّ ملّذَةٍ ما ظلَّ ماءٌ بالنهامةِ تَشْرَبُ
جفف منابعَ وِردِها لك راحَةٌ فالنفسُ تُتعِبُ عبدَها أو تتعَبُ

كأسٌ يطالِبُ بالمزيد لِمِلئِهِ ما زيدَ زادَ بما يريدُ ويطلُبُ

وكتبت الشاعرة البابلية هالة أحمد:

فصبرًا إنَّما الدنيا طريقٌ نَمرُّ بهِ وتأخذنا المنافي
وصبرًا حين تحتلكُ الليالي وتجري في أعنَّتِها السوافي
غدًا والله نتركُ ما ملَكنا ويبقى الذكرُ بادٍ غيرِ خافي
وتُنشر ـ للكريم لنا صِحافٌ يُزَيِّنُ صبرَنا بيضُ الصِّحافِ

كان كرنفالاً شعريا من الطراز الرفيع، أدلى فيه شعراء الحكمة من الدرر، وعوالي الكلم، من أجلِ أن يُعادَ مجدُ الشعرِ العربيّ الخالدُ، والذي تطاول عليه المغرضون وعبيد الغرب.

اللطيفة الحادية والأربعون

"للهِ دَرُّكَ"

عِبَارَةٌ نَذْكُرُهَا ونكتبُها فِي مَوَاضِعِ الرَّدِّ الْجَمِيلِ عَلَى أَصْدِقَاءِ الْقَلَم، وَمَوَاطِنِ الِاعْتِرَافِ بِفَضَائِلِ النِّعَمِ، فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ اسْتِخْدَامُهَا؟ وَمَا مَعْنَاهَا؟

فَنَقُولُ: الدَّرُّ فِي الْأَصْلِ: مَا يَدُرُّ، أَي مَا يَنْزِلُ مِنْ الضَّرْعِ مِنْ اللَّبَنِ، وَمِنَ الْغَيْمِ مِنَ المَطَرِ، وَهُو، هَهُنَا، كِنَايَةٌ عَنْ فِعْلِ المَمْدُوحِ الصَّادِرِ عَنْهُ، وَإِنَّمَا نُسِبَ فِعْلُهُ إِلَيْهِ تَعَالَى، قصداً لِلتَّعَجُّبِ مِنْهُ، لِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى مُنْشِئُ الْعَجَائِبِ، فَكُلُّ شَيْءٍ عَظِيمٍ يُرِيدُونَ التَّعَجُّبَ مِنْهُ يَنْسُبُونَهُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَيُضِيفُونَهُ إِلَيْهِ، نَحْوُ قَوْلِهِمْ: لله أَنْت، وَللهَّ أَبُوك، فَمَعْنَى للهَّ دَرُّهُ: مَا أَعْجَبَ فِعْلَهُ.

هَذَا مَا تَمَّ ذِكرُهُ فِي كِتَابِ (شرح الرَّضِيّ عَلَى الْكَافِيَةِ).

وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْن مَنْظُورٍ: وَقِيلَ: للهَّ دَرُّكَ أَيْ للهَّ مَا خَرَجَ مِنْك مِنْ خَيْرٍ. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَأَصْلُهُ أَنَّ رجلاً رَأَى آخَرَ يَحْلِبُ إِبِلاً فَتَعَجَّبَ مِنْ كَثْرَةِ لَبَنِهَا، فَقَالَ: للهَّ درُّكَ. وَقِيل: أَرَادَ للهّ صَالِحُ عَمَلِكَ، لِأَنّ الدَّرَّ أَفْضَلُ مَا يُحتلبُ، قَالَ بَعْضُهُمْ: وَأَحْسَبُهُم خَصُّوا اللَّبَنَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْصِدُونَ النَّاقَةَ فَيَشْرَبُونَ دَمَهَا ويقتطونها فَيَشْرَبُون مَاء كِرْشِهَا فَكَانَ اللَّبَنُ أَفْضَلَ مَا يَحتلبون .

وَإِذَا شتموا قَالُوا : لَا درَّ درُّهُ، أَيْ لَا كَثُرَ خَيْرُهُ .

وَوَرَدَت هَذِهِ الْعِبَارَةُ كَثِيرًا جِدًّا فِي شِعْرِ الْأَقْدَمِينَ وَالْمُحدَثِينَ عَلَى السَّوَاءِ. هِيَ

عِبَارَةٌ اُسْتُعْمِلَتْ مُنْذُ مِئاتِ السِّنِينَ، ومازالت تُسْتَعْمَلُ حَتَّى وَقْتِنَا الْحَاضِرِ، لِأَنَّهَا عِبَارَةٌ سَهْلَةٌ لفظاً، وارفَةٌ مَعْنَى. تَأْتِي فِي النَّثْرِ جَيِّدَةَ السَّبْك مَعَ مَا قَبْلَهَا أَوْ مَا بَعْدَهَا. وَفِي الشِّعْرِ تَسْتَقِيمُ مَعَ الْبُحُورِ الْكَثِيرَةِ لِأَنَّ تفعيلتها " مستفعلن" (لِلْلَاهِدَرْ / o/ o/ /o مُسْتَفْعِلُنْ) بِالْإِضَافَةِ إِلَى (رُكَ) يُمْكِنُ أَنْ تُسْتَكْمَلَ بتفعيلةٍ أُخْرَى حَسَبَ الْبَحْرِ الْمُستَخدَمِ .

قالَ حافظ إبراهيم[٥٨]:

لله دَرُّكَ كُنتَ مِن رَجُلِ ... لَو أَمهَلَتكَ غَوائِلُ الأَجَلِ

خُلُقٌ كَأَنفاسِ الرِياضِ إِذا ... أَسحَرنَ غِبَّ العارِضِ الهَطِلِ

وَشَمائِلٌ لَو أَنَّها مُزِجَت ... بِطَبائِعِ الأَيّامِ لَم تَحُلِ

الغَائِلَةُ : الْمُصِيبَةُ، الدَّاهِيَةُ. غِبُّ الشَّيْءِ : عَاقِبَتُهُ، آخِرُهُ. العَارِضُ: السَّحابُ المطلُّ.

وقالَ أسامة بنُ منقذ[٥٩]:

---

[٥٨] ولد الشاعر المصري محمد حافظ إبراهيم في محافظة أسيوط ٢٤ فبراير ١٨٧٢ - ٢١ يونيو ١٩٣٢م. وكان شاعرًا ذائعَ الصيت، حاملًا للقب شاعر النيل الذي لقبه به صديقه الشاعر الكبير أحمد شوقي، وأيضا لقب شاعر الشعب.

[٥٩] أبو المُظَفَّر أسامةُ بنُ مرشِد بنِ عليّ بنِ مقلَّد بنِ نصر بنِ مُنقِذ الكِنانيُّ الكلبيُّ الشَّيْزَرِيُّ (٤٨٨هـ/١٠٩٥م - ٥٨٤هـ/١١٨٨م) الملَقَّبُ بـ"مؤيِّدِ الدولة" و"مجدِ الدين". أمير وفارس من بني منقذ، وشاعر أديب ومؤرخ مسلم. عاصر الحروب الصليبية منذ أيامها الأولى، وعُمِّرَ حتى بلغَ عمرُه ستّاً وَتِسْعين سنةً، عاصر فيها سقوطَ عدةِ إماراتٍ إسلاميةٍ وظهورَ غيرِها، وخاض حروباً كثيرةً ضد =

للهِ درُّكَ مــن فتــىً أبــدَتْ بِــهِ ... أيامُنَــا بِشرَ الزّمــانِ العَــابِسِ
صَدَقَتْ أمانِي الخيرِ فيه فلم تَدَعْ ... صَــدراً يُضــمُّ عــلى فُــؤادٍ آيِــسِ
نــالَ العُــلاَ حتّــى أقَــرَّ بِفضــلِهِ ... وعُــلاهُ كــلُّ معانــدٍ ومُنــافِسِ

وقال مروان بن أبي حفصةَ[٦٠]:

للهِّ دَرُّكِ يــــا عَقيلَـــةَ جَعفَـــرٍ ... مـاذا وَلَـدتِ مِـنَ العُـلا وَالسُـؤدَدِ
إنَّ الخِلافَــةَ قَــد تَبَــيَّنَ نورُهــا ... لِلنّــاظِرِينَ عَــلى جَبــينِ مُحَمَّــدِ

=الصليبيين، وقاد بعضها بنفسه. كما كان أسامةُ شاعراً أديباً، اشتُهر شعرُه وشاعَ في حياته وبعد موته. قال مُعاصرُه ابن عساكر: «له يدٌ بيضاءُ في الأدبِ والكتابةِ والشعرِ».

[٦٠] مروان بن أبي حفصة سُليمان بْن يحيى بْن أبي حفصة يزيد بن عبد الله الأمويّ (١٠٥ - ١٨٢ هـ = ٧٢٣ - ٧٩٨ م) هو شاعر عالي الطبقة، من شعراء صدر الإسلام، يكنى أبا السِّمْط. كان جدّه أبو حفصة مولى لمروان بن الحكم أعتقه يوم الدار، ولد باليمامة من أسرة عريقة في قول الشعر، وأدرك العصرين الأموي والعباسي، مدح الخلفاء والأمراء، وسائر شِعرِه سائرٌ لحُسْنِه وفُحُولته، واشتهر اسمه. وحكى عنه خَلَف الأحمر، والأصمعيّ.

اللطيفة الثانية والأربعون

"كورونا و رَبَّةُ الدار"

نِهَايَةَ عَامِ ٢٠١٩م وَبِدايَاتِ عَامِ ٢٠٢٠م، نَعيشُ جَائِحَةَ كُورُونا الَّتِي اِجْتَاحَتِ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ وَرَاحَ ضَحِيَّتَها آلَافُ الموْتَى مِنْ مَلايينِ الإِصَابَاتِ بالفَيروسِ الَّذِي انْتَشَرَ فِي الصِّينِ وَبِالتَّحْديدِ مَدِينَةِ وُوهانَ لأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَانْتَقَلَ إِلَى إِيرانَ وَأورُوبا وَأَمْرِيكَا وَمِنْهَا الوَطَنِ الْعَرَبِيّ. فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ يَعِيشُ الْعَالَمُ حَجْرًا صِحِّياً تَامًّا. يَعِيشُ الرَّجُلُ أَحْلَكَ فَتْرَةٍ مِنْ فَتَرَاتِ حَيَاتِهِ، فَقَدْ أَصْبَحَ شَيْخَ الْبَيْتِ بِحَقّ، وَأَخَذَ دَوْرَ المَرْأَةِ أَحْيَانًا، فَقَامَ بِأَعْمَالٍ خَاصَّةٍ بِالمَرْأَةِ. أَخَذَ يُجَرِّبُ الطَّبْخَ، وَالْغَسِيلَ، وَحَضَانَةَ الطِّفْلِ، وَتَنْظِيفَ الدَّارِ، وَتَرْتِيبَ الأَثَاثِ. رُبَّمَا أَخَذَ يَتَدَخَّلُ فِي أَبْسَطِ التَّفَاصِيلِ، الَّتِي لَمْ تَعْتَدِ الزَّوْجَةُ مِنْهُ ذَلِكَ قَبْلَ أَيَّامِ الْحَجرِ الصِّحّي. فَشَبَّتِ النِّزَاعَاتُ وَتفَشَّتِ المَشَاكِلُ، وَسَجَّلَتِ المَحَاكِمُ الشَّرْعِيَّةُ حَالَاتِ طَلَاقٍ كَثِيرَةٍ بِسَبَبِ تَغَيُّرِ نَمَطِ الحَيَاةِ لَدَى الرَّجُلِ بِالذَّاتِ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ قَبْلَ هَذَا يَقْضِي أَغْلَبَ وَقْتِهِ خَارِجَ الْبَيْتِ، فِي مَكَانِ عَمَلِهِ، أَو دَائِرَتِهِ الحُكُومِيَّة، فَلَا يَلْحَقُ بالتَّدَخُّلِ أَوْ حَتَّى الِانْتِبَاهِ للتَّفَاصِيلِ الدَّقِيقَةِ فِي الْبَيْتِ. أَصْبَحَ الرَّجُلُ قَرِيبًا جِدًّا مِنْ زَوْجَتِهِ، فاكتَشَفَها عَنْ قُرْبٍ شَدِيدٍ، وَرُبَّمَا تَيَقَّنَ مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ الَّتِي يَكْرَهُهَا فِيهَا. وَعَلَى النَّقِيضِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، سَمِعْنَا أَنَّ الْأُلْفَةَ عَمَّتِ الْكَثِيرَ مِنْ العوائلِ، واقتَرَبُوا مِنْ بَعْضِهِمْ الْبَعْض، بَعْدَ أَنْ كَانُوا لَا يَلْتَقُونَ إِلَّا نَزْرًا يَسيراً. ربما يزدادُ عددُ السكانِ بعد تسعةِ

أشهرٍ بسببِ هذا القربِ!!. وَلَا نَدْرِي، حَتَّى وَقْتِ كِتَابَةِ هَذِهِ السُّطُورِ، مَتَى تَنْتَهِي هَذِهِ الْأَيَّامُ العصيبةُ، فينعَمَ الرَّجُلُ بِالْحُرِّيَّةِ المَعْهُودَةِ ! ! وكاتبُ هذهِ السطورِ أخذَ يعاني من هذا الأمرِ، لكنني قضيتُ أغلبَ الوقتِ في كتابةِ الشعرِ والمقالاتِ الأدبيّةِ، وقراءةِ الكتبِ. وهذا العملُ يعتبرُ شاذّاً في هذهِ الحقبةِ من الزمانِ، لأنَّ دروبَ الثقافةَ أراها خاليةً، تندبُ السائرينَ فيها على قلّتِهم. ابتُلينا بجيلٍ سلَّمَ عَقلَهُ للمقدسِ، فأراحَ واستَراحَ. وكانَتِ الحِكمةُ التي يؤمنُ بها دوماً هي (اعصبها برأسِ عالمٍ، واخرُجْ منها سالمًا)، وهذا بالضبطِ ما أرادهُ المقدَّسُ، وما عملَ عليه طيلةَ الأعوامِ السابقة. وكأنَّ هذا العقلَ المُقدَّسَ يوحي لهُ بتركِ القراءةِ والكتابةِ وطلبِ العلمِ، لأنَّ الغايةَ الكبرى هي دخولُ الجنةِ، وما دامَ هو المسؤولُ عن هذا الدخولِ، فقد هيّأ لهؤلاءِ من الأعمالِ والأورادِ والأدعيةِ والصلواتِ، وجملةٍ من الطقوسِ المستوردةِ، ونوعٍ من (الاعتقادِ الإلغائي)، تتكفلُ كلها في أمرِ هذا الدخول. الثقافةُ هي العدوُّ اللدودُ لأمثالِ هؤلاءِ المقدسينَ، والممثلينَ لغوغاءِ البشرِ، لأنَّ الوعيَ يكشفُ عوراتهم، ويحاولُ حلَّ عُقَدِهم، لأنهم في الغالبِ من أصحابِ العقدِ النفسيةِ المستعصيةِ. أكبرُ حكمةٍ قالها هؤلاءِ هي أنكَ في فترةِ جلوسِكَ في بيتكَ عليكَ بالأكل بيدكَ اليمنى، ودخولِ الحمامِ برجلكَ اليسرى، وأن تتوسّلَ بالغائبِ (لا باللهِ!!)، كي يظهرَ ليحلَّ هذهِ التناقضاتِ التي غزتِ الدنيا، وعاثتْ في الأرضِ فسادًا. عاشرْ زوجتكَ حتى تضمنَ دخولَ الجنةِ، لأنكَ

في هذا العملِ، تكثّرُ من عددِ المسلمينَ، فيثيبكَ اللهُ على عملكَ هذا بثلاثةِ آلافٍ من الحورِ العِينِ في الجنةِ، فها أنتَ تعاشرُ في الدنيا، وتعاشرُ في الآخرةِ، فلا داعي للكدِّ والعملِ، ولفحِ الشمسِ، مادامَ المقدَّسُ يختمُ لكَ بل يزوجكَ عاجلاً قبلَ الآجلِ. حاولتُ البقاءَ في البيتِ فلم أفلحْ، فخرجتُ كسراً لقاعدةِ هذا المقدَّسِ، ولا أدري لعلَّ اللعنةَ تحلُّ عليَّ بعدَ حينٍ، إذا لمْ أستغنِ عن عقلي وأحرقْ دفاترَ الثقافةِ المنبوذةِ التي أدينُ بها. أكلتُ بيدي اليمنى، ودخلتُ الخلاءَ بقدمي اليسرى، وختمتُ الأورادَ والأعدادَ، وعاشرتُ زوجتي كما أرادَ المقدَّسُ، وحلمتُ بعيشةٍ راضيةٍ، وجمعتُ بينَ الأحبةِ والأولادِ، وملأتُ بطني بما لذَّ وطابَ، وأكثرتُ من أكلِ البصلِ المقدَّسِ، والعدسِ المصفّى، والدجاجِ المقرمشِ، وملاعقِ العسلِ المختومِ، والثومِ المُعطَّرِ، لكنها لم تنفعْ في إخراجي من كُفريَ القديمِ، عبادةِ الثقافةِ والعلم. لكنهم والحقُّ يقالُ، ولا يؤخذُ، أنهم نجحوا نجاحًا باهرًا، في تحجيرِ العقولِ، وتكميمِ الأفواهِ خوفًا من العدوى، وأقصدُ عدوى الفيروسِ اللعينِ، كورونا.

قُلْتُ فِي هَذَا بَعْضَ أَبْيَاتٍ :

غَزَانَـــا، رَبَّـــةَ الـــدّارِ كُرُونَـــا، أيُّ أَقْـــدارِ؟
أَتانَـــا الشَّـــرُّ وَالبَلْـــوَى سَريعـــاً دُونَ إِنْـــذَارِ
أُسَـارَى البَيْـتِ أَصْـبَحْنَا فَصَـبْراً، حِكْمَـةُ البَـارِي

تَسَـلْني: كيـفَ تَقْضـيهَا؟ سُـــوَيْعَاتٍ، بِـــأَعْمَارِ

طَبَـــيخٌ قَـــدْ يُسَـــلِّيني وَقَـــدْ أَلْهُـــو بِأشْـــعَاري

وَمِـــنْ هَـــذَا وفي هَـــذَا نُقَضّي ـ اللَّيْـلَ كَالسَّـاري

نَقُـــولُ الشِّـــعْرَ أحْيَانـــاً بِـــلَا أَهـــلٍ، وَسُـــمَّارِ

اللطيفة الثالثة والأربعون

"تفسير الكرم على ضوء العلم الحديث"

كَانَتْ أُمُّ حَاتِمٍ هِيَ الْأُخْرَى مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ وأَسْخاهُم، وأقرَاهُمْ للضَّيفِ، وَكَانَتْ لَا تُبْقِي لَدَيْهَا أَيَّ مَالٍ، أَوْ عَيْنٍ تَمْلِكُهُ حَتَّى تَجُودَ بِهِ، فَحَجَرُوهَا، وَمَنَعُوهَا مَالَهَا، حَتَّى ظَلَّت هَكَذَا دَهْرًا طَوِيلًا. وَبَعْدَ أَنْ طَالَ حَجْرُهَا، أَعْطَوْهَا بَعْضًا مِنَ الإبلِ، فجاءَتْها امرأةٌ مِنْ هوازنَ، كَانَتْ قَدْ تَعَوَّدَتِ المَجِيءَ إلَيْهَا كُلَّ عامٍ، تَسْأَلُهَا الْعَطَاءَ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ حَاتِمٍ: دُونَكِ هَذِهِ الصِّرْمَةُ فَخُذيهَا، فَقَدْ وَاللهِ مَسَّنِي مِنْ أَلَمِ الجُوعِ مَا آلَيْتُ مَعَهُ ألاّ أمنعَ الدَّهرَ سائِلاً، ثُمّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

لَعَمــري لَقِــدْماً مَسَّــني الجــوعُ عضــةً
فآلَيْــتُ ألاّ أمنَــعَ الــدَّهرَ جائِعــا
فَقُــولا لهــذا اللَّائِمِــي اليــومَ أعفِنــي
فــإنْ أنــتَ لَمْ تَفْعَــلْ فعَــضَّ الأَصــابِعا
فَــمَاذَا عَسَــيْتُمْ أنْ تَقُولُــوا لأخــتِكُمْ
سِــوَى عــذلَكم أَم عَــذَلَ مَــنْ كَــانَ مَانِعًــا
ولا مــا تــرون الخُلــقَ إلا طبيعــةً
فكيــف بتركــي يــا ابــنَ أمِّ الطَّبائِعــا

استوقفني البَيْتُ الْأَخِيرُ الَّذِي تُشِيرُ فِيهِ أَمُّ حَاتِمٍ إِلَى حَقِيقَةٍ عِلْمِيَّةٍ يَتَنَاوَلُهَا عِلْمُ النَّفْسِ وَعِلْمُ الِاجْتِمَاعِ، وَهِيَ الْخُلُقُ و طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ. وَمِن أَشْهَرِ الْأَقْوَالِ الَّتِي رُبَّمَا تَطرُقُ سَمعَ كُلّ واحدٍ منّا، القَولُ المعروفُ(الطَّبعُ غَلَبَ التَّطَبُّعَ). ومن هذهِ الطَّبائِعِ الكَرَمُ، فهوَ مِنَ الأخلاقِ التي تَرَبَّى عليها أمثالُ حاتمٍ الطائيّ وغيرهُ. وفي دِراسَةٍ عِلميةٍ أُجريَتْ عامَ ٢٠١٧م ونُشِرَتْ في مَجلةِ (نيتشر كوميونيكيشن) بَرهَنَتْ هذهِ الدراسةُ على أنَّ الناسَ غالباً ما يكونونَ أسخياءَ، على الرَّغمِ مما قد يَترَتَّبُ على هذا السلوكِ مِن تَكلِفةٍ ماديَّةٍ، ولَعلَّ السَّببَ وراءَ ذلكَ هو أنهمْ يشعُرونَ بالسَّعادةِ كلما أتوا فِعلاً أو تَصَرُّفاً كانَ عنوانهُ الكرمَ والسَّخاءَ. فوِفقَ فريقٍ منَ الباحِثينَ بجامِعةِ زيورخ الألمانيةِ، هناكَ وَصلَةٌ عَصَبيَّةٌ بينَ مناطِقِ الدِّماغِ التي يجري تَفعيلُها عِندَما يُمارِسُ أحدُ الأفرادِ سلوكَ الكَرمِ، وتلكَ المِنطَقَةُ المَسؤولةُ عنِ الشّعُورِ بالسَّعادَةِ. وبما أن صفةَ الكرمِ ليس فيها أيّ مَردودٍ مادّيٍ في الحساباتِ الاقتصاديةِ المُتعارَفةِ في العالمِ، اقتَرَحَ العلماءُ أن السببَ هو ليس مادياً. وهذا الشعورُ بالسَّعادةِ يعززُ الرغبةَ في مزيدٍ من الكرمِ والعَطاءِ. استُخدمتْ تِقانةُ التصويرِ الوظيفي بالرَّنينِ المِغناطيسي من أجلِ البرهَنَةِ على ذلكَ بالدليل العلميّ. وفي هذه التقنية يُعتمدُ على قياس زيادةِ تدفُّقِ الدمِ في مناطقَ معينةٍ منَ الدِّماغِ، مما يساعدُ على دِراسةِ البشَرِ أثناءَ خُضوعِهِم لاختبارِ كيفيةِ تحفيزِ سلوكيةٍ معينةٍ في الدماغِ. وتقعُ هذهِ المنطقةُ في جدارِ الفصّ الصّدغيّ. وما أثارَ الانتباهَ في هذهِ

الدراسةِ أن المنطقةَ المسؤولةَ عن سلوكِ الكرمِ تغيَّرَتْ مع ارتباطِها بالمنطقةِ المسؤولةِ عن السعادةِ في الدماغِ عندَ الإتيانِ بِفِعلِ الكَرَمِ، وهذا يفسر وجود وصلةٍ عصبيَّةٍ بين المنطقتينِ تربطُ بينَ سلوكِ الكَرَمِ وشعورِ السَّعادَةِ. وزاد الخبراءُ أن النيَّةَ وَحدَها توَلِّدُ تَغييراً عصَبياً حتى قبلَ تنفيذِ سلوكِ الكَرَمِ فعلياً. يضافُ الى ذلك حبُ الظهورِ الذي بدا واضحاً من خِلالِ التَّصَفُّحِ في القصائِدِ الكثيرةِ والأبيات الشِّعريَّةِ لجوادِ العرَبِ وأبنائهِ أو زوجتِهِ.

اللطيفة الرابعة والأربعون

" النُّعاسُ من مَواطنِ الجمالِ"

أوّلُ النَّوْمِ هُوَ (النُّعَاسُ). وَهُوَ أَنْ يحتاجَ الْإِنْسَانُ لِلنَّوْمِ، سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ نَهَارًا أَمْ كَانَ لَيْلًا. نعَسَ يَنعَسُ، نَعْسًا ونَعَسًا ونُعاسًا، فَهُو ناعِسٌ ونَعسانُ، وَالجَمْعُ: نُعَّسٌ وَهِي ناعِسَةٌ وَالجَمْعُ: نواعِسُ وَهُوَ نَعْسَانُ وَهِي نَعْسَى ونَعَّاسةُ.

نَعَسَ الوَلَدُ: أَخَذَتْهُ فَتْرَةُ نَوْمٍ، أَي فِي لَحْظَةِ فُتُورِ حَوَاسِّهِ.

وَمِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي جَاءَتْ مَعَ مُفْرَدَةِ "النُّعَاس" نَذْكُرُ مَا يَلِي تَعْمِيمًا لِلْفَائِدَةِ :

نَقُول : نَعَسَ رَأْيُهُ: ضَعُفَ، لانَ. إِذَنْ تَمّ اسْتِعَارَةُ الْمُفْرَدَةِ وَاسْتِعْمَالُها مَع الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ فَدَلَّتْ عَلَى ضَعْفِهِ، لِأَنّ أَثْنَاءَ النُّعَاسِ، تَفتُرُ الْحَوَاسُّ، وَتَضْعُفُ وَتَلِينُ.

وَنَقُول : نعَسَ جِسمُهُ: لانَ وضَعُفَ، وَهِيَ لَيْسَتْ أَثْنَاءَ النَّوْمِ بَلْ فِي غَيْرِهِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ.

وَنقُولُ أيضاً: نَعِسَتِ السُّوقُ: كَسَدَتْ وَقَلَّ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ فِيهَا فَضَعُفَتْ حَرَكَتُهَا. وَنَقُولُ: نَعَسَ حَظُّهُ، و نَعَسَ جَدُّهُ: تعِسَ، فَهِي تُسْتَخدَمُ فِي تَوْصِيفِ الْحَظّ والجدّ.

وَنَقُولُ فِي الشِّعْرِ: داعَبَ النُّعاسُ جُفُونَهُ: أَخَذَهُ النُّعاسُ وقاربَ النَّومَ. وَهِيَ مِنْ أَجْمَلِ الِاسْتِعَارَاتِ، فَصارَ النُّعَاسُ لِرِقَّتِهِ وَاشْتِمَالِهِ عَلَى الضَّعْفِ، وكأَنَّهُ يُداعِبَ الجُفُونَ. وَنَقُولُ: رَان عَلَيْهِ النُّعاسُ، بِمَعْنَى اشتدَّ عَلَيْه. ونقولُ: استنكَحَ ونَكَحَ

النُّعَاسُ عَيْنَهُ: أي غَلَبَهَا. أَخَذَهُ النّعاسُ: كَمَا جَاءَ فِي القرآن((لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَومٌ)). وَنَقُولُ: تَغَلَّبَ عَلَيْهِ النُّعَاسُ: غَلَبَهُ، اِسْتَسْلَمَ لَهُ. وَنَقُولُ: تَمَضْمَضَ النُّعاسُ فِي عَيْنَيْهِ: أَي دَبَّ فيهِما. غَشِيَهُ النُّعَاسُ: حَوَاهُ، أَخَذَهُ. غَشِيَهُ المَوْجُ، غَشِيَهُ العَذَابُ، غَشِيَهُ المَوْتُ،... وَهَكَذَا. قال اللهُ تَعَالَى: ((إِذ يَغْشاكم النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنهُ)) والنُّعاسُ: قَدْ يُعْنِي النَّوْمَ كَمَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنَ الْآيَةِ، وَقِيلَ: هُو مُقَارَبَتُهُ، وَقِيلَ: ثَقْلَتُهُ. وَقَدْ يُعْنِي الْوَسَنَ. قَالَ عَدِيُّ بْنُ الرّقَاعِ:

وَسْنانُ أَقْصَدَهُ النُّعاسُ فَرَنَّقَتْ

فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ، ولَيْسَ بِنَائِمِ

وقال بدر شاكر السياب[٦١] مُصَوِّرًا النُّعاسَ وكأنهُ جرسٌ يَرِنُّ في الأفقِ:

صَوتُ النُّعاسِ يَرِنُّ في أُفُقي

فتذوبُ ناعِسَةً بِهِ السُّحُبُ

وَقَال الفرزدقُ[٦٢] وَهُو يَصِفُ النُّعَاسَ بِأَنَّهُ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ السُّكْرِ:

---

[٦١] بَدْر شاكِر السيَّاب ولد في قرَية جِيْكُور في محافظة البصرة في جنوب العراق (٢٥ ديسمبر ١٩٢٦ - ٢٤ ديسمبر١٩٦٤)، شاعر عراقي يعد واحدًا من الشعراء المشهورين في الوطن العربي في القرن العشرين، كما يعتبر أحد مؤسسي الشعر الحر في الأدب العربي.

[٦٢] الفرزدق (٣٨ هـ / ٦٤١م - ١١٠ هـ / ٧٣٢م) شاعر عربي من شعراء العصر الأموي من أهل البصرة، واسمه همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي. وكنيته أبو فراس وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه، ومعناها الرغيف، اشتهر بشعر المدح والفخر وَشعرُ الهجاء.

حَرْفٌ وَمُنْخَرِقُ القَميصِ هَوى بهِ

سُكْرُ النُّعاسِ فخَرَّ غيرَ مُوَسَّدِ

وقال أيضا:

وَمُغَلَّثِينَ مِنَ النّعَاسِ، كَأنّما

شَرِبُوا عَتيقَ سنينَ فَوْقَ الأرْحُلِ

والمُغَلَّثونَ: هُمْ مَنْ خَالَطَهُمُ الْوَجَعُ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ النَّوْمَ، أَوْ مَنْ خَالَطَهُمُ النُّعَاسُ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ مُقَاوَمَتَهُ، كَمَنْ شَرِبَ الْمُعَتَّقَ مِنَ الشَّرَابِ، أَيْ الَّذِي حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، فَأَصْبَحَ مِنْ أَجْوَدِ الشَّرَابِ، وَهُوَ التَّفْسِيرُ الَّذِي أَميلُ إِلَيْهِ.

وقلتُ في النُّعاسِ والكَرَى بعضَ أبياتٍ منَ الكامل:

عَبَثَ النُّعَاسُ بِجَفنِهـا فَتَمايَلَتْ

أَعْوَادُ رَيْحَانٍ تُراقِصُها الصَّبَا

سِنَةُ المَنَامِ تَرَنَّقَتْ بِعُيونِهـا،

فَعَلَتْ بِهَا فِعْلَ الْوَلِيدِ إذَا حَبَا

قَدْ غَابَ عَنْ عَيْنِي الكَرَى فَلَذَاذُهُ

أَمْسَى رَهِينَ تَقَلُّبِي فَتَغَيَّبَا

وَهَرَبْـتُ مِـنْ مَلَـلِ الْفِـرَاشِ مُغَاضِـبًا
إنِّي نَـــدَبتُكِ، فِي المَلَالَـــةِ، مَهْرَبـــا
وَطَمِعْـتُ فِي طِيـبِ اللِّقَـاءِ فَكَـانَ لِي
لُقيَـا عيُونِـكِ مَـا أَغَـلَّ وَأخصَـبَا
وَسِـنَتْ فَكَـانَ جَمَالُهَـا فِي سُـكْرِهَا
مـــادَتْ بِقَـــدٍّ للهُجُـــوعِ تَأَهَّبـــا
وَأهـيمُ فِي غَمْـضِ الْعُيُـونِ مُسَـافِرًا
بَـيْنَ الخُـدُودِ وبـينَ جَفنِـكِ، مُتعَبـا

اللطيفة الخامسة والأربعون

"الأعرابُ حينما يُقَيِّمُونَ المرأةَ"

وأنا أطالعُ كتاب "بهجةِ المجالسِ، وأنسِ المُجالس" استوقفتني إحدى الحكمِ، على لسانِ أعرابيٍّ، وقد سُئلَ عن المرأةِ: أيُّ النساءِ أفضلُ؟ فقال: الطويلةُ السالفةُ، الرقيقةُ الرادفةُ، العزيزةُ في قومها، الذليلةُ في نفسِها، التي في حِجرِها غُلامٌ، وفي بطنها غلامٌ، ولها في الغلمانِ غلام.

وبعد القراءة، هززتُ رأسي ضاحكا من قولهِ، وما أضحكني أكثر إيرادها في كتابٍ يدعي صاحبه أنه مجتمع الحكم والمأثور.

وبعودةٍ إلى الكلام الأعرابيّ السالفِ، يتبينُ أن تقييم المرأةِ من حيث التفاضلِ، يأتي على عدة معايير، منها:

١ – "الطويلةُ السالفةُ"، السَّالِفَةُ : جَانبُ العُنُقِ؛ وهما سَالفتان. والسَّالِفَةُ من الفرسِ ونحوه: ما تقدَّم من عُنُقِهِ. وكأنه يريد طويلة العنق. وهذه لا بأس بها.

٢ – "الرقيقةُ الرادفةُ"، والرَّادِفةُ : عَجُز الإنسان، وكأنه يريد أن كبر الردف ورقته من محاسن المرأة. وهذا لا بأس به.

٣– "العزيزةُ في قومها، الذليلةُ في نفسِها"، هُنَا تَكْمُنُ الطّامّةُ الْكُبْرَى، فَيُهِينُ المَرْأَةَ مِنْ حَيْثُ يُرِيدُ مَدْحَهَا وَيَجْعَلُ لَهَا أَفْضَلِيَّةً، لَكِنْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا

بِالْإِذْلَالِ. هَذِهِ الْعَزِيزَةُ فِي قَوْمِهَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ ذَلِيلَةً مَعَهُ وَمَعَ نَفْسِهَا. وَمِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ يَبِينُ التَّسَلُّطُ الذُّكورِيّ فِي مُجْتَمَعِ الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ مَا بَعْدَهُ وَإِلَى الْآنَ، فِي بَعْضِ مجتمعاتِنا العَرَبِيَّةِ الإِسْلاَمِيَّة.

٤- "التي في حِجرِها غُلامٌ، وفي بطنها غلامٌ، ولها في الغلمانِ غلام"، وَهَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ الْعُظْمَى، وَالَّتِي تَكْمُنُ فِي مَا لِلْمَرْأَةِ مِنْ قدرةٍ عَلَى الإنجابِ ليسَ إلّا. وَنَحْمَدُ اللهَّ أَنَّ هَذَا الأعرابيّ اكْتَفَى بِثَلَاثَةِ غِلمانٍ، وَلَيْسَ سِوَى الْغِلْمَان. وَلَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ حَالَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةِ الْحَامِلِ، وَهِيَ تَنوءُ بِحَمْلِهَا، وتُجلِسُ فِي حِجْرِهَا غلاماً، وَتُرْسِلُ الثالثَ مَعَ الْغِلْمَانِ. أَيُّ أَفْضَلِيَّةٍ لَهَا وَهِيَ فِي هَذِهِ الْحَالِ الْمُزْرِيَة. وَلَكَ أَنْ تُدْرِكَ المعاييرَ الجماليةَ الَّتِي يَعْتَقِدُ بِهَا. وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُعْنِي مَا يَقُولُ، إِنَّمَا أَرَادَ الْأَفْضَلِيَّةَ فِي قُدْرَتِهَا عَلَى إِنْجابِ الْأَوْلَادِ لَيْسَ إِلَّا. قال ابنُ حمديسَ[٦٣]:

أَنتِ تَسبينَ ذا العَفافِ بِدَلٍّ يَستَخِفُّ الحليمَ وهو وقورُ

وهذا الراعي النميري يصف المرأة بأجملِ الصفاتِ وهوَ الذي سمّيَ بالراعي لكثرةِ ما وصفَ الإبلَ أو رعيها، على اختلافِ الروايات إذ يقولُ:

---

[٦٣] ابن حمديس الصقلي (٤٤٧ - ٥٢٧ هـ) (١٠٥٥ - ١١٣٣)، شاعر عربي ولد ونشأ في صقلية، ثم تركها ورحل إلى الأندلس سنة ٤٧١ هـ، و أقام فيها لفترة ثم انتقل إلى المغرب الأوسط و إفريقية حتى توفي في جزيرة ميورقة سنة ٥٢٧ هـ، وقد تميز بثقافة دينية جعلت منه حكيمًا من حكماء الحياة، و انعكس ذلك على قصائده.

لُهنَّ حديثٌ فاترٌ يتركُ الفتى خفوقَ الحَشا، مُستَهلَكَ اللُّبِّ طامِعا

وقلتُ في أفضل النساءِ:

خيرُ النساءِ إذا صَبَحتَ بوجهِها سَرَّتكَ، فالوجهُ الجميلُ صَبوحُ[٦٤]

تسقيكَ من عَسلِ الصَّبوحِ بشربَةٍ تُرويكَ في حرِّ الهجيرِ، تُريحُ[٦٥]

تهديكَ من صبرِ الحياةِ إباءَها فتَفيضُ أنهارُ الإباءِ، تَفوحُ[٦٦]

وَتُجَبِّرُ القلبَ الكسيرَ بِدَلِّها يغدو الرّواحُ بكفها ويروحُ[٦٧]

الكونُ أصغرُ للفتى من غايةٍ عَظُمَتْ فَيُزري الكونَ وهْوَ فَسيحُ[٦٨]

يا لائمي في الحُبِّ، غَايةُ عَذلِهِ طعنُ النساءِ، وذاكَ منهُ يلوحُ

(دَعْ ذِكرَهُنَّ)، وما كتَبتَ، خرافةٌ الفعلُ يشهدُ بالنقيضِ، يبوحُ[٦٩]

---

[٦٤] وجهٌ صَبُوحُ : : مشرق جميل.

[٦٥] الصَّبُوحُ :ما يُشْرَبُ أَو يؤْكل صباحاً خلاف الغَبُوق. الهجير: الهاجِرة، نصف النَّهار عند اشتداد الحرّ.

[٦٦] إباءها: عِزَّةِ نَفسِها وَ أَنَفَتِها وَكِبْرِيائِها. والمعنى أنها تعطيكَ من صبرها إباءً وعزةً وكبرياءً.

[٦٧] جبَّرَ العظمَ :جبَره، أصلح كسرَه. دلَّتِ الفتاة: تغنَّجت وتلوَّت. الرَّوَاحُ : الرَّاحَةُ.

[٦٨] أزرى الكون: عابَه وحقّره.

[٦٩] إشارة الى أبيات منسوبة للإمام علي (ع) في ذم النساء، ولا أعتقد بأنه من قاله.

فلَربَّما بُنِيَتْ صُروحُ ثقافةٍ قطبُ الرَّحَى فيها النساءُ تَسيحُ[٧٠]

شِيدَتْ برَغمِ العَاتياتِ مَمالكٌ للحبِّ، في قلب النِّساءِ، صروحُ[٧١]

تلكَ التي تُثريكَ طَيِّبَ وُدِّها لِلهمِّ، والكَرْبِ العَظيمِ تُزيحُ[٧٢]

تُبدي إليكَ سُرورَها في غِبطَةٍ كنزُ السعادةِ في الحياةِ نَصيحُ[٧٣]

تمشي بأثواب الجمال كزهرةٍ لم يُثْنِها قصفُ الرُّعودِ، وريحُ

إنَّ الجمالَ، دقيقَهُ وعظيمَهُ من دونِ أرواحِ النساء، جريحُ

وجهُ الصباحِ مهلَّلٌ إذ أشرقَتْ كالشمسِ، تمنحنا الهناء، تفيحُ[٧٤]

تأتي، إذا مرَّ النَّسيمُ مُداعِبًا هُدبَ العيونِ، فيستطبُّ طريحُ[٧٥]

جَمعُ الغرائزِ في الجسومِ ضرورةٌ أمُّ الغرائزِ في النساءِ جُموحُ[٧٦]

كنزُ القناعةِ يستبينُ وجودُهُ عندَ البلاءِ بِفَقدِهِنَّ، صَريحُ

---

[٧٠] قُطبُ الرَّحى: الْعَصَا الْغَلِيظَةُ أَوِ الْحَدِيدَةُ الْمُلَصَّقَةُ بِالطَّبَقِ الأَسْفَلِ مِنَ الرَّحَى يَدُورُ عَلَيْهِ الطَّبَقُ الأَعْلَى. تسيحُ: تجولُ فِيهَا.

[٧١] العاتيات: بمعنى الشدائد، والمصائبِ.

[٧٢] تُثريكَ: من أثرى الشَّيءَ: جعله غنيًّا، نمّاه واستثمره.

[٧٣] الغِبْطَةُ : حُسن الحال، مسرّة، رضا تامّ دائم. نصيحُ: هو الناصحُ.

[٧٤] تُفيحُ: أي تغلي.

[٧٥] الهُدْبُ : شَعرُ أَشفار العين أو أهدابُ العين. يستطبُّ: اسْتَطَبَّ بالدواء ونحوِه: تداوى وتعالَجَ. طريحُ: من طريح الفراش: مريض، مُلازِم الفراش لعِلَّة أو عارض.

[٧٦] جُموحُ: نقولُ: عَرَفْتُهُ جَمُوحَ العَاطِفَةِ: مَنْ يَنْقَادُ وَرَاءَ عَاطِفَتِهِ وَهَوَاهُ وَيَصْعُبُ رَدُّهُ.

(شرُّ النساءِ) كتبتُها فَعَذَلتَني من وقتِها صارَ القصيدُ ينوحُ[٧٧]
هيَ كَبوَةٌ فَهمَ الكريمُ عِثارَها والآن من طيبِ الكلامِ أبيحُ[٧٨]
نحنُ الألى طَيشُ الرجالِ يَقودُنا وحناجرٌ، كالفاتحين، تصيحُ
هي ضلعُ آدمَ، أو بقيَّةُ طينةٍ تلك الخُرافةُ بالعقولِ تُطيحُ
ذموا النساءَ، وما لهن جنايةٌ تأويلُ ذلكَ في العقول كسيحُ
هي نفسُ آدمَ إذ حباه بكائن كفءٍ، وفي آيِ الكتابِ، وروحُ
ولبئس من يبغي القبيح بمدحةٍ شوهاءَ، لا يغني بذاكَ مديحُ
إني أقولُ حصافةً، ورصانةً قولُ العقولِ بشأنِهنَّ فَصيحُ
أحصيتُ هذا من عَتِيقِ دِرَايَتي أدريهِ مكنونُ الجَنانِ صَحيحُ
وَدِّعْ حماقاتِ الصِّبا وغرورَه إنَّ الغرورَ، لِذي الجَمالِ، قَبيحُ
لا تأخُذَنَّكَ في العدالةِ لَوْمَةٌ فالعدلُ ما بينَ الأنامِ شَحيحُ

---

[٧٧] (شر النساء) إشارة إلى قصيدتي التي كتبتها في ديو اني الثاني(رَوحُ القلوب) أذمُّ فيها النساء بسبب شقشقةٍ هدرتْ مني ولها اسبابُها في حينها، وهنا أتراجعُ عما بحثُ به فيها.

[٧٨] الكَبْوةُ : السُّقوط للوجه.

اللطيفة السادسة والأربعون

"نعم و بلى"

قَالَ لِي : أَلَستَ تُحِبّ أَكلَ البَصَلِ؟

أجبتهُ : نَعَمْ.

قَال : أعرفُ أَنَّكَ تُحسنُ أكلَ الْبَصَلِ، لَكِنَّكَ لَمْ تُحْسِنِ الجَوَابَ.

قلتُ : وَكَيْف؟ أَ لَمْ أُجِبْكَ عَنْ سُؤَالِكَ؟

قَالَ : بَلَى، أَجَبْتَنِي بِنَعَمْ.

قُلْتُ : وَمَا الْغَرِيبُ فِي هَذَا؟

قَالَ : سَأُوضِحُ لَكَ هَذَا. هَلْ قَرَأْتَ قَوْلَهُ تَعالى((أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ))؟

قُلْتُ : قَرَأْتُهَا. قَالَ : فَمَا كَانَ جوابُ المَسؤُولينَ؟

قُلْتُ : ((قالُوا بَلى)).

قَالَ: وَلِمَ لَمْ يَقُولُوا "نعمْ"؟ سأَشرَحُ لكَ، لِأَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا "نعم" فِي الجَوَابِ، لَكَانَ تَفْسِيرُ إجَابَتِهِمْ أَنَّهُ لَيْسَ بِرَبِّهِم، أَي كَأَنَّهُم يقولونَ((نَعَم، لستَ بِربِّنا)). أَمَّا الْإِجَابَةُ بـ" بلى" فَهِيَ الصَّحِيحَةُ، لماذا؟ لِأَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ يكونُ: ((بَلَى أَنْتَ رَبُّنا)). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِهِ، لَوْ قَالُوا: "نَعَمْ" لَكَفَرُوا. لِذَلك يَجِبُ اسْتِعْمَالُ " بلى" لِلْإِجَابَةِ عَنْ سُؤَالٍ مَنْفِيّ فيقلبه مثبتاً، مِثْل (ألستَ مُسَافِرًا الْيَوْمَ؟) فَإِذَا أَجَبْتَ بـ"نعمْ"، فَكَأَنَّكَ أَثبَتَّ عَدَمَ السَّفَرِ، أَيْ كَأَنَّكَ تَقُولُ: نَعَم لَسْت مُسَافِرًا.

لَكِنْ لَوْ أَجَبْتَ بـ "بلى"، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: بَلَى مُسَافِرٌ الْيَوْمَ. وَمِثْلُ ذَلِكَ - قَوْله تَعَالَى: ((أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ بَلَى، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قلبي)) الْبَقَرَة، ٢٦٠. فَلَوْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَعَمْ، لفهمنا من جوابِهِ أَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ.

أمثلةٌ أخرى : أَلَيْسَت كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةَ المَوْتِ؟ : بَلَى، أَي : كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموتِ.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ؟ قَالُوا : بَلَى قَدْ جَاءَنَا نذيرٌ- المُلكُ، ٨-٩.

بَلَى : هُوَ حَرْفُ جَوَابٍ يَقَعُ بَعْدَ النَّفْيِ فَيَجْعَلُهُ إثباتاً. قَالَ أَبُو فِرَاس الحمداني مِن قصيدته(أراك عصيَّ الدمع):

أَرَاك عصـــيَّ الـدَّمْع شـيمتك الصـبرُ
أَمَّـا لِلْهَـوَى نهـيٌ عَلَيْـك وَلَا أَمَـرَ ؟
بَـــلَى ، أَنَـــا مُشْـــتَاق وَعِنْـــدِي لَوْعَـــة
وَلَكِـــنَّ مِـــثْلِي لَا يُـــذاعُ لَـــهُ سِرُّ

أَمَّا"نعم" فَتَأْتِي فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا :

١-حرف تَصْدِيق : إِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ الْخَبَرِ، نَحْو : أَكَلَ الطَّعَامَ كُلَّهُ.

جَوَابُهُ : نعم- أَيْ أَكَلَ الطَّعَامَ حقًا.

٢-حرف وعد: إِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ، نَحْو : ساعدْ أَخَاك فِي عَمَلِهِ، جَوَابُه : نعم- أَي أَعِدُك بمساعدتِه.

٣-حرف إعلامٍ: إذَا كَانَتْ بَعْدَ اسْتِفْهَامٍ، نَحْو : أَشُفِيَ المَرِيضُ؟

جَوَابُه : نعم- أَيْ أَنَّهُ شُفِيَ.

٤-حرف توكيد: إذَا وَقَعَ فِي صَدْرِ الْكَلَامِ، نَحْو: نَعَم، إنَّ الْحَقِيقَةَ سَتَظْهَرُ.

وأخيراً، عَلَيْكَ أَنْ تتنبهَ لِهَذِهِ الْمُلْحُوظَةِ: إذَا كَانَ الْكَلَامُ قَبْلَ (نعم) منفيًا، أَفَادَتْ النَّفْيَ، وَإِنْ كَانَ مثبتًا أَفَادَتْ الْإِثْبَاتَ: مثل:

أَلَمْ تُسَافِرْ؟ الْجَوَابُ: (نعم) يَعْنِي إنَّنِي لَمْ أُسَافِرْ.

أَسَافَرتَ؟ الْجَوَابُ: (نعم) يَعْنِي إنَّنِي سَافَرْتُ.

اللطيفة السابعة والأربعون

"الطربُ: في الفرح أم في الحزن؟"

قال الكُمَيتُ ابنُ زيد الأسديّ[٧٩]:

طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ

ولاَ لَعِباً منّي، أ ذُو الشَّيبِ يَلعَبُ؟

الطَّرَبُ : خِفَّةٌ وهِزَّةٌ تثير النَّفْسَ لفرحٍ أَو حُزْنٍ أَو ارتياح.

قالَ البُحتُريّ[٨٠]:

قَصائِدٌ يَطرَبُ مَن تُهدَى لَهُ وَلَذَّةُ النَفسِ مِنَ العَيشِ الطَرَبْ

وَمِنَ الجَلِيّ أَنَّ الطَّرَبَ، بِتَعْبِيرِ الْبُحْتُرِيّ، هُوَ مِنْ لَذائِذِ الْعَيْشِ، أَيْ مِنْ دَوَاعِي الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ.

وقالَ السّرّي الرفاءُ:

---

[٧٩] الكميت بن زيد الأسدي وكنيته أبو المستهل، (٦٠ هـ - ١٢٦ هـ) شاعر عربي من قبيلة بني أسد ومن أشهر شعراء العصر الأموي، سكن الكوفة واشتهر بالتشيع وقصائده في ذلك المسماة بالهاشميات.

[٨٠] البُحْتُري (٢٠٤ هجري - ٢٨٠ هجري)؛ واسمه أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي. يقال لشعره سلاسل الذهب، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشهر أبناء عصرهم، المتنبي و أبو تمام والبحتري، قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي و أبو تمام حكيمان و إنما الشاعر البحتري.

كَراهِبٍ حَنَّ للهَوَى طَرَباً فشَقَّ جِلبَابَهُ مِنَ الطَّرَبِ

مَا أَشَدَّ طَرَبَ الرَّاهِبِ، الَّذِي دَعَاهُ إِلَى شَقّ ثِيَابِهِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِهِ، وَهوَ يُطَابِقُ التَّعْرِيفَ مِنْ أَنَّهُ خِفَّةٌ يَشْعُرُ بِهَا الْمُطْرِبُ.

وَمِنْ أَبْلَغِ التَّشْبِيهَاتِ الَّتِي قَرَأْتُهَا هَذَا الْبَيْتُ لِأَحْمَد شَوْقِي :

تَهُـزُّ الجبـــــَالَ تَبـــاشـــيرُهُ كما هَزَّ عِطفَ الطَّروبِ الطَّرَبُ

والتباشيرُ هي أوائلُ كلِّ شيءٍ (لا تُستعملُ إلاَّ جمعًا) فنقولُ: تَباشيرُ الصَّباح/ الفجر/ التقدُّم/ المستقبل/ النَّهضة، وهكذا. وعِطْفُ كل شيءٍ: جانبُه؛ وهو من الإِنسانِ من لدُن رأْسِهِ إِلى وَرِكِهِ. وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الطَّرَبَ يَهُزُّ أعطافَ الرَّجُلِ، وَهُوَ مِنَ الْخِفَّةِ، فَمَنْ خَفَّ، اهتَزّ، أَوْ رُبَّمَا تَحَطَّمَ، أَو تَدَكدَكَ مِنْ شِدَّةِ اِهْتِزازِهِ وَلَوْ كَانَ جَبَلًا مِنَ الصَّلَابَةِ وَالْبَأْس.

وَخُذْ مَا قَالَهُ الشَّاعِرُ عُرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ[٨١] ، وَهُوَ مِنْ أَمْتَعِ التعبيراتِ، حَيْثُ يَقُولُ:

فقالوا قد جَزِعْتَ فقلتُ كَلاَّ وهل يبكي من الطَّربِ الجليدُ

((٨١)) أبو عامر عروة بن أذينة الليثي الكناني تابعي جليل وشاعر غزل وفخر وشريف مقدم من شعراء المدينة المنورة وهو معدود في الفقهاء والمحدثين وأحد ثقات أصحاب حديث رسول الله سمع من ابن عمر وروى عنه مالك بن أنس في الموطأ وعبيد الله بن عمر العدوي.

وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ الحُزْنِ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى الحَاذِقِ الْأَرِيبِ.

أَمَّا شَاعِرُ الحُبِّ وَالْغَزَلِ المَعْرُوف عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ[٨٢] فَيُفصِحُ عَنْ مَعْنَى الطَّرَبِ بِقَوْلِهِ:

طَالَ لَيْلِي وَتَعَنَّاني الطَّرَبْ واعْتَرَاني طُولُ همٍّ ونَصَبْ

تَعَنَّى العَامِلُ: تَعِبَ تَعَباً شَدِيداً. أَصْبَحَ الطَّرَبُ مِنْ دَوَاعِي التَّعَبِ لِلشَّاعِرِ، وَقَدْ طَالَ لَيْلُهُ بِسَبَبِ هَذَا الطَّرَبِ، وَالَّذِي يُعْنِي الحُزْنَ كَمَا لَا يَخْفَى. اِعْتَرَاهُ الخَوْفُ والهمُّ والتعبُ: أي اِسْتَوْلى عَلَيْه وأصابَهُ.

الشاعرُ بدويّ الجبلِ[٨٣] أخذَ يُغنّي قومَهُ لعلَّهم يَطرَبونَ لغنائِهِ، فيقولُ:

غَنَّيتُ قوميَ بالأشعارِ أُطرِبُهُمْ

لو يَسمعُ القومُ شَدوَ الشّاعِرِ الطَّرِبِ

وقالَ جبران خليل جبران :

كأنكَ تسمعُ أغنيةً تُهيجُ للنفسِ روحَ الطرب

---

[٨٢] عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (ولد ٦٤٤م / ٢٣ هـ - توفي ٧١١م / ٩٣ هـ) شاعر مخزومي قرشي، شاعر مشهور لم يكن في قريش أشعر منه وهو كثير الغزل والنوادر، ولُقِب بالعاشق. يكنى أبا الخطَّاب، وأبا حفص، وأبا بشر، ولقب بالمُغيريّ نسبة إلى جَدّه. أحد شعراء الدولة الأموية ويعد من زعماء فن التغزل في زمانه. وهو من طبقة جرير، والفرزدق والأخطل.

[٨٣] محمد سليمان الأحمد (١٩٠٣ - ١٩ أغسطس ١٩٨١) الملقب ببدوي الجبل، شاعر وسياسي سوري ولد في قرية ديفة في محافظة اللاذقية، سوريا، وأحد أعلام الشعر العربي في القرن العشرين.

وَلَرُبَّما اُسْتُعْمِلَتْ فِي المَعْنَيَيْنِ كِلَيْهِمَا، الْفَرَحِ وَالحُزْنِ، كَالذي فَهِمْتُهُ مِنْ بَيْتِ الرَّاعِي النُّمَيْرِيّ حَيْثُ يَقُولُ :

عَرَفْنَاهَا مَنَازِلَ آلِ حُبَّى فَلَمْ نَمْلِكْ مِنَ الطَّرَبِ الْعُيُونا

وقال النابغةُ الجُعديّ[٨٤]:

سَأَلَتَنِي جارَتي عَن أَمتي وَإِذا ما عَيَّ ذُو اللُّبَ سَأَل

سَأَلَتني عَن أُنَاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَهرُ عَليهِم وَأَكَل

وَأَراني طَرِباً في إِثْرِهِمْ طَرَبَ الوالِهِ أو كالمُختَبَلْ

وللطَّرَبِ سُلطَةٌ مطلقَةٌ على مَنْ أوغَرَ صَدرَهُ الحُزنُ، فلم يَعُد يتحكمُ بدموعِهِ ولا بِكلامِهِ، بل يتَحكَّمُ بهما الطَّرَبُ كليهما، قال المُتنبّي:

لا يَمْلِكُ الطّرِبُ المَحزُونُ مَنطِقَهُ

وَدَمْعَهُ، وَهُمَا في قَبضَةِ الطّرَبِ

قلتُ بعضَ أبياتٍ في الطرَبِ:

---

[٨٤] أبو ليلى النابغة الجعدي (٥٥ ق هـ/٥٦٨م - ٦٥ هـ/٦٨٤م): شاعر، صحابي، ومن المعمرين. ولد في الفلج (الأفلاج) جنوبي نجد. اشتهر في الجاهلية، وقيل إنه زار اللخميين بالحيرة. وسمي " النابغة " لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقوم الشعر ثم نبغ فقاله. وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر، قبل ظهور الإسلام.

ذا فـؤادي قَـد تَعَنّـاهُ الطَّـرَبْ

لمْ يَكُـنْ سِرّاً ولا حتـى احتَجَـبْ

سَـلْ نُجـومَ اللّيـلِ عَنّـي، سَـاهِرٌ

ذابَ شَـحْمُ العـينِ مِنّـي فالتَهَـبْ

طَـرَّبَ اللَّيـلَ أنينـي بَعـدَما

طَـرَّبَ الغـارِقَ في دُنيـا الأدَبْ

المعنى: تعنّاه: من تَعَنّى، أي تَعِبَ تَعَباً شَدِيداً. طَرَّبَ فلانًا: أطْرَبَهُ. فكأنَّ أنيني أهاجَ الحزنَ أو الفرَحَ في الليلِ، كالذي فعلهُ بالكاتبِ أوِ الشاعرِ الذي يبحثُ عن لحظةٍ من لحظاتِ السعادة فيما يكتب.

نستخلصُ مما سبقَ أنَّ الطّرَبَ يعني الحزنَ ويعني الفَرَحَ، ويمكنُ معرفةُ معناها من خلالِ السياق.

اللطيفة الثامنة والأربعون

"تَجَمُّلُ الرَّجُلِ لِلمرأةِ"

وَقَفَ أَمَامَ المِرْآةِ يَأْخُذُ فَضْلَ شَعْرِه، وَيَبْدُو منشغلًا بِأَمْر التَّزَيُّنِ، ومهتما بِأَنْ يَظْهَرَ بِمَظْهَرٍ جَمِيلٍ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ أُمّهُ، وَقَالَتْ: أَرَاكَ مُنشَغلًا فِي الزِّينَةِ وَالتَّجَمُّلِ، مَا الْأَمْرُ؟ قَال: وَهَلْ هَذَا غَرِيبٌ يَا أُمِّي؟ إِنِّي أَتَزَيَّنُ لِزَوْجَتِي قَبْلَ أَنْ تَعُودَ. اِسْتَغْرَبَتِ الْأُمّ، لَكِنَّهَا أَظْهَرَتْ مَوجَةً مِنَ الحُسَرَاتِ، وَكَأَنَّهَا تَبُثّ شَرَارَةً مِنَ التَّأَسُّف وَهِي تَهُزُّ رَأْسَهَا بامتعاضٍ، فَقَالَت: وَاللهِ لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي بوالدِكَ، الَّذِي كَانَ لَا يُعِيرُ اهْتِمَامًا لمظهَرِهِ وهِندَامِهِ. حَاوَلتُ مَعَهُ كَثِيرًا بُغْيَةَ إِصْلَاحِ مَظْهَرِهِ بِلَا فَائِدَةٍ، حَتَّى كُنْتُ أخجلُ مِن صُوَيْحِبَاتِي حِينَمَا يَرَيْنَهُ مَعِي فِي مُنَاسَبَةٍ وَغَيْرِهَا. قَالَ لَهَا وَلَدُهَا: وَلِمَاذَا كَانَ يَرْفُضُ التَّجَمُّلَ وَالتَّزَيُّن لَكِ؟ قَالَت: يَا وَلَدِي كَانَ يَحْمِلُ فِي رأسِهِ نَظَرَةً سَوْدَاوِيَّةً عَنِ المَرْأَةِ، وَكَأَنَّهُ يَعِيشُ فِي الْعَصْرِ الجَاهِلِيِّ لَا فِي الْقَرْنِ العِشْرِينَ. أَبُوكَ تَخَرَّجَ مِنْ كُلِّيَّةِ الآدَابِ، فَهُوَ لَيْسَ مِنَ الجَاهِلِينَ، وَكان يَتَمَيَّزُ بِالذَّكاءِ وَالفِطْنَةِ وَحُضُورِ الجَوَابِ وَاللِّسَانِ الَّذِي لَا يَشُقُّ لَهُ غُبَارٌ. الشَّيْءُ الْوَحِيدُ فِيهِ وَالَّذِي كَرِهْتُهُ بِسَبَبِهِ هُوَ عَدَمُ الاكْتِرَاثِ لمظهرِهِ، فقد كان يَتعلَّلُ بشتى التعليلاتِ، ويتحجَّجُ بِحُجَجٍ لَا طَائِلَ مِنْهَا لَكِنَّهَا ترتكز فِي عقلِهِ. يَظُنُّ أَنَّهُ بِهَذَا الْإِهْمَالِ لمظهرِهِ يَكُونُ مُتَوَاضِعاً، وَمَا دَرَى أَنَّ التَّوَاضُعَ لَنْ يَكُونَ بِرَثَاثَةِ الملبس وَبِإِهْمَال أَمرِ النَّظَافَةِ، و عَدَم حَلقِ الذِّقْنِ وَالسَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ دُونَ الِاكْتِرَاثِ

بِالْآخَرِينِ وانتقادِهِم. كَانَ لَا يَأْكُلُ بِالْمِلْعَقَةِ لِأَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّ الْأَكْلَ بِالْأَصَابِعِ هِيَ مِنْ سُنَنِ الرَّسُول محمد(ص)، ولابدّ لنا من تقليدِ الأقدمين. وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ يَنْحَصِرُ بِالْأَكْلِ لَحمدتُ الله عَلَى هَذَا، لَكِنَّ طَرِيقَةَ تَناوُلِهِ الطَّعَامَ تُثِيرُ الاشْمِئْزازَ لَدَى الْآخَرِينَ وَكَثِيرًا مَا وُجِّهَ إِلَيْهِ الِانْتِقَادُ وَمِن أَصْدِقائِه الْمُقَرَّبِينَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْبَأُ بانتقاداتهم. كُنْتُ أُذَكِّرُهُ كَثِيرًا بِقَوْلِ الله عَزَّ وجلَّ((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)). وَهَذَا يُعْنِي أَنَّ مِنْ حُقُوقِ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ حُسْنَ التَّجَمُّلِ وَالتَّزَيُّنِ مِنْ قِبَلِهَا، وَحَقُّ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّجَمُّلِ وَالتَّزَيُّنِ مِنْ قِبَلِهِ. وَقَد بَحَثْتُ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي الشَّبَكَة العنكبوتية مِرارًا، فَوَجَدْتُ الِاهْتِمام مِنْ قِبَلِ الرَّجُلِ بِالزِّينَة وَالتَّجَمُّلِ حَتَّى فِي عَصْرِ البَدَاوَةِ وَالْجَاهِلِيَّةِ أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ فِي سِنِي الْإِسْلَامِ الْأُولَى. ذَكَرْتُ لَهُ هَذَا الْحَدِيثَ الْمَرْوِيَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالَّذِي وَجَدْتُهُ فِي كِتَابِ سُنَنِ الْبَيْهَقِيّ الْكُبْرَى، وَمُصَنَّفِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ وَغَيْرِهِ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ، كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)). وَمَا أُحِبُّ أَنْ أستنطف حَقِّي عَلَيْهَا، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ((وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)). وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ يَلْبَسَ الثِّيَابَ النَّفِيسَةَ، وَيَقُولُ: إِنَّ لِي نِسَاءً وَجِوَارِي ، فَأُزَيِّنُ نَفْسِي كَيْ لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِي. وقال أَبُو يُوسُفَ وهو مِنْ أَئِمَّةِ الْحَنَفِيَّةِ: يُعْجِبُنِي أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي امْرَأَتِي، كَمَا يُعْجِبُهَا أَنْ أَتَزَيَّنَ لَهَا. وَمِنَ الزِّينَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ: أَنَّهُ إِنْ نَبَتَ شَعْرٌ غَلِيظٌ لِلْمَرْأَةِ فِي وَجْهِهَا، كَشَعْرِ

الشَّارِبِ وَاللِّحْيَةِ، فَيَجِبُ عَلَيْهَا نَتْفُهُ لِئَلَّا تَتَشَبَّهَ بِالرِّجَالِ. وَأَجَازَ الْحَنَفِيَّةُ لِلرَّجُلِ الْأَخْذَ مِنَ الْحَاجِبَيْنِ إِذَا فَحُشا. وَكُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْإِسْلَامَ فِي الْقُرْآنِ يَدْعُو للجمالِ وَالتَّزَيُّنِ، حَيْث يقول: ((وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ). (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) وَالْأَرْض أيضًا (أَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)، (فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا) وَفِي الْحَيَوَانِ (لَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)، وَجَمَال الْإِنْسَان (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ)، (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ) (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)، وكُلُّ هَذَا يَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى تَذَوُّقِ الْجَمَالِ. وَعَرَفْتُ أَيْضًا أَنَّ الْجَمَالَ مِنْ الْمَفَاهِيمِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى الَّتِي عَنَى بِهَا الْفَلَاسِفَةُ وَهِيَ الْحَقُّ وَالْخَيْرُ وَالْجَمَالُ. فَكَمَا أَنَّكَ تَسْتَمْتِعُ وَتَشْعُرُ إِحْساساً بِالْجَمَالِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ جَمِيلًا حَتَّى يَتَمَتَّعَ الْآخَرُونَ بِجَمالِكَ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْمَرْأَةُ، فَهِيَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْكَ وَإِلَى قَلْبِكَ. ومَعايِيرُ الْجَمَالِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا جَمَالُ الْمَظْهَرِ وَجَمَالُ الرُّوحِ وَالْمَنْطِقِ وَجَمَالُ الْأَخْلَاقِ وَطَرِيقَةُ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ وَالِاهْتِمَام بِالْآخَرِين، وَالتَّزَيُّنِ لِلْمَرْأَةِ عَلَى رَأْسِهَا فِي تَقْدِيرِي. حَتَّى الْهَجْرُ إِذَا اُضْطُرِرْتَ إِلَيْهِ يَوْمًا مَا لِسَبَبٍ أَوْ لِآخَرَ فَلْيَكُنْ هَجْرًا جَمِيلًا كَمَا عَلَّمَنَا الْقُرْآن بقولِهِ((وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً)) أَو بقولِه((فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)).

حِينَمَا سَمِعَ كُلَّ هَذَا مِنْ وَالِدَتِهِ، أَطْرَقَ هُنَيهَةً، وَقَد بَدَت أَمَارَاتُ

الاسْتِغْرَابِ عَلَى مُحَيَّاهُ، وَقَال : الله، عَلَى هَذَا الْكَلَامِ الجُمِيل، لَمْ أَكُنْ اعْلَمُ أَنَّكِ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الْكِبَارِ يَا أُمِّي، وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ كُلَّ هَذِهِ الْمُعَانَاةِ الَّتِي تَحمِلينَها مِنْ أَبِي رَحِمَهُ اللهُ .

قَالَتْ: وَلَكِنَّ هَذَا لم يعُدْ مُجْدِيًا بَعْدَ الآنِ، اِهْتَمّ بمظهركَ وَكُنْ جَمِيلًا أَمَامَ زَوجَتِكَ؛ فَأَنْتَ سَكَنٌ لَهَا وَهِيَ سَكَنٌ لَكَ، وَأَنَا الْآنَ بِلَا سَكَنٍ يَا حَسْرَتِي .

ضَحِك الْوَلَدُ مِنْ كَلَامِهَا، وَكَأَنَّ لِسَانَ حَالِهَا يَقُولُ :

غـابَ الأنـيسُ والتَحَـدْ ... قـد شـطَّ عنـا وابتعـدْ

لـيلي طَويـلٌ وَارفٌ ... أقضـيهِ بُؤسـاً في كَمَـدْ

لامَ الأَنـامُ وَحـدَتي ... آثَـرْتُ في عُمْـري جَـدَدْ

صَـبَّرْتُ عَينـي بَعـدَمَا ... صَـبَّرْتُ قلبـي في جَلَـدْ

اللطيفة التاسعة والأربعون

"الشعراء وأخطاؤهم النحوية"

يكتُبُ الشعراءُ قصائدَهم ويسهرون اللَّيَالِيَ فِي اسْتِخْلَاصِ الصُّوَر الشِّعْرِيَّة الماتعة ، وَيُولُون جُلّ اهْتِمَامِهِم بالمبنى وَالمَعْنَى، والمحسِّناتِ البديعيةِ، كَي تَخْرُج الْقَصِيدَة بأبهى صُوَرِهَا. وَالْكَثِيرُ مِنْهُمْ يَغْفَلُ لِسَبَبٍ أو آخَرَ بَعْضَ الْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ، فَيَزِلّ القلمُ، أَوْ رُبَّمَا لَمْ يَكُنْ مُلِمًّا بِمَا كَتَبَ مِنْ حَيْثُ الْقَاعِدَة هَذِه. كُلُّ هَذَا أَحْسَبُه سَهْلًا وَلَا ضَيْرَ أَنْ يَزِلَّ القلمُ أَوْ رُبَّمَا الْفِكْرُ وَالْفَهْمُ، فَتَأْتِي الْقَصِيدَةُ غَيْرَ مُستوفيةٍ شُرُوطَ الْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ بِغَيْرِ قَصْدٍ طَبْعًا. النَّحْوُ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تَصْعُبُ الْإِحَاطَةُ بِهَا كُلَّ الْإِحَاطَة. نَرَى كَثِيرًا مِمَّنْ تخصصوا بِالنَّحْوِ وَعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ يخطأُ كَثِيرًا، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الأحْيانِ تَأْتِي هَذِهِ الأَخْطَاءُ مِنَ النَّوْعِ الَّذِي لَا يَغفِرُهُ اساطينُ هذا العلمِ أو المتخصّصونَ فيهِ. الَّذِين يتقنونَ اللُّغَةَ وَالنَّحْوَ الْعَرَبِيَّ لَا يَتَعَدَّوْن أَصَابِعَ الْيَدِ فِي الْعَالَمِ العَرَبِيِّ. وَهَؤُلَاءِ قَدْ أعتبرُهُم مِن الشَّوَاذّ، لِقِلَّةِ أَعْدَادِهِم، أما الكَثرَةُ الكاثرةُ فهم لا يتقنونَ التحدّثَ والكتابةَ بلغتِهِم. مَاذَا نَفْعَلُ إِزَاءَ هَذِه الْمُشْكِلَة الَّتِي يَقَعُ تَحْت براثنها مُعْظَمُ الشُّعَرَاءِ وَالْكُتَّاب؟

هَل نَتَوَقَّفُ عَنِ الْكِتَابَةِ وَنَظْمِ الشِّعْرِ بِسَبَبِ وُرُودِ أخْطَاءٍ تُعَدّ بِالْأَصَابِع؟ دَعُونِي أُخْبِرُكُمْ بَعْضَ الْحِكَايَات الَّتِي قَرَأْتُهَا فِي بَعْضِ كُتُبِ الْأَدَبِ، كَي نَطَّلِعَ عَلَى هَذِهِ الْمُشْكِلَةِ الْبَسِيطَةِ فِي نظري، إِذَا عَرَفْنَا أَنَّ كِبَارَ الشُّعَرَاءِ فِي تاريخنا الأَدَبِيّ قَدْ

وَقَعُوا فِيهَا.

ذَكَر ضِيَاءُ الدِّينِ ابْنِ الْأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ "المثل السائر" الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ص٤٩ومابعدها، أَنَّ الْمُتَنَبِّي، الشَّاعِرَ الْمَعْرُوفَ قد وَقَعَ فِي هَذِهِ الأَخْطَاء وَتُرِكَتْ أخطاؤُهُ لَمْ تُصَحَّحْ فِي قَصائِدِهِ، حَيْثُ يَقُولُ فِي قَصِيدَتِهِ الّتِي يَمْدَحُ فِيهَا أَبَا الْفَضْلِ مُحَمَّد ابْنَ الْعَمِيدِ ومطلعها :

بادٍ هواكَ صبرتَ أَمْ لَمْ تصبرا وبكاكَ إنْ لَمْ يَجْرِ دمعُكَ أَوْ جَرَى

حَتَّى يَقُولَ :

أرأيتَ هِمةَ ناقتي في ناقةٍ نقلت يداً سُرُحاً وخُفًّا مُجمَرا

تَرَكتْ دُخانَ الرمثِ في أوطانِها طَلَباً لِقومٍ يُوقِدونَ العَنبَرا

وتَكَرَّمَتْ رُكَبَاتُها عن مَبرَكٍ تَقَعانِ فيهِ وليسَ مِسكاً أذفَرا

حَيْثُ جَعَلَ لِلنّاقَة ركبات فَجَمَع فِي حَالِ التَّثْنِيَة، فِي حِينِ أَنَّ النَّاقَةَ لَيْسَ لَهَا إِلَّا رُكبَتَانِ، فقالَ(رُكَبات)، وَهَذَا مِنْ أَظْهَرِ ظَوَاهِرِ النَّحْوِ، وَقَدْ خَفِيَ عَلَى مِثْلِ الْمُتَنَبِّي.

وَكَذَلِكَ الْخَطَأُ الَّذِي وَرَدَ فِي بَيْتٍ مِنْ أَبْيَاتِ أَبِي نُوَاسٍ مِنْ قَصِيدَةٍ قَالَهَا بِحَقّ الْأَمِينِ مُحَمَّدٍ :

يَا خيرَ مَن كانَ وَمَن يكونُ إِلَّا النبـــيُّ الطاهـــرُ الميمونُ

فَرَفَعَ الْمُسْتَثْنَى الْوَاجِبَ النَّصْبِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ .

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ لاَبُدَّ مِنْ تَعَلُّمِ أُصُولِ النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ قَبْلَ الْمُبَاشَرَةِ

بِكِتَابَةِ الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ تَجَنُّباً لِلَّحْنِ. وَالمَقْصُودُ أَنْ تَعْرِفَ مَوَاضِعَ الْكَلِمَاتِ، مِنْ فَاعِلٍ وَمَفْعُولٍ وَمُبْتَدَأ وَخَبَر وغيرها، وَتُمَيِّزَهُ بِالْحَرَكَة الْمُنَاسِبَةِ لَهُ حَتَّى لَا يَقَعَ اللَّبْسُ فِي المَعْنَى. نَعَم، المَعْنَى لَا يَخْتَلُّ إِذَا قُلْنَا: امْشِي؟ دُونَ حَذْفِ حَرْفِ الْعِلَّةِ الْيَاء، فَالمَعْنَى المَفْهُومُ مِنْهَا لَا يَخْتَلِفُ عَمَّا إِذَا قُلْنَا: إمشِ ؟ بِحَذْفِ حَرْفِ الْعِلَّةِ. لَكِنَّ هَذَا غَيْرُ مُطَّرِدٍ فِي الْجُمَلِ الْأُخْرَى الَّتِي يَلْتَبِسُ فِيهَا المَعْنَى كَقَوْلِه تعالى((إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)). فَقَدْ تَأَخَّرَ الْفَاعِلُ "العلماءُ"، وَلَوْلَا الْحَرَكَةُ الصَّحِيحَةُ وَهِيَ الضَّمَّةُ، لَوَقَع الْكُفْرُ فِي المَعْنَى .

وَمِثَالٌ آخَرُ: نقولُ: ((ضربَ زَيْد عمرو))، مَنْ الضَّارِبُ وَمَن المَضْرُوبُ بِرَأْيِك؟

لَابُدَّ مِنْ تَحْرِيكِ أَحَدِهِمَا بِالْفَتْحَةِ وَالْآخَرَ بِالضَّمَّةِ حَتَّى نَفْهَمَ مَنْ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ فِعْلُ الضَّرْبِ حَتَّى يَكُونَ مَفْعُولًا بِهِ، وَالَّذِي قَامَ بِالضَّرْب وَهُوَ الْفَاعِلُ .

وَمِنْ طَرِيفِ مَا يُرْوَى فِي هذا الكتابِ، أَنَّ أَبَا الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيّ دَخَلَ عَلَى ابنةٍ لَه بِالْبَصْرَة، فَقَالَت له((يَا أَبَتِ، مَا أشدُّ الحرّ)) بِالضَّمّ. فَظَنَّهَا مستفهمةً، فَقَال: شهرُ ناجِر. وناجرُ هُوَ رَجَبٌ أَوْ صَفَرُ أَوْ هُوَ كُلُّ شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ الصَّيْف. فَقَالَت : ((يا أَبَت، إِنَّمَا أخبرتُكَ، وَلَمْ أسألْكَ)). فَأَتَى عليَّ بْنَ أَبِي طالبٍ (ع) فَقَال ((يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ذَهَبَتْ لغةُ العربِ، وَيُوشِكُ أَنْ تَطَاوَلَ عَلَيْهَا زَمَانٌ أَنْ تضمَحِلَّ)). فَقَالَ لَهُ : وَمَا ذَاكَ؟ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ ابْنَتِهِ. فَقَال: هَلُمَّ صَحِيفَةٌ، ثُمَّ أَمْلَى عَلَيْهِ ((الْكَلَامُ لَا

يَخْرُجُ عَنْ اسْمٍ وَفِعْلٍ وَحَرْفٍ جَاء لمعنى)).

وَهَذَا أَبُو تَمَّامٍ الشَّاعِرِ المَعْرُوف يَقُول :

بالقائمِ الثّامِنِ المُستَخلَفِ اطّأَدَتْ قَواعدُ المُلـكِ ممتَدّاً لَهَـا الطِّوَلُ

والصوابُ((اتطدتْ)) لِأَنَّهُ مِنْ ((وطدَ يطِدُ)) كَمَا يُقَالُ وعَدَ يعِدُ ، فَإِذَا بُنيَ افتعلَ قِيل ((اتطدَ)) وَلَا يُقَالُ ((اطأدَ)).

يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ هَذَا: ((عَلَى أَنِّي لَمْ أَجِدْ أحداً مِنَ الشُّعَرَاءِ المُفلِقِينَ سَلِمَ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ لَحَنَ لَحْنًا يَدُلُّ عَلَى جَهلِهِ مَوَاقِعَ الْإِعْرَاب، وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ أَخْطَأَ فِي تَصْرِيفِ الْكَلِمَةِ. وَلَا أَعْنِي بالشعراءِ مَنْ هُوَ قَرِيبُ عَهْدٍ بِزَمَانِنَا، بَل أَعْنِي بالشعراءِ مَنْ تَقَدَّمَ زَمَانُهُ، كالمتنبي، وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُ كالبحتري، وَمَنْ تَقَدَّمَهُ كَأَبِي تَمّام، وَمَنْ سَبَقَهُ كَأَبِي نُوَاسٍ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ تعالى)).

وختاماً أقولُ: قَبْل أَلْفِ عَامٍ يَحْصلُ هَذَا اللَّحْنُ وَالْخَطَأُ فِي النَّحْوِ، فَلَيْس غَرِيبًا عَلَى شعرائنا، وَلَا مَنْقَصَةً تَلْحَقُ بِهِم لَو أخطأوا ضِمنَ حُدُودٍ مَعْقُولَةٍ. وَلَا يَجِبُ عَلَيْنَا التَّشْهِيرُ بِهِم وَنَشْرُ أخطائهم عَلَى الصَّفَحاتِ أَوْ أَن نَتَحَدَّثَ بِالثَّلْبِ عَنْهُمْ فِي مَجَالِسِنَا الأَدَبِيَّةِ لَوْ لَمْ يَكُونُوا أَقاموا عَلَى أخطائهم بِالطَّبْع. كُلُّنَا نَتَعَلَّمُ وَنَبْقَى هكذا حَتَّى أَوَاخِر أَيَّامِ حَيَاتِنَا نَتَعَلَّمُ ونستفهم مِنْ كُلِّ مَا تَقَعُ عَلَيْهِ أَيْدِينَا مِنْ مَعْلُومَاتٍ نَحْوِيَّةٍ وصَرفيةٍ، وَلَوْلَا آفَةُ النِّسْيَانِ، لَكُنَّا أَنْبِيَاءَ الْبَيَان.

اللطيفة الخمسون

" مَن لم يمُتْ بالسَّيف"

مِن مِنّا لَمْ يَسْمَعْ بِهَذَا الْبَيْتِ الشِّعْرِيّ الخَالِد :

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ، مَاتَ بِغَيْرِهِ

تَعَدَّدَتِ الأَسْبابُ والمَوْتُ واحِدُ

فَمَنْ يَا تُرَى قَائِلَ هَذَا الْبَيْتِ ؟

الجَوَاب : قائلُ هَذَا الْبَيْتِ هُوَ الشَّاعِر ابْن نُبَاتَة السَّعْدِيّ وهُوَ أَبُو نَصْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ بْنُ نُبَاتَةَ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ نُبَاتَةَ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنُ مَطَرٍ السّعْدِيّ التّمِيمِيّ، (من بَنِي سَعْدِ مِنْ قَبِيلَةِ بَنِي تميم). وُلِدَ فِي بَغْدَادَ عَام ٣٢٧هـ/ ٩٤١م، وَبِهَا نَشَأ، وَدَرَسَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى أَيْدِي عُلَمَاءِ بَغْدَادَ فِي عَصْرِهِ حَتَّى نَبَغَ، وَكَان شاعراً محسناً مجيداً بارعاً جَمَعَ بَيْنَ السَّبْكِ وُجودَةِ الْمَعْنَى، قَالَ عَنْهُ أَبُو حَيَّانَ: « "شاعر الْوَقْت حَسَنُ الْحَذْوِ عَلَى مِثَالِ سُكَّانِ الْبَادِيَةِ، لَطِيفُ الِالْتِمَامِ بِهِم، خَفِيِّ المغاصِ فِي وَادِيَهُم، هَذَا مَعَ شُعْبَةٍ مِنَ الْجُنُونِ وَطَائِفٍ مِنَ الوَسْوَاسِ" ». وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ خِلِّكَانَ : « "معظمُ شِعْرِهِ جَيِّد، تُوُفِّي ببغداد" ». لَه (ديوان شعر) وَأَكْثَرُه فِي مُخْتَارَاتِ البارودي ويحتوي عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ٢٩٧ قَصِيدَة . وَقَالَ عَنْهُ الثَّعَالِبِيّ: « "من فُحُولِ الشِّعْرِ، وَآحَادِهِم، وَصُدُورِ مُجيدِيهم، وَأَفْرَادِ الَّذِينَ أَخَذُوا بِرِقَابِ الْقَوَافِي، وَمَلَكُوا

رِقَّ المَعَانِي، وَشِعْرُهُ مِنْ قُرْبِ لَفْظِهِ، بَعِيدُ المُرَامِ، مُسْتَمِرُّ النِّظَام، يَشْتَمِلُ عَلَى غُرَرٍ مِنْ حَرِّ الْكَلَامِ، كَقِطَعِ الرَّوْضِ غبّ الْقَطْر، وَفَقْرٍ كالغنى بَعْد الْفَقْر، وَبَدَائِعُ أَحْسَنُ مِنْ مَطَالِعِ الْأَنْوَارِ وَعَهْد الشَّبَاب، وأرقِّ مِن نَسِيم الْأَسْحَار، وَشَكْوَى الأحباب" ». تُوُفِيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ابْنُ نُبَاتَةَ السَّعْدِيّ صَبَاحَ يَوْمِ الْأَحَدِ ثَالِثِ أَيَّامِ عِيدِ الْفِطْرِ عَام ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م، وَدُفِنَ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي مَقْبَرَةِ الْخُيْزُرَانِ بِبَغْدَادَ، وَرَثَاهُ الشُّعَرَاءُ وَالْأُدَبَاءُ وَمِنْهُم مهيار الدَّيْلَمِيّ بِقَصِيدَةٍ بَاكِيَةٍ مَطْلَعُهَا :

حَمَلُوكَ لَوْ عَلِمُوا مَنِ المَحمُولُ لارتَاضَ مُعْتَاضٌ وَخَفَّ ثَقيلُ

ومن قصائده يقول في احداها:

نادَى المُنادي بالرّحيلِ فخِلْتُهُ
بينَ الجوانحِ بالرحيلِ يُنادي
واستبطنوا الوادي وماذا ضرَّهُمْ
ألاّ يجودَ الغيثُ بطنَ الوادي
دَعهم وقلبي ما أريدُ رُجوعَهُ
أبَداً فقلبي كانَ أصلَ فَسادي
لو يَعلمونَ صلاحَ حالي عندهُم
ما فَرَّقُوا بيني وبينَ فُؤادي

وقال :

أنسيةٌ في مثالِ الجنِ تَحْسَبُهَا
شَمساً بدتْ بين تَشريقٍ وتَغميمِ
شَقَّتْ لها الشمسُ ثوباً من محاسنِها
فالوجهُ للشمسِ والعينانِ للريمِ

وقال:

وأَدهمَ يَستَمِدُّ اللّيلُ منهُ وتَطلُعُ بينَ عَينَيهِ الثُّرَيَّا
سَرَى خَلفَ الصَّباحِ يَطيرُ ويَطوي خَلفَهُ الافلاكَ طَيَّا
فَلَمّا خَافَ وَشْكَ الفَوْتِ مِنهُ تَشَبَّثَ بالقَوائِمِ والمُحَيَّا

وله أيضا:

أَسيرُ الخَطايا عندَ بابِكَ واقفٌ على وَجَلٍ ممّا بهِ أَنتَ عَارِفُ
يخافُ ذُنوباً لم يَغِبْ عنكَ غيبُها ويرجُوكَ فيها فهْوَ راجٍ وخَائفُ
ومَن ذا الذي يُرجَى سِواكَ وما لَكَ مِن فَضلِ القَضَاءِ مُخالِفُ
فيا سيدي لا تُخزِني في صَحيفَتي إذا نُشِرَتْ يومَ الحِسَابِ الصحائفُ
وكن مُؤنسي في ظلمةِ القبرِ يصدُّ ذوو وُدي ويجفو الموالفُ

اللطيفة الحادية والخمسون

"الطبيب وعزرائيل"

كُنتُ في زِيَارَةٍ طِبِّيَّةٍ بغرضِ علاجِ أَحَدِ المَرْضَى فِي بَيْتِهِ، و هُوَ السَّيِّدُ زَيْدُ ابْنُ زَيْدٍ المَحطوَريّ، الزَّيْدِيّ، مِنَ الطائفَةِ الشيعيَّةِ الزَّيْدِيَّةِ فِي الْيَمَنِ، وَكَانَ مُصَابًا بِحُمَّى شَدِيدَةٍ، ذَهَبَتْ بِهِ إِلَى حَدِّ الْهَذَيَانِ، وَفُقْدَانِ الْوَعْي تَقْرِيبًا. وَبَعْدَمَا دَخَلتُ، وحالمَا وَضَعْتُ أَصَابِعِي عَلَى نَبْضِهِ، سَأَلَتنِي زَوْجَتُهُ الْعَجُوزُ: يَا دُكْتُور، هَلْ هَذَا هُوَ مَرَضُ عِزْرائِيل؟

أجبتُها: وَاللهِ، يَا حَاجَّة، فِي الْيَمَنِ لَمْ أَعْقِدْ لِحَدٍّ الآنَ عقداً مَع عِزْرائِيلَ، فَأَرْجُو المَعْذِرَةَ.

ضَحِكَ الْجَمِيعُ بِرَغمِ المَأسَاةِ الَّتِي كَانُوا يَشْعُرُونَ بِهَا وَالْحُزنِ عَلَى مَرِيضِهِم وَاعْتِقَادِهِم باقترابِ مَوْعِدِهِ. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي قَام المَرِيضُ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يَسْقُطَ فِي شُبَّاكِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ، فَحَدَّثُوهُ بِالْخَبَرِ، ضَحِكَ، وَجَاءَ بمساعدَةِ بعضِ أهلِهِ، لزيارتي شَاكِرًا لِي وراويا لِلْخَبَرِ. تُوفِّي السَّيِّدُ زَيْدُ ابْنُ زَيْدٍ المحطوري، وَهُوَ مِنْ قُضَاةِ الشِّيعَةِ الزَّيْدِيَّةِ حسبَ ما أخبروني، يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ٤/ ٧/ ٢٠٠١م وَدُفِن أَمَامَ بَيْتِهِ فِي بُقْعَةٍ تُمَثِّلُ مَقْبَرَةَ هَذِهِ الْمَنْطَقَةِ (حَجَر بَنِي أسد) فِي مُحَافَظَةِ حَجَّة الْيَمَنِيَّة، رَحِمَهُ اللهُ تعالى. وَلِلْعِلْمِ أَنَّ السَّيِّدَ هُوَ وَالِدُ الشَّيْخِ الْمُرْتَضَى بْنُ زَيْدٍ المحطوري الذي هو مِن أَبْرَزِ عُلَمَاءِ الزَّيْدِيَّةِ فِي الْيَمَنِ ورَئِيسُ مَرْكَز بَدْر الْعِلْمِيّ و الثَّقَافِيِّ فِي جَامِعِ بَدْرٍ الَّذِي

يَقَعُ فِي صَنْعَاءَ، والذي زرتهُ عام ٢٠٠١م حينما كنتُ أعملُ في اليمنِ طبيباً، بعدَ أنْ ضاقتِ الدنيا على أهل العراقِ بعد غزو صدام حسين للكويت عام ١٩٩٠م وفرض الحصارِ الاقتصاديّ بعدها والذي استمر ١٣ سنة. كان الشيخ مرتضى نَائِب رَئِيس المَجْلِس الْأَعْلَى لِلتَّقْرِيب بَيْنَ المَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّة. عُضْو الِاتِّحَادِ الْعَالَمِيّ لِعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ. تُوُفِّي الْمُرْتَضَى المحطوري إثرَ إصَابَتِهِ فِي تَفْجِيرٍ اِنْتِحارِيّ وَهُو يُلْقِي خُطْبَةَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فِي مَسْجِدِ بَدْرٍ بِصَنْعَاءَ فِي ٢٠ مَارَس ٢٠١٥.

اللطيفة الثانية والخمسون

"شَجرةُ القاتِ وآدم"

بِمُناسَبَةِ شَجَرَةِ القاتِ المَعْرُوفَةِ فِي الْيَمَنِ، وَحِينَمَا كُنْتُ أَعْمَلُ طَبِيبًا هُنَاكَ عَام ٢٠٠١ م، سَمِعْتُ أَحَدَهُم يَتَكَلَّمُ مَعَ زَمِيلِهِ وَهُو بِعُمْرِ الْمُرَاهَقَةِ أَيْ حَوَالَيْ سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا، وَاسْمُهُ حُسَيْن أَحْمَد مُحْسِن الْأَسَدِيّ، وَالَّذِي كُنْتُ أَمْزَحُ مَعَهُ كَثِيرًا إِلَى الْحَدِّ الَّذِي رُبَّمَا إِنَّنِي أُزْعِجُهُ بِمَزحِي فِي بَعْضِ الْأَيَّام، لَكِنَّهُ لَا يُبَالِي. كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعَ زَمِيلِهِ، فَقَالَ لَهُ : أَتَدْرِي مَا اسْمُ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَخْرَجَتْ أَبَانَا آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ ؟

فَرَدَّ عَلَيْهِ زَمِيلُهُ: لَا وَاللهِ لَا أَدْرِي .

فَقَالَ لَهُ حُسَيْنُ وَبِكُلّ بَرَاءَةٍ وَهُدُوءٍ: إنها شَجَرَة القاتِ الْمَلْعُونَة ! !

حِينَمَا سَمِعْت ذَلِكَ مِنْهُ ضَحِكْتُ كَثِيرًا، وَقُلْت لَهُ : حَيَّاكَ اللهُ عَلَى هَذَا التَّصْرِيح الْخَطِير وَسَوْف تخرجُكُم أَنْتُمْ أَيْضًا مِنْ الْجَنَّةِ كَمَا أَخْرَجَتْ أَبَاكُم وَأُمَّكُم مِنْ قبل ! ! .

وَالْقَات : شُجَيرةٌ يَبْلُغُ ارْتِفَاعُهَا حَوَالَي مِتْر وَنِصْف إِلَى ٣ أَمْتَار، دَائِمَةُ الْخُضرةِ، بطيئةُ النموّ. تُزرَعُ فِي الْيَمَنِ واثيوبيا والصومال وَبَعْضِ الْبُلْدَانِ الْأُخْرَى. نشرَت عَدَدٌ مِن المجلات الْعِلْمِيَّةِ أَنَّهُ اسْتُخْدمَ مِن الْمِصْرِيِّينَ الْقُدَمَاءِ كوسيلةٍ لِإِطْلَاقِ خيالاتِهم الْإِلَهِيَّةِ، وَتَصْفِيَةِ أَذْهَانِهِم لِلتَّأَمُّلِ. إِلَّا أَنَّ عَادَةَ مَضْغِهِ مَشْهُورَةٌ فِي الْيَمَنِ. وَكَتَبَ عَدَدٌ مِنَ الرَّحَّالَةِ بِشَأْنِهِ مِثْل رِيتْشارْد فرانْسِيس برتون وكارستن

نيبور. ذَكَرَ نيبور أَنَّ عَادَةَ المَضْغ كَانَت مُنْتَشِرَةً فِي المَنَاطِقِ الشَّمَالِيَّةِ لِلْيَمَنِ عَام ١٧٦٢. أَمَّا حُكُومَةُ عَدَن البِريطَانِيَّة حِينهَا عَام ١٨٤٤ ، فَقَد أَصْدَرَتْ رُخَصاً لِعَدَدٍ مَحْدُودٍ مِنْ التُّجَّارِ يَسْمَحُ لَهُم بِبَيْعِهِ، وَكَانَت أسعارُهُ مُرْتَفِعَةً لِلْغَايَة. عَادَةُ المَضْغِ مُقْتَصِرَةً عَلَى الرِّجَالِ (غَالباً) فِي الْيَمَنِ ومرتَبطَةً بِعَاداتٍ اِجْتِمَاعِيَّة. القاتُ يُشَكِّلُ خَطَراً اِقْتِصَادِيّاً قَاتَلاً. فالقاتُ يُؤَثِّرُ عَلَى سَيْرِ الْأَعْمَالِ فِي الْيَمَنِ، فرغمَ الْبَطَالَةِ الْمُرْتَفِعَةِ بَيْنَ الشَّبَابِ، إِلَّا أَنَّ الموظّفينَ مِنْهُمْ لَا يَقْضُونَ سِوَى بِضْعِ سَاعَاتٍ فِي الصَّبَاحِ لِأَعْمَالِهِم، وفِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ ظهراً تَقْرِيبًا تَتَوَقَّفُ عَجلَةُ الْعَمَلِ فِي الْيَمَنِ، وينحسرُ النَّشَاطُ فِي صَنْعَاءَ إِلَى بداياتِ المَسَاء. أَدْرَجَتْ مُنَظَّمَةُ الصِّحَّةِ العَالَمِيَّةِ القاتَ عَام ١٩٧٣ ضِمنَ قَائِمَةِ المَوَادّ المُخَدِّرَةِ، بَعْدَمَا أَثْبَتَتْ أَبْحَاثُ المُنَظَّمَةِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ سِتَّ سَنَوَاتٍ اِحْتِوَاءَ نَبْتَةِ القاتِ عَلَى مَادَّتَي نوربسيدو فِيدْرِين والكاثين المشابهتينِ فِي تأثيرِهما للأمفيتامينات. وَيُسْتَخْدَمُ القاتُ مِنْ قِبَلِ المزارعينَ وَالْعُمَّالِ لِلْحَدِّ مِنَ التَّعَبِ الجَسَدِيّ أَوْ الجُوعِ، والسائقينَ والطلابِ لِتَحْسِينِ الِاهْتِمَام. يَحْتَوِي القات عَلَى منشطاتٍ ذِهْنِيَّةٍ تَزِيدُ مِنْ حَالةِ النَّشَاطِ تَسْتَمِرّ لِساعَةٍ وَنِصْفٍ أَوْ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ. إذ سرْعَانَ مَا يراودُ الخُمُولُ الجَسَدَ وَيَدْفَعُهُ لِلْمَزِيدِ مِنْ تِلْكَ النَّبْتَة. القاتُ مَسْؤُولٌ عَنِ ارْتِفَاعِ ضَغَطِ الدَّمِ واحتشاءِ عَضلَةِ الْقَلْبِ، وَمَضْغُهُ لَسَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ يُسَبِّبُ نوباتٍ قَلْبِيَّةٍ مُفاجِئَةٍ، وَهِيَ سَبَبٌ رَئِيسِيٌ فِي انْعِدَامِ الشَّهيَّةِ وَالْأَوْرَامِ

الْخُبِيثَةِ فِي الْفَمِ. لَا يَرْتَبِطُ القاتُ بمشاكلَ فِي قُرْحَةِ المَعِدَةِ وَالمَريء وَلَكِنَّهُ عَامِلٌ مُسَاعِدٌ إِذَا ما ترافقَ مَع التَّدْخِين.

جلسة يمنية لتخزين القات

اللطيفة الثالثة والخمسون

"حُسنُ الاعتِذارِ"

فِي مُعْجَمِ الْأُدَبَاءِ قَرَأْتُ هَذِهِ اللَّطِيفَةَ الَّتِي تَقُولُ: كَانَ ابْنُ الْحُضَيريّ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الصَّاحِبِ ابْنِ عَبَّادٍ[٨٥] بِاللَّيَالِي، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ لَيْلَةً، فَنَامَ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ رِيحٌ لَهَا صَوْتٌ فَخَجِلَ، وَانْقَطَعَ عَنِ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ الصَّاحِبُ: أَبلِغُوهُ عَنِّي هَذِهِ الْأَبْيَات:

يَاابْنَ الْحُضَيريّ لَا تَذْهَبْ عَلَى خَجَلٍ
لِحَادِثٍ كَانَ مِثْلَ النّايِ وَالْعُودِ
فَإِنَّهَا الرِّيحُ لَا تَسطيعُ تَحْبِسُهَا
إِذْ لَسْتَ أَنْتَ سُلَيْمَانَ ابْنَ دَاوُدِ

---

[٨٥] أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني، الطالقاني، الاصفهاني، المعروف بالصاحب بن عباد و"كافي الكفاة"، كان من كبار علماء وأدباء الشيعة الإمامية الإثني عشرية، مشاركا في مختلف العلوم كالحكمة والطب والمنطق، وكان محدثاً ثقة، شاعراً مبدعا، وأحد أعيان العصر البويهي. كان وزيراً، ومن نوادر الوزراء الذين غلب عليهم العلم والأدب. ولد باصطخر، وقيل بالطالقان في السادس عشر من ذي القعدة سنة ٣٢٦ هـ، وقيل سنة ٣٢٤ هـ، وكان أصله من شيراز، وقيل من الري، وقيل من أصفهان. استكتبه ابن العميد، ثم استوزره الملك مؤيد الدولة بن بويه البويهي، ثم فخر الدولة شاهنشاه البويهي. تصدر للوزارة بعد ابن العميد سنة ٣٦٧ هـ.

اللطيفة الرابعة والخمسون

"معنى هَدَرَ في أبياتٍ شِعريّة"

قَالَ لَهُ : يَا حَضْرَةَ الأُسْتاذِ، مَا مَعْنَى (هَدَرَتْ) فِي البَيْتِ التَّالِي: (مَجْزُوءُ الوَافِرِ):

إذَا هَـدَرَتْ عـلى سـاقِ تُلَفُّ السّاقُ بالسّاقِ
كـأنَّ الـوُرْقَ مزمـارٌ يُنـاديني بأشـواقي
حَمَـامُ الأَيْـكِ أشـجَاني وَصُفرٌ تلكَ أوراقي

فَقَالَ : أَراكَ تَسْتَمْتِعُ بِصَوْتِ الحَمامَةِ عَلَى أَيْكَتِها، وَكَأَنَّهَا مِزْمارٌ، يَسْجَعُ بِبَثِّ الشَّوْقِ فِي روحِكَ، فَيُشْجِيكَ هَذَا الهَدْرُ. وَهَدَرَتْ فِي البَيْتِ الأَوَّلِ تَأْتِي بِمَعْنَى: قَرقَرَ، أَيْ كَرَّرَ صَوْتَهُ فِي حَنْجَرَتِهِ، وتأتي بمعنى: هَدَلَ الحمامُ. هَدَرَ الْبَعِيرُ، أو الأسدُ، هدَرَ يَهدِر ، هَدِيرًا وهَدْرًا وهُدُوراً ، فهو هادرٌ.

قال له: وما معناها في البيت التالي:

هَدَرتُ العُمرَ في صِغَري فشابَ الخَمرُ والسّاقي
حَملـــتُ الآهَ أعوَامًـــا ومـلَّ الـدَّمعُ أحـداقي
تُواســيني عَــلى هَمِّــي وَهَمِّـــي لازِمٌ بـــاقِ

فَقَالَ : تَأْتِي هَدَرْتُ فِي البَيْتِ الرّابِعِ بِمَعْنَى أَبْطَلْتُ العُمْرَ. وَمِثْلُها: هَدْرُ الدَّمِ وَغَيْرِه: بطَل. ونقول: ذهَبَ دَمُهُ هَدْرًا أو ذهَبَ دَمُهُ هَدَرًا: بَطُلَ، بدون أن يُقْتَصَّ من قاتِلِه. فكأنك أهدرتَ عمركَ فأبطلتهُ، وذهبَ بلا نفعٍ ولا فائدةٍ، فضاعَ. هدَرَ الأموالَ: أضاعَهَا، فقَدها.

قال: وما معناها هنا:

فـذا هَـدَرٌ يعـاتبني ... وَيـدفعُ بي لإحْرَاقـي
كـلامُ العَـذلِ أرَّقَنـي ... يُزاحِمُنـي بآفـاقي
دَعُـوني دَمعَتي حَيْرَى ... سَـلُوا جَفْنـي وآمَـاقي

قَالَ الأُسْتاذُ: هَا قَدْ انْتَقَلتَ إلى النّاسِ مِنْ حَوْلِكَ، فَاسْتَعْمَلْتَ كَلِمَةَ " هَدَرَ " بِتَحْرِيكِ الدّالِ بِالْفَتْحِ، الهَدَرُ :الأَسقاطُ مِنَ النّاسِ لَا خَيْرَ فِيهم. وَإِذَا كَانُوا لَا خَيْرَ فِيهم فَلِمَ تَأْخُذُ كَلامَهُمْ بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ؟

قال: وما معناها في هذا البيت:

هَـديرُ القلـبِ مِـن عَتَـبٍ ... يُنـازعُني بـأعماقي
مـآسي الحُـبِّ تُغرقُنـا، ... فهـل تَسـعَى لإغراقـي؟
كَفانـا نأمَـلُ الـذِّكرى ... ومـا أمَـلٌ لإعتـاقي

قَالَ الأُسْتاذُ: اَلهَديرُ فِي البَيْتِ العاشِرِ تَأْتِي بِمَعْنَى انْتَفَخَ أَوِ اضْطَرَبَ، وَكَأَنَّهُ رَعْدٌ هادِرٌ. نَقولُ : هَدَرَ الرَّعْدُ: أَيْ أَرْعَدَ، أَيْ أَخْرَجَ صَوْتًا مُدَوِّيًا. وَقَدْ اسْتَعَرْتَ هَذَا المَعْنَى فِي هَذَا البَيْتِ لِلْقَلْبِ، وَحَقُّهُ أَنْ يَكونَ هادِرًا لِأَنَّهُ يُعَانِي مِنْ قَسْوَةِ الحَبيبِ، والْبُعْدِ.

قال: وما معناه في هذا البيت يا أستاذ:

كَطِفــلٍ راغَ فِي هَــدَرٍ ... بإعيـــاءٍ وإرهـــاقِ
فَعُــدنا دونَ تَحصــيلٍ ... بمَخسَـــرَةٍ وإخفــاقِ
طَمَحنَــا بعــدَ مَنآنــا ... نُمَنِّـي الـنفسَ بالبـاقي

قال الأستاذُ: أمّا معناها هُنا فمأخوذٌ مِن: هَدَرَ الصَّبِيُّ: أَرَاغَ الْكَلاَمَ وَهُوَ صَغِيرٌ. ومعنى أراغَ: أي راوَدَهُ وطلبَهُ منه، وكأنه يُخادعُهُ حتى يصلَ إلى مَطلوبِهِ.

قال: وما معنى(هادرةً) في هذا البيت يا أستاذ:

تُحــالُ الأرضُ هَــادِرَةً ... بفَــيضِ المــاءِ دفّــاقِ
فيُغني العِشبُ صحراءً ... بـذي غَـدَقٍ ورَقـراقِ
تُنــازِعُني لــكَ العُتبَـى ... وفيـكَ تلـوذُ أرمـاقي

قال الأستاذُ: أمّا هادرةٌ فمعناها الأرضُ الخِصبةُ، تقول: أَرْضٌ هَادِرَةٌ :

خِصْبَةٌ، أَيْ مَلِيئَةٌ بِالنَّبَاتَاتِ. وبفضل الماء تحالُ الأرضُ المقفرةُ، والصحراءُ الى أرضٍ خِصبةٍ، بذي غَدَقٍ: أي المطرُ الذي يُغرِقُ الأرضَ لكَثرتهِ، والأرماقُ جمعُ رَمَقٍ أي البقية ومنها بقية الروح وهي المشار اليها في البيت الأخير.

اللطيفة الخامسة والخمسون

" حسنُ التخلُّصِ "

يُعرفُ (حُسنُ التَّخَلُّصِ) عِنْدَ البَلاغيّينَ والنقادِ: بِأَنَّهُ انْتِقَالُ الشَّاعِرِ أَوِ الناثرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، أَوْ مِنْ غَرَضٍ إِلَى آخَرَ. ويشترطونَ فِيهِ التَّرابُطَ الْوَثِيقَ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ الْمُتَلَقِّي بِانْقِطَاعٍ فِي المَعْنَى؛ لِهَذَا ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ (٦٣٧هـ) فِي كِتَابِهِ (المَثَلُ السّائِرُ) أَنَّ التَّخَلُّصَ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ فِي الْكَلَامِ عِنْدَما يَكونُ بَعْضُهُ آخذًا بِرِقَابِ بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقَطِعَ، ثُمّ يُستأنفُ كَأَنَّمَا أُفرِغَ إفراغاً.

وعموماً فَإِنَّ حَسُنَ التَّخَلُّصِ وَسِيلَةٌ فَنِيَّةٌ يَسْتَعِينُ بِهَا الْأَدِيبُ؛ لِيُشْعِرَ الْمُتَلَقِّي بِالِانْتِقَالِ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى دُونَ أَنْ يَفْقِدَ الْمُتَلَقِّي ذَلِكَ الْخَيْطَ النَّاظِمَ لِهَذِهِ الْأَفْكَارِ. عَلَى أَنَّ (حَسُنَ التَّخَلُّصِ) لَيْس باباً بَلاغيّاً، أَو شَكلاً فنيّاً فَحَسْبُ، بَلْ هُوَ مِنْ أَسَالِيبِ الْجَمَالِ وَطُرُقِ التَّعَامُلِ مَعَ الأزَمَاتِ وَالمَوَاقِفِ وَالحُظُوظِ فِي هَذِهِ الحَيَاة. فَالَّذِي يَتَعَرَّضُ إِلَى مَوْقِفٍ صَعبٍ فِي حَيَاتِهِ الْعَمَلِيَّةِ أَوِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، لَا بُدَّ أَنْ يُحْسِنَ التَّخَلُّصَ مِنْ وَرْطَتِهِ بِالِانْتِقَالِ إِلَى حَالٍ أَفْضَلَ بِطَرِيقَةٍ تُرْضِي طُمُوحَهُ نَوْعًا مَا، وَلَا تَبْدُو لِلْمُقَابِلِ أَوِ المُرَاقِبِ أَنَّهَا كَبْوَةٌ تَأَثَّرَ بِهَا، أَوْ ذَلَّ لَهَا. وَحُسْنُ التَّخَلُّصِ مَحَطَّةٌ إبداعيّةٌ لَو سَمَحَ لَنَا المَعْنَى أَنْ نَدْعُوَهُ بِهَا، وفاصلةٌ بَلاَغِيَّةٌ، تَنْتَقِلُ بِالمَعْنَى إِلَى المُرَادِ و المَطْلُوبِ بِسَلاسَةٍ مُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ، وَهُنَا يَتَنَافَسُ الشُّعَرَاءُ والناثرونَ لِأَجْلِ الْإِبْدَاعِ فِي هَذِهِ المحطة.

نُورِدُ بَعْضَ النَّمَاذِجِ مَعَ التَّوْضِيحِ وَالشَّرْحِ لِبَعْضِهَا حَتَّى نَصِلَ بِالْقَارِئ إِلَى مَا نصبو إِلَيْهِ. فَمِنْ أَبْيَاتٍ لِلشَّاعِرِ الْبُحْتُرِيّ يَقُول :

قَـدْ قُلـتُ للغَـيمِ الرُّكَـامِ، وَلَـجّ في إبْرَاقِـــهِ، وألَـــحّ في إرْعَـــادِهِ
لا تَعْرِضَـــنّ لِجَعْفَـــرٍ، مُتَشَـــبّهاً بَنَـدَى يَدَيـهِ، فَلسـتَ مِـنْ أنْـدَادِهِ
الله شَرّفَـــهُ، وأعـــلَى ذِكْـــرَهُ، وَرَآهُ غيـــث عِبَـــادِهِ، وَبِـــلادِهِ
مَلِـكٌ حَكَـى الخُلَفَـاءَ مِـن آبَائِـهِ، وَتَقَيّـلَ العُظَـمَاءَ مِـنْ أجْـدَادِهِ

والملاحَظُ أَنَّ الشَّاعِرَ بَدَأ بِوَصْفِ الْغَيْمِ الْمُتَرَاكِمِ وَإِرْعَادِهِ وَبَرْقِهِ وَشِدَّةِ تَراكُمِهِ فِي سَمَائِه، ثُمَّ انْتَقَلَ بسَلاسَةٍ إِلَى مَدْحِ جَعْفَرٍ، وَرَادًّا الْغَيْمَ، وَنَاهِيًا لَهُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِجَعْفَرٍ هَذَا وَلَا بِنَدَاهُ أي كرَمِهِ، لِأَنَّهُ (أي الغيمَ) لَيْسَ مِنْ أندَادِهِ وَلَا يُقَاسُ بِهِ، بِمَا وَهَبَهُ اللهُ مِنَ الشَّرَفِ وسُمُوِّ الذِّكرِ، فَهُوَ قَدْ حَاكَى، أَي شَابَهَ بِإبَاءِهِ الخُلَفَاءَ، وَحَذَا حَذْوَهُمْ، فَهُم الْعُظَمَاءُ عَلَى حَدِّ تَقْدِيرِ وَقَوْلِ الْبُحْتُرِيّ.

وكقولِهِ في مناسبةٍ أخرى:

أَقُولُ لثَجَّاجِ الغَمَامِ وَقد سَرَى بِمُحْتَفِلِ الشُّؤبُوبِ صَابَ فأفْعَمَا
أقِلَّ وأكْثِرْ لَسْتَ تَبلُغ غَايةً تَبِينُ بهَا حَتَّى تُضَارِعَ هَيْثَمَا
فَتى لَبِسَتْ مِنْهُ اللَّيالي مَحَاسِناً أضَاءَ لَهَا الأُفْقُ الَّذِي كَانَ مُظْلِماً

فقدِ انتقلَ من الغمامِ إلى مدحِ هيثمَ ، فأحسنَ التخلُّصَ.

وقال المتنبي :

خَليلَيَّ إِنّي لا أَرى غَيرَ شاعِرٍ
فَلِم مِنهُمُ الدَعوى وَمِنّي القَصائِدُ
فَلا تَعجَبا إِنَّ السُيوفَ كَثيرَةٌ
وَلَكِنَّ سَيفَ الدَولَةِ اليَومَ واحِدٌ
لَهُ مِن كَريمِ الطَبعِ في الحَربِ مُنتَضٍ
وَمِن عادَةِ الإِحسانِ وَالصَفحِ غامِدُ

فقد انتقلَ من وصف الشعراء وذكرهم بأنهم يدعون الشعرَ، لكن القصائد لا يكتبها إلا هو، وينتقلُ بعدها إلى مدح سيف الدولة بتخلصٍ لم يتوقعهُ السامعُ إلا من حيث المكانُ والمناسبة، وحضور الشاعر بين يدي الأمير. وهناكَ أمثلةٌ لا حصرَ لها، لا نريدُ التفصيلَ فيها وإلا ضاقت النفوسُ بنا.

اللطيفة السادسة والخمسون

"إياك أعني واسمعي يا جارة"

رَوَى أهلُ الْأَخْبَارِ : أَنَّ سهلَ بْنَ مَالِكٍ الفَزاريَّ خَرَجَ يُرِيدُ النعمانَ بْنَ الْمُنْذِرِ، فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِبَعْضِ أَحْيَاءِ طَيِّءٍ، فَقَصَدَ سيِّدَهَا الحارثةَ بْنَ لَأمٍ، فَلَمْ يجِدْهُ فِي رَحْلِهِ، واستقبلَتْهُ أختُهُ بالبِشْرِ والتَّرحابِ، وَأَكْرَمَتْهُ ولاطَفَتهُ، وَكَانَت أجملَ نِسَاءِ زَمَانِهَا، وسيدةً فِي قَوْمِهَا. فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ، وَلَم يَدرِ كَيْف يُخبرُها بِمَا فِي صَدْرِهِ! فَجَلَسَ بفِناءِ خِبَائِها يومًا وَهِيَ تَسْمَعُ كَلَامَهُ، وتَوَجَّهَ إِلَى فَتَاةٍ أُخْرَى فَقَالَ: .

يـا أختَ خـيرِ البَـدْوِ والحَضـارَه
كيـف تـرَينَ في فَتـى فَـزارَه؟
أصـبحَ يهـوى حُـرَّةً مِعطـارَه
إيـاكِ أعنـي واسـمَعي يـا جـارَه

فَلَمَّا سَمِعَتهُ، عَرَفَتْ أَنَّهُ إيَّاها يُعني، فقالت:

إني أقـولُ يـا فَتـى فَـزارَه: لا أبتغي الـزَّوجَ ولا الـدَّعارَه
ولا فِـراقَ أَهـلِ هَـذِي الحَـارَه فارحَـل إلى أهلِـكَ باستِخارَه

فاستحيا الفزاريُّ وقال: ما أردتُ منكرًا، واسوأتاه!

فقالت: صدقتَ، واستَحيَتْ مِنْ تَسرُّعِها إلى تُهمَتِهِ.

وَكَانَ هُوَ شَهمًا نَبيلاً يُرِيدُ الزَّوَاجَ وَالْعَفَافَ، وَقَد تمَّ لَهُ ذَلِكَ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ، إذ خَطَبَهَا مِنْ أَخِيهَا فَقَبِلَتْ، وَرَحَلَت مَعَهُ إِلَى دِيَارِه.

وَصَارَ قَوْلُ الفزاريِّ فِي شِعْرِهِ : (إياكِ أَعْنِي واسمَعي يَا جارَة)مثلاً تَضْرِبُهُ الْعَرَبُ لِمَنْ يتكلَّمُ بِكَلَامٍ وَيُرِيدُ بِهِ شيئًا غَيْرَهُ.

اللطيفة السابعة والخمسون

"ائتلاف اللفظِ معَ المَعنى"

جَاءَ فِي كتابِ (المعجمُ المُفَصَّلُ فِي عِلْمِ الْعَرُوضِ والقافية) للدكتور إميل بَدِيع يَعْقُوب، أَنَّ "ائتلافَ اللَّفْظِ مَعَ المعنى" هُو مُلَائَمَةُ الْأَلْفَاظِ لِلْمَعَانِي، فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ فَخْمَةً، كَانَتِ الْأَلْفَاظُ جَزِلَةً، وَإِنْ كَانَتْ ناعمةً، كَانَتِ الْأَلْفَاظُ رقيقةً، وَهَكَذَا. جَمَعْتُ هَذِهِ فِي بَعْضِ أَبْيَاتٍ مِنْ مجزوءِ الكاملِ، قُلْت فِيهَا:

أكتُـبْ بِكُـلِّ فَخَامَـةٍ ... لَفظـاً جَـزيلاً رائِقـا
فـاللَّفظُ إلْـفٌ واجِـبٌ ... لِلمَعنَـى جـاءَ مُوافِقـا
إن كـانَ مَعنًـى نـاعِماً ... فـاللَّفظُ كـانَ مُطابِقـا
ذاكَ ائـــتِلافٌ بَـــيِّنٌ ... لفظـاً ومَعنـىً سَـامِقا

وهاك مثالاً عن ائتلاف اللفظ مع المعنى: قال أبو نواس من مجزوءِ الرمل:

قُل لِذِي الوَجهِ الطَّرِيرِ ... ولِذي الرّدفِ الوَثيرِ
ولِمِغـــلاقِ هُمُـــومِي ... ولِمِفتـــاحِ سُروري
يـــا قلـــيلاً في التلاقـــي ... وكَثـيراً في الضَّـمِيرِ

وقلتُ من بحر المقتضب:

تَســألينَ عــنْ وَطَنِــي ... تَحلُمــينَ في الوَســنِ

تلــكَ غايَــةٌ بَعُــدَتْ ... لَا يَنالُهــا شَــجَني
يَسْــــتَميلُهُ تَعَــــبٌ ... يَســتَخِفُّ بِــالمِحَنِ
هَمٌّــــهُ يُنَــــازِعُنِي ... زادَ وَهْنُــهُ وَهَنــي
يُمحَــى دُونَــهُ عِظَــمٌ ... زانَ كِــبْرُهُ قُنَنــي
ذاكَ فيــكَ يَــدفعُني ... شــأنَ عَاقِــلٍ فَطِــنِ
تلــكَ عَينــي هَامِلَــةٌ ... دَمعُهَــا بِــلَا سَــكَنِ
نَاضِــحَاتُ مِــنْ مُقَــلٍ ... شَــارِبَاتُ مِــنْ حَــزَنِ
مَــا لِرَوضِــكَ التَهَبَــا ... كــانَ جَنَــةَ العَــدَنِ

اللطيفة الثامنة والخمسون

" وفاء الكلاب في مخيلة الشعراء"

كَثُر الحديثُ عَنْ وَفَاءِ الْكِلَابِ، وَأَنَّهَا رُبَّمَا تَفُوقُ الْإِنْسَانَ فِي شِدَّةِ الْوَفَاءِ. وَصَفَ الشعراءُ هَذِهِ الخِصْلَةَ وَالصِّفَةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي يَتَّصِفُ فِيهَا الْبَشَرُ قَبْلَ الْكِلَابِ، وَكَتَبُوا الْقَصَائِدَ أَو ضَمَّنوهَا أَبْيَاتًا تُشِيرُ إِلَيْهَا، وَتَمْدَحُ فَاعِلَهَا، والمُتَخَلِّقَ بها، بَشَرًا كَانَ أَوْ كلباً. وَهَذَا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ يَشْتَدُّ عَلَى الْبَشَرِ وَيَبْدُو مِنْ خِلَالِ أَبْيَاتِهِ، لَوْ صَحَّتْ نِسْبَتُهَا إِلَيْهِ، أَنَّهُ يُفَضِّلُ الِاسْتِئْنَاسَ بِالْكِلَابِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْبَشَرِ، وَيَعْتَبِرُ أَنَّ هَذِهِ الْكِلَابُ تَهْدِي الْبَشَرَ وتَدُلُّهم، فِي حِينِ أَنَّ بَعْضَ الْبَشَرِ يُورِدُكَ الظَّلَالَةَ وَمَوَاطِنَ الشَّرِّ حَيْثُ يَقُولُ :

لَيــتَ الكِـلابَ لَنـا كانَــت مُجـاوِرَةً
وَلَيتَنــا لا نَــرى مِمّــا نَــرى أَحَــدا
إِنَّ الكِــلابَ لَتَهــدي في مَواطِنِهــا
وَالخَلــقُ لَــيسَ بِهــادٍ شَرُّهُــم أَبَــدا
فَـاهرُبْ بِنَفسِـكَ وَاِستَأنِسْ بِوِحـدَتِها
تَبقــى سَــعيداً إِذا مــا كُنــتَ مُنفَــرِدا

وَمِنْ شِدَّةِ اِعْتِزازِ الْعَرَبِ قَدِيمًا بِالْكَلْبِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ إِحْدَى الْقَبَائِلِ

المَعْرُوفَة بـ (كلب). وَهِيَ مِنَ الْقَبَائِلِ القحطانيةِ المَعْرُوفَةِ، الَّتِي سَكَنَتْ فِي شِبْهِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ. قَالَ الشَّاعِرُ الْمَعْرُوف جَرِير : .

نِزَارٌ إلى كَلْبٍ وكلبٌ إلَيْهِمُ،
أحقُّ وأدنى منْ صداءٍ وحميرا

وهذا ابن الرومي يقول في قصيدة له هجاءً:

وجهك يا عمرو فيه طولُ ... وفي وجوه الكلاب طولُ
فأين منك الحياءُ قل لي ... يا كلبُ والكلب لا يقول
والكلبُ من شأنه التعدّي ... والكلب من شأنه الغلولُ
مُقابح الكلب فيك طراً ... يزولُ عنها ولا تزولُ
وفيه أشياءُ صالحاتٌ ... حماكَها الله والرسولُ
فيه هريرٌ وفيه نبحٌ ... وحظُّهُ الذلُّ والخمولُ
والكلب وافٍ وفيك غدرٌ ... ففيك عن قدْره سُفول
وقد يحامي عن المواشي ... وما تحامي ولا تصول

ومما قاله دعبل الخزاعي:

ونُبِئتُ كلْباً مِن كلاَبٍ يَسُبُّني
ومرُّ كلابٍ يقطعُ الصَّلَواتِ

حَيْثُ يَعْتَبِرُ أَنَّ مُرُورَ الْكَلْبِ أَمَامَ الْمُصَلِّي يَقْطَعُ صَلَاتَهُ اعْتِمَادًا عَلَى حَدِيثٍ

نَبَوِيٍّ يُرْوَى. فالسبُّ وَالشَّتْمُ يُشَبِّهُهُ الشُّعَرَاءُ بنُباحِ الْكَلْبِ، وَهِيَ صِفَةٌ مَذْمُومَةٌ فِيه، لِأَنّ صَوْتَ النُّباحِ يُزْعِجُ السَّمْعَ كَمَا يُزْعِجُهُ السَّبّ.

أما الفرزدق فيقول:

نُجِيرُ على كَلْبٍ فيَمضِي جِوَارُنا
وَيَعْقِدُ مِنْ كَلْبٍ عَلَيْنا مُجِيرُها

ومن أقسى النعوت ما وصف به أبو العلاء المعري أحدهم حيث يقول:

سُبِبْتَ بالكلبِ، فأنكَرْتَهُ،
والكلبُ خيرٌ مِنكَ، إذ يَنبَحُ

وها هو ابن الرومي يفضل الكلاب على الذئاب في الوفاء فيقول:

من كلابٍ نأى بها كلَّ نأيٍ
عن وفاءِ الكلابِ غدرُ الذئابِ

ويعود مرة أخرى فيصفُ الكلاب بأنها تحمل كل نقص وذلة فيقول:

لله كلب مرَّ بي فخسأتُه
والكلبُ معترِفٌ بكلِّ هوانِ

وَهُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْقَصَائِدِ الَّتِي تَحْتَوِي أَبْيَاتًا تَذُمُّ بَعْضَ الْبَشَرِ وتَصِفُهُم بِالْكِلَابِ الَّتِي تَهِرُّ عَلَى الرَّائِحِ والغَادي. وَفِي جَانِبٍ آخَرَ نَجِدُ قَصَائِدَ أُخْرَى تَمْدَحُ

الْكِلَابَ وَالْوَفَاءَ الَّذِي تَتَّصِفُ بِهِ، فتعلو بِهَذِهِ الصِّفَةِ عَلَى الْبَشَر. وهذا ابن عنين[٨٦] يجعلُ طبائعَ الكلابِ تابعةً لطبائعِ البشرِ في أرضٍ يبدو أنهُ يهجو أهلَها فيقول:

بأرضٍ لا الكلابُ بها كلابٌ

ولا الناسُ السَّراةُ هناك ناسُ

رافقَ هذا الحيوانُ البشرَ منذُ القرونِ الأولى حتى ذُكرَ في القرآنِ رفيقًا لأصحابِ الكهفِ، حيث تقولُ الآية ((سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ. وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ)) الكهف(٢٢).

كَانَ الْكَلْبُ أَقْرَبَ حَيَوَانٍ لِلْإِنْسَانِ لِسُرْعَةِ تَعَلُّمِهِ وَفِطْنَتِهِ وَشِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بِصَاحِبِهِ. وَتِلْكَ مِنَ الطَّبَائِعِ الَّتِي أَوْدَعَهَا الْخَالِقُ فِي هَذَا الْحَيَوَانِ الأَلِيفِ. لِهَذَا كُلِّهِ وُصِفَ الْكَلْبُ بِالْوَفَاءِ، لَكِنَّهُم نَسَوا أَنَّهُ لَوْ انْتَقَلَ إِلَى شَخْصٍ آخَرَ لَأَصْبَحَ وَفِيًّا لَهُ بالْمُصاحَبةِ وَطُولِ الْعِشرَةِ، وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ. وَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ يُقَارَنُ بِالْبَشَرِ مِنْ نَاحِيَةِ الْوَفَاءِ، فِي حِين أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةِ تتبلور عِنْدَ الْإِنْسَانِ بِطَرِيقٍ آخَرَ هُوَ مَزِيج مِنْ الْعَقْلِ وَالْبَصِيرَة مِنْ جِهَةِ ، وَالطَّبِيعَة الْحَيَوَانِيَّة الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا مَعَ الْحَيَوَانُ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى . فَلَا وَجْهَ لِلْمُقَارَنَةِ بَيْن حَيَوَانٍ لَا يَعْقِلُ شيئاً وَبَيْنَ أَكْرَمِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى

[٨٦] ابن عنين (٥٤٩ -٦٣٠ هـ / ١١٥٤-١٢٣٢) شاعر في زمن صلاح الدين الأيوبي ولد في دمشق، ومات سنة ثلاثين وستمائة عن إحدى وثمانين سنة.

الْأَرْضِ، إِذْ لَا يَحِقُّ لَنَا أَنْ نُفَضّلَ الشَّجَرَةَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَوْ نُفَاضِلَ بَيْنَهُمَا بِحُجَّةِ أَنَّ الشَّجَرَةَ تُعْطِينَا الثَّمَرَ، وَالْإِنْسَانَ يَقْتُلُ أَخَاهُ الْإِنْسَانَ وَيَقْطَعُ الشَّجَرَ، وَيَسْرِقَ الثَّمَرَ. وَلَا تَجُوزُ المفاضلةُ إِلَّا بَيْنَ أفرادِ النوعِ الْوَاحِدِ، لِأَنَّهُم متماثلون بِالْخِلْقَةِ، كَأَنْ نَقُولُ: زيدٌ أكرمُ مِنْ عَلِيٍّ .

أَمَّا مَا وَرَدَ فِي أَشْعَارِ الشُّعَرَاءِ مِنْ تَفْخِيمٍ لِوَفَاءِ الْكِلَابِ فَلَا مُبَرِّرَ لَهُ إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ هُوَ الامتعاضُ مِنْ بَعْضِ الْبَشَرِ، لِسُوءِ أَخْلَاقِهِم، وَكَثِيرِ أَذَاهُم، وَمُحَاوَلَةِ التَّأْثِيرِ فِيهِم بِمُقارَنتِهِم بِالْكَلْب. كَثِيرًا مَا كَانَتْ تَقَعُ الْخُصُومَاتُ والمشاكلُ، بَلِ الْحُرُوبُ بِسَبَبِ هَذَا الْكَلْبِ الْوَفِيِّ عَلَى زَعْمِهِمْ، وَبِسَبَبِ الْحُبِّ الْمُفْرِطِ لَهُ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ أَفْرَادِ القَبِيلَةِ، فَيُقْتَلَ الْبَشَرُ غَيْرُ الْوَفِيِّ لِأَجْلِ هَذَا الْكَلْبِ الْوَفِيِّ ! !

قُلْت بَعْضَ أَبْيَاتٍ فِي هَذَا المَعْنَى :

طَبِيعَــةُ ذِي الْكِــلَابِ تُثِــيرُ عَقْــلِي
أَلَـيسَ الكَلْـبُ مِـنْ رَهْـطِ الـذِّئَابِ؟
وَفَــاءُ النَّــاسِ يَــنْقُصُ عَــنْ وَفَــاءٍ
لِهَــذَا الكَلْــبِ، ذَا أُسُّ الْخَــرَابِ

يَقُـــولُ النَّـــاسُ إنَّ الكَلْـــبَ أَوْفَى
مِـــنَ البَشَـــرِ القِـــوامِ ذَوِي اللُّبَـــابِ
جَـرَى هَـذَا القِيَـاسُ فَجَـاءَ عَسـفاً
وَهَـذَا الْحُكْـمُ يَعصِـفُ بِالصَّـوَابِ
فَلَـيْسَ الأَمْـرُ فِـيمَنْ كَـانَ يَرْقَـى
بِمَحصُـــولِ الوَفَـــاءِ والانجِـــذَابِ
بَـلِ الأَمْـرُ الحَكِـيمُ جَـرَى قَـدِيمًا
بِمَكنُـــونِ العُقُـــولِ وبالحســـابِ
وَمَـا ذَاكَ الوَفَـا فِي الكَلْـبِ عَقـلٌ
بَـلِ الطَّبْـعُ الخَـزينُ لَـدَى الكِـلابِ
وخُـذْ مثَـلَ الـذُّبَابِ، تَكُـنْ حَكـيماً،
فَحُلْـــوُ الـــدَّبْقِ مُجتَمَـــعُ الـــذُّبَابِ

اللطيفة التاسعة والخمسون

" قول الشعر متأخرا"

النَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ مِنَ الشُّعَرَاءِ المُخَضْرَمِينَ، أَيْ مِنَ الَّذِينَ عَاشُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ. والنَّابغةُ لَقَبُهُ، وَقَد اختُلفَ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أُطلقَ عَلَيْهِ هَذَا اللَّقَبُ؛ فمِن قَائِلٍ: إِنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ قَالَ شعرًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الثَّلَاثِينَ من عمرِهِ، ثُمَّ سَالَ لِسَانُهُ بِهِ فَجْأَةً، فعُدَّ هَذَا مِنْهُ نُبوغًا. وَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّهُ كَانَ يَنْظِمُ الشِّعْرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ أُرْتِجَ عَلَيْهِ هَذَا الْبَابُ، لِيَعُودَ إِلَى النبوغِ فِيهِ فِي الْإِسْلَامِ .

إذن لَيْسَ مِنْ غَرِيبِ الْأُمُورِ أَنْ يَبْرَعَ أَيُّ وَاحِدٍ مِنَّا فِي قَوْلِ الشِّعْرِ بَعْدَ تَقَدُّمِ الْعُمْرِ بِه. يَقُولُ عُلَمَاءُ النَّفْسِ أَنَّ الذَّكَاءَ لَا يَتَغَيَّرُ كَثِيرًا بِمُرُورِ الْوَقْتِ وَتَقَدُّمِ الْعُمْر. وَلَا يَزْدَادُ الذَّكَاءُ عِنْدَ مُتَوَسِّطِي الذَّكَاءِ أَكْثَرَ مِنْ نِقاطٍ عَدِيدَةٍ، لَكِنَّ الْأَذْكِيَاءَ مُنْذ الطُّفُولَةِ لَن يفقِدُوا كَثِيرًا مِنْ قُدُرَاتِهِم وَقَد يُظهِرُونَها فِي أَيِّ عُمرٍ كَانَ .

الْكَثِيرُ مِنَ الشُّعَرَاءِ فِي الْعَالَمِ لَمْ يُعْرَفْ أَنَّهُمْ فِي صِباهُم أَو شَبَابِهِم قَدْ كَتَبُوا الشِّعْرَ، لَكِنَّهُم وَعَلَى حِينِ فَجْأَةٍ مِنَ الزَّمَنِ بَدأوا وَكَأَنَّهُم مِنْ أَعْظَمِ الشُّعَرَاءِ. كَتَبُوا أَرْوَعَ الْقَصَائِدِ، بِأُسْلُوبٍ مِنَ النُّضْجِ البنيويّ، وَاخْتِيَارٍ لِلْكَلِمَاتِ بِشَكْلٍ دَقِيقٍ، وللمعاني كَخَرزِ اللُّؤْلُؤِ، فَجَاءَتْ قصائدُهُم وَكَأَنَّهَا نُظِمَتْ فِي الْعَصْرِ الجَاهِلِيِّ أَوْ عصورِ النَّهْضَةِ الأدَبِيَّة .

قَالَ لِي : هَل أَسْتَطِيعُ كِتَابَةَ أَبْيَاتٍ مِن الشّعْرِ وَقَد تَجَاوَزَ بِي الْعُمْرُ السِّتِّين؟

قلتُ لهُ : وَلِمَ لَا وَأَنْتَ ذُو تَعْبِيرٍ لَفْظِيٍّ وَتوليفٍ مَعْنَوِيّ مُمْتَازٍ، وَكُنْتُ أَقْرَأُ مَا تَكتُبُهُ، فَأَجِدُهُ مِنَ الرصانةِ وَالجَمَالِ وَكَأَنَّهُ الشّعْرُ بِعَيْنِه، وَلَا يَحْتَاجُ مِنْكَ إِلَّا إِلَى نَظْمِهِ حَسَبَ بُحُورِ الخَلِيلِ السِّتَّةَ عَشَرَ. دَرِّبْ نَفسَكَ وَاقْرَأ الْقَصَائِدَ الطِّوَالَ، حَتَّى تَتَعَوَّدَ عَلَى موسيقاها، وَكَأَنَّك تُغنّيها. عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ سَوْف تَنْتَقِلُ إِلَى الْكِتَابَةِ بِالتَّعْبِيرِ الَّذِي أَعْرِفُهُ عنْك، وَسَوْف تَنجحُ فِي نِهَايَةِ المَطَاف .

قَال : وَهَل أَكْتُبُ عَلَى أَوْزَانِ الْبُحُور أَمْ عَلَى النَّغمَة و الْإِيقَاع؟

قُلْتُ لَهُ : اُكْتُبْ عَلَى الْإِيقَاعِ وَلَا تَرْمِ نَفْسَك فِي متاهاتِ الْبُحُور، اُكْتُب وَلَا تَيْأَسْ حَتَّى لَوْ أَخْطَأَتَ مَرَّاتٍ وَمَرَّات، فَإِنَّكَ سَوْفَ تَتَعَلَّمُ دُون أَدْنَى شَكٍّ وَأَنْتَ الذَّكِيّ .

وَرَاح يَكْتُبُ وَيَكْتُبُ حَتَّى تَمَكَّنَ، فِي نهايةِ المطافِ، مِنَ الْكِتَابَةِ فِي كُلِّ الْبُحُورِ عَلَى صُعُوبَةِ بَعْضِهَا، وَمِنْهَا بَحْرُ المديدِ الَّذِي عَافَهُ الشُّعَرَاءُ مُنْذُ زَمَانٍ، فأبهرَني بِمَا كَتَبَهُ مِنْ قَصَائِدَ ومقطوعاتٍ غَايَةٍ بِالْإِتْقَان .

الرَّغْبَةُ فِي الْكِتَابَةِ وَالْإِصْرَارُ عَلَى النَّجَاحِ هُمَا الدافعانِ الأساسيانِ إِلَى النبوغِ وَالْبُلُوغ .

لَا يُولَدُ الْإِنْسَانُ كَامِلًا، بَل يَرْتَقِيَ فِي سُلَّمِ التَّكامُلِ، وَمِنْه الْبَرَاعَةُ فِي كِتَابَةِ الشّعْر .

التَّرَدُّدُ وَعَدَمُ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ مِنْ أَبْرَزِ وألعنِ العَقَبَاتِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ، فَلَا بُدَّ مِن اللُّجوءِ إِلَى الطُّرُقِ البَديلَةِ بُغْيَةَ الوُصولِ وَتَحْقِيقِ الهَدَفِ المنشودِ. لَا تَستَهِنْ بِكُلِّ مَا تكْتبُ وتُمزّقُ الْأَوْرَاقَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَكْتُبُ فِيهَا شَيْئًا مِنَ الشعْرِ، بَل اِحْتَفظ بِهَا إِلَى وَقْتِ نُبوغِكَ حَتَّى تعْرفَ أَنَّ النَّجَاحَ وَالْوُصُولَ إِلَى الْقِمَّةِ هُوَ أَشْبَهُ بِتَطوُّرِ قُدُراتِ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ. يُولَدُ الطّفْلُ وَهُوَ لَا يُتْقِنُ شَيْئًا الْبَتَّةَ، وبالكاد يصِلُ حَلَمَةَ الثَّدْيِ كَي يُشْبعَ بَطْنَه. يَتَدَرَّجُ هَذَا الصَّغِيرُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَمْثَالُهُ مِن الْأَطْفَالِ. الْوُصُولُ إِلَى مَا تَبْتَغِي مِنْ كِتَابةِ الشّعْرِ لاَبُدَّ أَنْ يَمُرَّ بِذَاتِ المراحلِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا هَذَا الْوَلِيدُ. يَرْضَعُ الْحَلِيبَ وَأَنْتَ تُخزّنُ الْكَلِمَاتِ، وتُغذّي الْعَقْلَ بِالْمُفْرَدَاتِ وَالمَعَانِي اللَّازِمَةِ فِي الْمُسْتَقْبَل. وَمِنْ ثَمَّ تتدرّجُ فِي تَطوّركَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى مَرْحَلَةِ التَّصَرُّفِ بِالْكَلِمَاتِ وبالمعاني لَا أَنْ تُجَمّعهَا فَحَسْب .

وَكُلَّمَا تَقَدَّمَ الْعُمْرُ، تَجَمَّعَ لَدَيْكَ مِنْ هَذَا الخزين الشَّيْءُ الكَثِيرُ، بِشَرْط أَنَّك تَتَوَجَّهُ إِلَى تَطْويرِهِ أَكْثَر لِأَنَّكَ الْآنَ بِصَدَدِ اسْتِخْدَامِهِ وَالِاغْتِرَافِ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ تَجْمَعُ فَقَط .

اللطيفة الستون

"دير حنظلة الطائي"

دَيْرُ حَنْظَلَةَ الطَّائِيِّ هُوَ مِنَ الأديرَةِ الْقَدِيمَةِ بِالْجَزِيرَةِ ، نُسِبَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ طَيِّءٍ يُقَالُ لَهُ حَنْظَلَةَ بْنَ أَبِي عَفْرَاءَ بْن النّعْمَانِ ابْن حَيَّةَ بْن سعنةَ بْن الْحَارِثِ بْن الْحُوَيْرِثِ بْن رَبِيعَةَ بْن مَالِكِ بْن سَفَر بْن هَنِي بْن عَمْرِو بْن الْغَوْثِ بْن طَيِّءٍ.

وَحَنْظَلَةُ هُوَ عَمُّ إِيَاسِ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ أَبِي عَفْرَاءَ الَّذِي كَانَ مَلِكَ الْحِيرَةِ وَمِن رَهْطِهِ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِيّ الشَّاعِر، وَكَانَ مِنْ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ قَدْ نَسَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وتَنَصَّرَ وَبَنَى هَذَا الدّيْرَ فَعُرِفَ بِهِ إِلَى الْآنَ .

وَحَنْظَلَةُ هَذَا هُوَ الْقَائِلُ :

وَمَهْمَا يَكُنْ رَيْبُ الزَّمَانِ فَإِنَّنِي
أَرَى قمرَ اللَّيْلِ الْمُغَرِّبِ كَالْفَتَى
يَهِلُّ صغيراً ثُمّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ
وصُورتُهُ ، حَتَّى إِذَا مَا هُوَ اسْتَوَى
وَقرّب، يخبو ضوؤهُ وَشُعَاعُهُ
ويمصحُ حَتَّى يستسرّ فَلَا يُرى

كَــذَلِك زيــدُ الأمــرِ ثُــمَّ انتقاصُــه

وتكــرارُه : فِي دَهْــرِهِ بَعْــدَمَا مَضــى

تصــبّح أَهْــل الــدَّارِ والــدارُ زينــةٌ

وَتَــأْتِي الجبــالَ مِــن شــماريخها العُــلى

فَــلَا ذَا غِنــى يــرجئن عَــنْ فَضْــلِ مَالِــهِ

وَإِنْ قَــالَ أخّــرني وَخُــذ رِشــوةً أَبَــى

وَلَا عَــــنْ فَقِــــيرٍ يــــأتخرنَ لِفَقْــــرِهِ

فتنفعــهُ الشَّــكْوَى إلــيهنّ إن شَــكَى

وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ أَبَا نَجَاح قَال : كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَمِين وَقَدْ خَرَجَ إِلَى نَوَاحِي الْجَزِيرَة . وَكَانَتْ لَهُ هُنَاكَ ضَيَاع كَثِيرَةٌ حَسَنَة، فاجتزنا بدير حَنْظَلَة هَذَا، وَكَانَت أَيَّامُ الرَّبِيعِ، وَكَانَت حَوْلَهُ مِنْ الرِّيَاض مَا يُنْسِي حُلَلَ الْوَشْي، وَبُسُطِ خُضْرَةٍ وَزَهْر، فَنَزَلْنَا فِيه وَبَعَثَ إِلَى خَمَّارٍ بِالْقُرْبِ مِنْ الْفُرَاتِ، فَشَرِبْنَا وَكَانَ عَبْدُ اللهَّ حَسَنَ الصَّوْتِ ، حاذقاً بِالْغِنَاء وَالطَّرَب، ظريفاً كاملاً فَقَال : .

ألا يــا ديــرَ حنظلــة المفــدّى

لقــد أودعتنــي تعبــاً وكــدّا

أزفّ مــن العقــار إليــك زقّــاً
وأجعــل فوقــه الــورق المنــدّى
وابــدأ بالصّــبوح أمــام صــحبي
ومــن ينشــط لهــا فهــو المفــدّى
ألا يــا ديــر جادتــك الغــوادي
ســحاباً حمّلــت برقــاً ورعــداً
يزيــد بنــاءك النــامي نــماءً
ويكسو الروض حُسناً مستجدّاً

فاصطبحنا فيه عشرة أيام، وعبد الله ومن معنا من المغنين يغنّوننا. ولعبد الله في هذا الشعر لحن من خفيف الرمل، مليح.

وفي هذا الدير يقول الشاعر:

طرقتــك سُــعدى بــين شــطيّ بــارقِ
نفــسي الفــداءُ لطيفهــا مــن طــارق
يــا ديــر حنظلــة المهــيّج لي الهــوى
هــل تســتطيع دواء عشــقِ العاشــقِ

اللطيفة الحادية والستون

"تطور الكتابة العربية"

في هذه المقالة أعرض ملخصا للرسالة التي كتبها الأب انستاس ماري الكرملي عن تطور الكتابة العربية وكيف وصلت الى هذا الشكل. وقد آثرت أن أدونها على شكل نقاط ابتغاء الاختصار، واليكم أبرز ما جاء فيها:

١- شبه تطور الكتابة بتطور البشر في بطن أمه ثم يولد ويحبو ويمشي ويكبر حتى يصير كهلا وبعدها يتكامل الى أقصى حد.

٢- قبل الاسلام بـ ٧٠٠ عام تقريبا كان هناك نوعان من الخط هما: الخط (النَّبَطي)،لأنه كان مبثوثًا في الديار التي كان فيها النَّبط الذين كان لسانهم عربيا أو قريبا من العربي. والثاني هو (المُسنَد) الذي كان يزبر على الصخور.

٣- زال الخط المسند واندثر بعد ظهور الاسلام وتطور الخط النبطي، واقتبس العرب حروفهم من عرب الأنباط وهؤلاء من الآراميين وهؤلاء من الفينيقيين.

٤- استعمل العرب الحروف التي أخذوها عن هؤلاء وأضافوا اليها حروفا أخرى فطوروها، لكنهم لم يدونوا كل حروفهم، فكانوا يصورون الحروف التي لا صور لها بحروف تقاربها صوتًا. وكذلك فعلوا

بالحركات. واعتمدوا على التلقين والرواية والسماع لمعرفتها معرفة صحيحة، فضاع من اللفظ العربي الصحيح شيء كثير.

٥- بعض الحروف والحركات الموجودة في لغات الغرب ولهجاتهم كانت موجودة في لغتنا العربية ولكنها لم تعد تستخدم مثل حرف الجيم المعطشة الشامية والتي ترسم على شكل راء فوقها ثلاث نقاط وتقابلJ الفرنسية، في حين تلفظ جيما عراقية أو نجدية وتسمى الشجرية، وتختلف عن الجيم النطعية في بلاد الفرس وتقابل g باللغة الانكليزية.

٦- وفي لغتنا عيبٌ عظيم عيرنا به جميع الغربيِّين، وهو الذي يجعل تعلم لغتنا من أصعب الأمور، وأبعدها منَالا عن العرب أنفسهم. وهذا العيب هو عدم وضع علامات الضبط والحركات على حروفنا، فتحتمل الكلمة الواحدة قراءَات مختلفة، أو أوجها كثيرة، فإذا كانت الكلمة الواحدة مركبة من حرفين لا غير، فقد تُقرأ على واحد وعشرين وجها؛ مثال ذلك (رب) فإنَّها تُقرأ بتثليث الراء، وإسكان الباء) فهذه ثلاثة أوجه، (وبتثليث الراء وشد الباء المضمومة) وهذه ثلاثة أوجه أُخر،(وبتثليث الراء وشد الباء المفتوحة) وهذه ثلاثة أوجه أُخر،(وبتثليث الراء وكسر الباء المشددة)وهذه ثلاثة أُخر، (وبتثليث الراء وضم الآخر المخفف، وبتثليث الراء وفتح الآخر المخفف، وبتثليث الراء وكسر الآخر المخفف؛

فهذه أحد وعشرون وجها، والكلمة على حرفين فقط، فما القول لو كانت الكلمة مركبة من ثلاثة أحرف؛ مثل (ربط)؟ قلنا: فإنَّها تُقرأ على ٢٧٣ وجها لا أقل ولا أزيد، فكيف يسعى المتعلم بعد ذلك ليتعلم لساننا، الذي سمعه منذ صغره؟ فلقد يقضي عمره كله في دراسته فلا يُتْقنه مع ذلك، كما يُتقن لغة أجنبيَة يدرسها مدة خمس سنوات.

٧- كان يتمنى لو وضعت الكلمة بحروف منقطة في الأصل حتى يستطيع الدارس قراءتها دون تكهنات. مثال ذلك اللغات اللاتينية أو الغربية التي لا يعاني من تعلمها الدارس بل يستطيع اتقان عدة لغات بوقت قياسي، بعكس العربية التي يقضي وقته وعمره في تعلم اللفظ فقط. وقد اتخذ الأتراك الحروف اللاتينية من أجل تسهيل التعلم والنطق.

٨- لم ينكر الكاتب أن في اللغة العربية من المحاسن فاقت بها كثيرا من اللغات ومنها سرعة الكتابة، وقلة حروفها، لكنها في نفس الوقت تحتمل قراءات عديدة بعكس اللغة الافرنجية فهي تقرأ كما تشاهدها فتفهم معناها دون الدخول الى الاحتمالات.

٩- يرد اعتراض أحدهم في أن القرآن كان يكتب بهذه الحروف، وكان الرد هو أن القرآن كان يكتب بالخط الكوفي ويختلف عن هذه الكتابة بل لم يكن منقطا.

١٠- تمنى لو يتم اضافة بعض الحروف الأخرى للغة العربية حتى تستطيع تصوير كل ما يحدث في الغرب وغيرهم في لغاتهم.

١١- وفي الختام اقترح أن ترسم الحركات على شكل حروف جديدة تكتب جزءا من الكلمة لا أن نتكلف بوضعها فوق الحروف وما لهذا العمل من مشاق، فيستطيع القارئ قراءة الكلمات دون الحاجة الى وضع الحركات. وضرب أمثلة راقت لي حقا. عسى أن ينظر المختصون الى هذه الدراسة فيطورون أو بالأحرى يسهلون اللغة العربية لدارسيها لأن الغاية من اللغة هي ايصال المعنى ووسيلة للتفاهم، وليست مقدسة كالمقدسات التي يعج بها المجتمع العربي.

هذا أبرز ما جاء في الرسالة وفيها بعض التفصيل من أراده فعليه بها فهي مبثوثة على الشبكة العنكبوتية.

اللطيفة الثانية والستون

"أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه!"

نسمعُ ونتحدثُ بِهَذَا المَثلِ وَالْكَثِيرُ مِنَّا لَا يَعْرِفُ مَاذَا يُعْنِي. دَعُوْنَا فِي هَذِهِ اللَّطِيفَةِ نَسيحُ فِي رِيَاضِ اللُّغَةِ وحدائقِ الْأَدَبِ، بَحثًا عَنْ المَعْنَى مِنْ هَذَا المْثَلِ، قاطفينَ عَدَدًا مِنَ اللَّطَائِفِ المُتَعَلِّقَةِ بِهِ، وَالْأَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهِ، كَاتِبِينَ بَعْضًا مِنْهَا وَمَا تَيَسَّرَ مِنْ خَلَجَاتِ الْفِكْر .

يُقَالُ إِنَّ الشَّاعِرَ كُثَيِّرَ عَزّة دَخَلَ عَلَى عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَان كُثير قَصِيرَ الْقَامَةِ نَحِيلَ الجِسْمِ، فَقَالَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: أَأَنْتَ كُثَيِّرُ عَزّةَ؟ قَالَ: نَعَم؛ قَال: أَنْ تَسْمَعَ بِالمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ! قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، كلٌّ عِنْدَ مَحَلِّهِ رَحْبُ الْفِنَاءِ، شَامِخُ الْبِنَاءِ، عَالِي السّنَاءِ؛ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

تَرَى الرَّجلَ النَّحيفَ فَتَزدَريهِ
وفي أثوابِهِ أَسَدٌ هَصُورُ
وَيُعجِبُكَ الطَّرِيرُ إِذَا تَرَاهُ
وَيَخلِفُ ظَنَّكَ الرجلُ الطَّرِيرُ
بُغاثُ الطَّيرِ أكثرها فراخًا
وأُمُّ الصَّقرِ مِقلاةٌ نَزورُ

ضِعافُ الطيرِ أطولُها رِقابًا
ولم تَطُلِ البَزاةُ ولا الصقورُ
لقد عَظُمَ البعيرُ بغيرِ لبٍ
فلم يَستغنِ بالعظمِ البعيرُ
ينوَّخ ثم يُضرَبُ بالهرَاوَى
فلا غِيَرٌ لديهِ ولا نَكيرُ
فما عِظَمُ الرجالِ لهمْ بفخرٍ
ولكنْ فَخرُهُم كَرَمٌ وخِيرُ
فإنْ أكُ في شِرارِكُمُ قليلًا
فإنّي في خِيَارِكُمُ كثيرُ

فَقَالَ عَبْدُ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: للهِ دَرُّهُ، مَا أَفْصَحَ لِسَانَهُ، وَأَطْوَلَ عِنَانَه! وَاللهِ إِنِّي لأَظُنُّهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ .

وَيَعُودُ أَصْلُ المَثَلِ الَّذِي قَالَهُ عَبْدُ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لِوَقْتٍ سَابِقٍ، حَيْثُ أَنَّهُ فِي عَهْدِ النُّعْمَانِ بْنِ المُنْذِرِ كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ اُشْتُهِرَ بِالكَرَمِ والثَّراءِ، وَهُو المُعَيديّ وَاسْمُهُ الْكَامِلُ المعيديّ شُقَّة أَوْ شقَّ بْن ضَمْرَةَ، وَكَانَ شَيْخًا عَلَى قَبِيلَتِهِ، وَمِن شُعَرَاءِ العَصْرِ الجَاهِلِيِّ، وَكَانَ يَتَمَيَّزُ بِجِسْمِهِ الضئيلِ، وَيَرْعَى الْإِبِلَ فِي الصَّحْرَاءِ، وَكَان يُغِيرُ عَلَى الحامِيَةِ العَسْكَرِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِالمَلِكِ النُّعْمَانِ، وَكَان يَنْهَبُ مِن مملكتِهِ كُلَّمَا

كَانَتْ الْفُرْصَةُ سانِحَةً لِذَلِكَ، وَقَدْ أَرْسَلَ المَلِكُ الْعَسَاكِرَ لِإِلْقَاءِ القَبْضِ عَلَيْهِ أَوْ قَتلِهِ، وَلَكِنَّهُم لَمَ يَسْتَطِيعُوا التَّوَصُّلَ إلَيْهِ، لِأَنَّهُ اِخْتَفَى بِالصَّحْرَاءِ، لِأَنَّهُ مِن الْعَالِمِينَ بمسَالِكِهَا وبأماكِنِ الْمِيَاهِ، وَلَهُ مِنْ شَجَاعَةِ الْفُرْسَانِ، فَكَانَ لَا يَهَابُ مِنْهُم .

وَفِي النِّهَايَةِ أَعْطَاهُ النُّعْمَانُ الْأَمَانَ و١٠٠٠ نَاقَةٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّوَصُّلَ إلَيْهِ، وَقَدْ أَعْجَبَتْهُ شَجَاعَتَهُ، وَبَعْدَ أَنْ عَلِمَ المعيدي بِمَا فَعَلَهُ المَلِكُ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ، نَزَلَ إلَى مَدِينَةِ الْحِيرَةِ بِالْقُرْبِ مِنَ المَدِينَةِ الْعِرَاقِيّةِ، الْكُوفَة، وَقَامَ بِالدُّخُولِ عَلَى المَلِكِ، وَقَام بِالتَّعْرِيفِ عَنْ نَفْسِهِ، فَنَظَرَ النُّعْمَانُ إلَيْهِ بِدَهشَةٍ وَشَاهَدَ صِغَرَ حَجْمِهِ، وَشَكْلَهُ الدَّمِيمَ، وَمَنْظَرَهُ وَقَامَ باحْتِقَارِهِ، وَقَالَ لَهُ أَنْ نَعْلَمَ عَنْكَ خَيْرٌ مِنْ أَن نَرَاكَ، وَأَنْ تَسْمَعَ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَن تَرَاهُ. فَكَان النُّعْمَانُ أَوَّلَ مَنْ قَالَ هَذَا المَثَلَ الَّذِي تَمَّ تَدَاوُلُه مِنْ بَعْدِهِ. فَقَالَ لَهُ الْمُعيدي: يَا مَوْلَايَ إنَّ الرِّجَالَ لَيْسُوا بَقَرًا وَلَا غَنَمًا كَي تَنْظُرَ إلَى وُجُوهِهِمْ وَأجْسَامِهِم، إنَّمَا يَعِيشُ المَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ. وَقَدْ أَصْبَحَ قَوْلُهُ هَذَا مَثَلًا أَيْضًا، فَأُعْجِبَ المَلِكُ بِرَدِّهِ الحَكِيمِ، وَجَعَلَ مِنْهُ مُستَشاراً قريباً لَه .

اللطيفة الثالثة والستون

" ربَّةُ البيتِ: قصيدة ومجاراة"

لَمْ تَذْكُرِ المَصَادِرُ الأدَبِيَّةُ الْقَدِيمَةُ شَيْئًا عَنْ رَبَّةِ الْبَيْتِ، وَلَمْ يَمدَحهَا الرِّجَالُ بِسَبَبِ النَّظْرَةِ الدّونيَّةِ الَّتِي يَنْظُرُ بِهَا هَذَا المُتَغَطرِسُ إلَى نِصْفِهِ الثَّانِي، وَالَّذِي لَوْلَاهَا لَمْ يَكُنْ لِلْحَيَاةِ مَعْنًى مِنَ الْأَسَاسِ. وَمنَ الازدواجيّةِ أَن يَتغَزَّلَ بِالمَرْأَةِ وَكَأَنَّهَا تَهَبُ الْحَيَاةَ لَهُ، ويَغمِطُ حَقَّ رَبَّةِ الْبَيْت. تِلْكَ المَرْأَةُ الَّتِي حَمَلَتْ هُمُومَ الْبَيْتِ والعائلةِ وَالزَّوْجِ عَلَى مَدَى الْعُمْر. لَمْ أَجِدْ فِي كُتُبِ تاريخِنا الأَدَبِيّ أَو الشِّعْرِيّ عَلَى الخُصُوصِ أَحَدًا مِن الشُّعَرَاءِ يَمْدَحُ رَبَّةَ الْبَيْتِ إلَّا أَبْيَاتًا قَالَهَا الشَّاعِرُ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ فِي حَقِّ خَادِمَةٍ لَهُ اسْمُهَا رَبَابَة. وَلَا بَأْسَ أَنْ أَذْكُرَ الرِّوَايَةَ كَمَا وَجَدْتُهَا :

رَبَابَةُ هِيَ خَادِمَةُ الشَّاعِرِ الْعَبَّاسِيّ المَشْهُورِ بَشَّارِ بْن بُرْدٍ ٦٩ – ١٦٨هـ ، الَّتِي قَالَ عَنْهَا: أَنَّهَا طَلَبَتْ إلَيْهِ أَنْ يَقُولَ فِيهَا شعراً، فداعبَها بِقَوْلِه :

رَبابَةُ رَبَّةُ البيتِ تَصُبُّ الخَلَّ في الزَّيتِ
لَهَا عَشرُ دَجَاجَاتٍ وَديكٌ حَسَنُ الصَّوتِ

وَلَمْ يَزِدْ عَنْ وَصْفِهَا بِأَنَّهَا رَبَّةُ بَيْتٍ وأنَّ لَهَا عَشرَ دجاجاتٍ وَدِيكٍ لَهُ صَوْتٌ نَاعِمٌ حَسَنٌ. وَقَدْ رَضِيَتْ بِذَلِكَ بَلْ رُبَّمَا أَنَّهَا طَرِبتْ لَه وَزَادَهَا نشاطاً فِي خِدْمَتِهِ .

لَمْ يَكُنْ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ مُخْطِئًا كَمَا ظَنَّ بَعْضُ مَنْ حَوْلَهُ الَّذِين جاؤوا مستفسرينَ ومُستهزئينَ بتِلْكَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي قَالَهَا بَشَّارُ بِحقِّ الْجَارِيَةِ رِبَاب .

فَكَيْف وَفْقَ عُقُولِهِم أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّاعِرُ الْكَبِيرُ ببلاغتِهِ ليَقُولَ أَبْيَاتًا مِثْلَ هَذِهِ وَهُوَ الْقَائِلُ رَغمَ أَنَّهُ أَعْمَى الْبَصَرِ مُنْذ أَنْ وُلِدَ :

كَـــأَنَّ مَثَـــارَ النَّقْـــعِ فَـــوْقَ رُؤُوسِـــنَا

وَأَسْـــيَافُنَا ليـــلٌ تَهَـــاوَى كَوَاكِبُـــه

فَهَذَا الْمُبْدِعُ الَّذِي شَبَّهَ تِلْكَ الْحَالَة مِنْ ضَرَاوَةِ الْمَعْرَكَةِ، وهَوْلِهَا بِلَيْلٍ تَتَسَاقَطُ كواكبُهُ فِي بَيْتٍ اتَّضَحَتْ فِيهِ بَلاَغَةُ وعبقريَّةُ هَذَا الشَّاعِرِ الَّذِي لَمْ يَرَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ لَيْلًا وَلَا كَواكِبَ وَلَا أَسْيَافَ وَلَا غَيْرِهَا ! وَمَعَ ذَلِكَ يَرَاهُ مَنْ حَوْلَهُ أَنَّهُ أَصْبَحَ أُضْحوكَةً عِنْدَ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ حِينَمَا قَالَ أَبْيَاتَهُ فِي ربابةَ، وَالَّتِي لَا تحملُ فِي طيّاتِها أَيَّ بَلاَغَةٍ تُذكَر! لَكِنَّ بَشَّار بْنَ بُرْدٍ، ذَلِكَ الْأَعْمَى، لَمْ يَكُنْ أَعْمَى إِدْرَاكًا وَفَهْمًا لِلْحَيَاةِ وَمَا فيهَا مِنْ بَشَرٍ. فَلَقَد رَدَّ عَلَيْهِمْ بِجَوَابٍ يُعْتَبَرُ بِحَدِّ ذَاتِهِ دَرْساً لِكُلّ صَاحِبِ خِطَاب. فَبَيَّنَ لَهُم بِأَنَّهُ حِينَمَا خَاطَبَ الْأُمَّةَ وجماهيرَها، تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ بَلِيغٍ يَصِلُ إِلى أذهانِ مَن يَهْتَمُّ بِها مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْبُلَغَاءِ والخُطباءِ، فَكَان لِزَامًا عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيْتِ (كأَنَّ مَثَارَ النقع). بَيْنَمَا رَبَابَةُ هذهِ لَيْسَتْ إِلَّا جَارِيَةٌ لَا تَهْتَمُّ إِلَّا بِمَا حَوْلَهَا مِنْ دَجَاجٍ، وَمَا يُهِمُّها مِن اهتماماتٍ منزليةٍ، وَلَمْ يَكُنْ بَشَّارُ مُخْطِئًا حِينَمَا قَال: لَو ذَهَبْتُم

لربابةَ وسألتموها أيُّ الْأَبْيَاتِ لَدَيْهَا أَجْمَل :

قِفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

أم:

رَبابَةُ رَبَّةُ البيتِ تَصُبُّ الخَلَّ في الزَّيتِ

لَهَا عَشرُ دَجَاجَاتٍ وَديكٌ حَسَنُ الصَّوتِ

؟؟؟فإنها لن تقول إلا ربابة ربة البيت !!

كتب الشاعر البابلي الدكتور فارس الحسيني (أستاذُ اللغةِ العربيةِ في جامعة بابل)، وعلى ذكر الأبيات السالفة قصيدة على أنغام بحر البسيط قال فيها:

يا رَبَّةَ البيتِ: فِيكِ البَيتُ يَزدانُ

يا رَبَّةَ البيتِ: فِيكِ الزَّوْجُ سُلطانُ !

البيتُ مَملَكةٌ، وزَوجُها مَلِكٌ

لَهُ، مِنَ الحُبِّ والتَّقديرِ، تِيجانُ!

تَسُرُّهُ حِينَ يأوي، وَهْوَ مُكتَئِبٌ

تُريحُهُ، حينَ يَأتي، وَهْوَ تَعبانُ!

وَكَمْ ، وَكَمْ سَهِرَتْ فَجرًا تُمَرِّضُهُ

إِذا أُصِيبَ بِحُمَّى؛ فَهْوَ حَرَّانُ!

فِيها إِباءٌ، وَلِلآلام كِتمانُ!
فَلَيسَ تَسمَعُ مِنها الآهَ آذانُ!
قَد بَرهَنَتْ حُبَّها فِعلًا بِلا كَلِم
وَكُلُّ تَضحيةٍ؛ لِلحُبِّ بُرهانُ!!
تَقُومُ ساعِيَةً _ دَوْمًا_ بِلا كَلَلِ
بِمَا بِهِ أَوصَتِ الزَّوْجَاتِ أَديانُ!
خَلَّاقةٌ، فِي شُؤونِ البيتِ، مُبدِعَةٌ
لَهَا مِنَ الطَّبخ أَشكالٌ وَألوانُ!
البيتُ يَسطَعُ، فِي التَّنظيفِ، فِي أَلَقٍ
كَأَنَّما هُوَ ياقُوتٌ وَمَرجانُ!
مُرَتَّبٌ مِثلُ (سِمفُونيَّةٍ) كُتِبَتْ
فِيها انسِجامٌ ، وتَقسيمٌ ، وَألحانُ!
يا رَبَّةَ البيتِ: فيكِ البيتُ مُغتَبِطٌ
فَليسَ يُبكِيهِ إِهمالٌ، وحِرمانُ!
يَكفِيكِ لَفْظَةُ (رَبٍّ) يا مُؤَنَّثَهُ!
لَفْظٌ جَليلٌ، وَحَنَّانٌ، ومَنَّانُ!
فَمِلءُ رُوحِكِ إِيثارٌ وتَضحِيَةٌ
وحَشْوُ قَلبِكِ إِخلاصٌ ، وإِيمانُ!

يا رَبَّةَ البيتِ: يا تَأسيسَ مُجتَمَع
فِيهِ يَقُومُ مِنَ الأَفرادِ بُنيانُ!
وَأنتِ في البيتِ ، لِلأَطفالِ، مَدرسَةٌ
أُخرى، يُنيرُ بِها عِلمٌ وتِبيانُ!
فَتَرسمِينَ غَدَ الأَجيالِ في أَمَلٍ
حُلْوٍ، كَما يَرسمُ اللَّوحاتِ فَنَّانُ!
بِالبيتِ يَنهضُ شَعبٌ لِلعُلا ، قُدُمًا ،
بِالبيتِ تَعمُرُ أَقطارٌ وبُلدانُ!

كتبتُ على أنغام بحرها ودندنة قافيتها قصيدة مجاراة لها قلت فيها بتاريخ ١٩/ ٩/ ٢٠٢٠:

يَـا رَبَّـةَ البَيْـتِ: رَبُّ البَيْـتِ حَـيْرَانُ
إنْ تَترُكيـهِ، سَيَقضـي وَهْـوَ ظَمـآنُ
يَـا رَبَّـةَ الحُـبِّ: هَـذَا البَيْـتُ مِـنْ حَجَـرٍ
يَهْفُـو اليـكِ، بِنَـبضِ الحُـبِّ يَـزدانُ
يَـا رَبَّـةَ الأُنْـسِ: يَـا قيثـارَةً طَرِبَـتْ
مِنْهَـا الْقُلُـوبُ، حَيـاةُ القَلْـبِ أَلحَـانُ

يَـــا رَبَّـــةَ البَيْـــتِ: يَـــا رَبَّـــانَ قَافِلَـــةٍ
هَـــاكِ القِيَـــادَ، فَأَنْـــتِ فِيـــهِ رَبّـــانُ

نَـــأوِي إلَيْـــكِ إذَا مَـــا صَـــابَنا وَجَـــلٌ
كَـــفٌّ رَطِيـــبٌ، بِـــمَاءِ اللُّطْـــفِ مَـــلآنُ

يَـا فَـارِسَ الشِّـعْرِ: خَـلِّ الشِّـعْرَ يُطْرِبُنـي،
مِنْـــكَ الْـــيَرَاعُ يَبـــوحُ؛ وَهْـــوَ رَيّـــانُ

أَوْجَزْتَ بِالوَصْفِ؛ جَاءَ الوَصْفُ مُكْتَمِلًا
فِي رَبَّـــةِ البَيْـــتِ، لَيْـــتَ الشِّـــعْرَ قُـــرآنُ

إنَّ السَّـــمَاءَ تَجُـــودُ وَهْـــيَ نَـــاظِرَةٌ
لِلْعَـــالَمِينَ، فتِلْـــكَ الأرضُ شُـــطآنُ

تُعْطِـي الغِيَـاثَ بِـلَا مَـنٍّ وَلَا نَصَـبٍ
كَأَنَّهَـا الغَـيْمُ، يَهْمِـي وَهْـوَ جَـذْلانُ

تلـكَ الشُّـعُوبَ بِـلَا أُنْثَـى تُـدَبِّرُهَا،
تُـرَابُ مَـوْتَى، وأنْقَـاضٌ، وَكُثْبَـانُ

لَا تَزْدَرُوهَـا إذَا مَـا كَـانَ يُقْعِـدُهَا
ضَـعْفٌ، فَـإنَّ جَمِيـلَ الضَّـعْفِ إيـمانُ

هَـــذِي الحَيَـــاةُ، بِـــمَا فِيهَـــا، كَأُغنيـــةٍ
تُخْفِـي كَثِـيرَ الْأَسَـى، والعَـزْفُ أشـجانُ
إنَّ الرِّجـــالَ بِـــلا أُنثَـــى كَسَـــاقِيَةٍ
جَفَّـتْ، وَقـدْ أَصـحَرَتْ مِـنْ بَعْـدُ غُـدْرانُ
البيـــتُ مـــن دونهـــا أحجـــارُ رابِيَـــةٍ
فَهْـيَ الصَّـدَى والنَّـدى، والكُـلُّ عُمْـرَانُ
يَحنُـــو لَهَـــا الطِّفـــلُ والأوْلادُ في شَـــغَفٍ
مِنهـــا الـــرِّوَاءُ، كـــأنَّ البَيـــتَ بُســـتَانُ
يـــا رَبَّـــةَ البيـــتِ: إنَّ العُمـــرَ، أَجْمَلَـــهُ،
يُقْضـــى لَـــديكِ، تَمـــامُ العَـــيشِ تَحْنَـــانُ

اللطيفة الرابعة والستون

" ألقاب الشعراء والبطيخ"

قَرَأْتُ قَبْلَ أَيّامٍ قَصيدَةً لِشَاعِرٍ عِراقيٍّ وَقَدْ ذَيَّلَها بِلَقَبٍ لَهُ وَهُوَ (شاعِرُ العِراقِ)، فَقُلْتُ (مَعَ نَفْسِي): إِذَا كُنْتَ شاعِرَ العِراقِ، فَأَنَا والشُّعَراءُ الآخَرونَ نَبيعُ البِطّيخَ! ! !

نَشَرتُ مَا يُشْبِهُ هَذَا التَّعْليقَ فِي صَفْحَةِ مَجْلِسِنا الثَّقافيِّ عَلَى (فيسْ بُوك)، فَانْهَالَ شُعَرَاؤُنَا الأَعْضاءُ، عَلَى كِتابَةِ بَعْضِ أَبْياتٍ تُوافِقُ مَا قُلْتُهُ، وَهَذِهِ هِيَ.

كَتبَ الشّاعِرُ البابِليُّ عَلي حميدِ الحَمْدانِّي فَقَالَ :

رفقاً بنا يا شاعرَ العراقِ ومُنزِلَ الدمعِ من المآقي
كأننا باعةُ بطيخٍ ولم تتركْ لنا في المجدِ من بواقي
ولم نجد لديك شِعراً غيرَ ما نجدهُ في بضائعِ السرّاقِ

وردَّ الشاعرُ النَّجَفيّ جميلُ المباركُ فقال:

الشعر بعض الشيء أخرسْ والحرف مقرفُ إن تنفّس
قدسية الكلمات أنقى لكنها في الصمتِ اقدسْ

وردت الشاعرة البابلية هالة أحمد فقالت:

استمع لهذا الأحجية لو سمحت:

عذبةُ الرّيقِ حلالٌ دمُها في كل مِلَّهْ
نصفُها بدرٌ وإن قَسَّمتَها صارتْ أَهِلَّهْ

ماهي؟ أليست البطيخة؟ فليحيا البطيخ

وكتب الشاعر البابليّ الدكتور فارس الخفاجي فقال:

الشـــعرُ فـــنٌ مـــاتعٌ وراقِ لا سِـــلعةٌ تُبـــاعُ في الأســـواقِ
كم في خيالِ الشعرِ من حقيقةٍ تَجهلُها يـا (شـاعرَ العـراقِ)
مهـما تَباهَيـتَ بإسـمٍ خـادعٍ لـن تحجبَ النـورَ عـن المآقي
أكتـبْ لنـا دونَ غُـرورٍ فـارغٍ قَصـيدةً عـن دَمِنـا المُـراقِ
بتلكمُ الألقابِ ما نِلتَ العُلا لِأنهـا مـن أوجـهِ النِفـاقِ
تـرى الغَيـورَ يرتقـي مكانـةً وذا الغُـرورِ خـارجَ السـباقِ

وكتب الشاعر بلال الحمود فقال:

يا بائع البطيخ إني أشتهي شعرا بلون و نكهة البطيخ

اللطيفة الخامسة والستون

"الكروان"

الْكَرَوَانُ: طَائِرٌ طويلُ الرِّجلَينِ لَهُ صَوتٌ جَمِيلٌ، يُجمَعُ عَلَى كِرْوانٌ وكراوين. الْكَرَوَانُ المَأْلُوفُ هُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الببَّغاواتِ، لَه تَغْرِيدٌ ذُو صِبغَةٍ خَاصَّةٍ مُمَيِّزَةٍ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ جدًا، إذ يَبْدَأ تَغْرِيدَهُ بِنَغَمَاتٍ خَفِيفَةٍ ثُمَّ تَرْتَفِعُ هَذِه النَّغَمَاتُ وَتَزْدَادُ دَرَجَةُ سرعتِها، وتتلاشَى بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَمَا يَنْزِلُ مُرَفرفًا بِجَنَاحَيْهِ. يُمْكِنُ تَرْبِيَةُ هَذَا الطَّائِرِ فِي المَنْزِلِ وَالتَّحَدُّثِ مَعَهُ لِسَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ دُونَ مَلَلٍ. دَأَبَ المُغرَمونَ قَدِيمًا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، فَهُم يَبُثّونَ هُمُومَهُم لَهُ، ويشكُونَ صَدَّ الحَبِيبِ، ونأيَه .

ذُكِرَ الْكَرَوَانُ أَو "الكوكتيل" فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيّ وَالشِّعْرِ عَلَى الخُصُوصِ، لِهَذِهِ التغاريدِ المَعْرُوفِ بِهَا. وَمِمَّنْ ذَكَرَهُ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ عَبَّاس مَحْمُود العقاد حَيْثُ يَقُولُ فِي دِيوَانِه "حديث الكروان :"

هل يسمعون سوى صدى الكروانِ
صوتًا يرفرف في الهزيع الثاني؟
من كلِّ سارٍ في الظلام كأنَّه
بعضُ الظلام، تُضلُّه العينانِ

يــدعو إذا مــا الليــل أطبــق فوقــه

مــوجُ الــدياجر، دعــوةَ الغرقــان

مــا ضرَّ مَــن غنَّــى بمثــل غنائــه

أنْ لــيس يــبطش بِطشــة العِقبــان

إنَّ المزايـــــا في الحيـــــاة كثـــــيرة

الخـــوف فيهـــا والسَّـــطا ســـيان

ويقول ذو الرمة:

أمـيرُ أبي موسَـى تـرى القـومَ حَولَـهُ

كــأنهمُ الكَــرَوانُ أبصَــرَ بازِيــا

أَرَادَ أَنْ يَصِفَ حَالَ القَوْمِ وَهُمْ بَينَ يَدَيِ الْأَمِيرِ، وَهَيْبَتِهِ، فَوَصَفَهُم بطائرِ الْكَرَوَانِ الضَّعِيفِ، وَقَد أَبْصَرَ طائراً جارِحاً هُو البَازِي. فَهُوَ مِنَ الطُّيُورِ الَّتِي تَخْشَى سَطْوَةَ الصّقُورِ، فَهِيَ لَا تَقْوَى إِلَّا عَلَى التغريدِ، وَلَمْ تَكُنْ يَوْمًا تُقَاتِلُ أَو تَفْتَرِسُ، فَهِي تَقْتاتُ نَبَاتَ الْأَرْضِ وَالحُبّ. قَالَ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْد :.

لنــا يــومٌ وللكــروانِ يــومٌ

تَطِـيرُ البائِسـاتُ ولا نَطِـيرُ

فأمّـا يَـوْمُهُنّ، فيَـوْمُ نَحْسٍ،

تُطَارِدُهُنّ بالحَدَبِ الصّقُورُ

وهذانِ البيتانِ مِن مُعَلَّقتِهِ التي قُتِلَ بسَببِها، قَتلهُ مَلكُ البحرين، بعدَ أنْ أرسَلهُ إليهِ الملكُ عمرو بنُ هندٍ، في قصةٍ معروفةٍ.

قلتُ في هذا الطائرِ بعضَ أبياتٍ (من الطويل):

وَلَا تَحْسَبوا ضَعْفِي هَوَانًا فَإِنَّنِي
أُدَاوِي شُجُونَ الرُّوحِ كَالكَرَوَانِ

دَعَانِي صَرِيرُ الهَجْرِ فِي لَيْلَةِ المُنَى
أُغَرِّدُ فِيهَا صَادِحًا بِبَيَانِ

تَطولُ لَيَالِي البُعْدِ، لَيْلَ سَرْمَدٌ
كَأَنَّ صَرِيمَ اللَّيلِ مِنْ هَذَيانِي

نَظَرْتُ جِبالَ الأَرْضِ تُخفِي وَقَارَهَا
وَتُبدِي جَلِيلَ الأَمْرِ فِي المَيَدَانِ

فَخُذْنِي بَعِيدًا حَيْثُ أَرْوِقَةُ المُنَى
أَشُدُّ رِحَالَ الصَّبْرِ فِي تَوَقَانِ

تَدُومُ حَيَاةُ المَرْءِ سَعْيًا لِغَايَةٍ
دَوامُ حَيَاةِ القَلْبِ بِالخَفَقَانِ

اللطيفة السادسة والستون

" خرافةُ كُلّ قديمٍ جَيّدٌ"

الشِّعْرُ العَرَبِيُّ عَلَى طُولِ الزَّمَانِ، وَاخْتِلَافِ المَكَانِ، وتقادُمِ السِّنِينَ، كَان سِجِّلًا حافلاً لِلْعَرَبِيّ، سَوَاءٌ أَكَانَ شَاعِرًا جَاهِلِيًّا، أَوْ كَانَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ أَوْ أَدْرَكَ الْعُصُورَ الْمُتَأَخِّرَةَ. وَمِنَ الشِّعْرِ الْوَاصِلِ إِلَيْنَا مَا تَطْرَبُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ الوَلِهَةُ، وَتَرُدُّ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الحَائِرَة. وَمِنْهُ مَا يَسْتَعْصِي عَلَى السَّمْعِ، و يَعْسُرُ عَلَى الْفَهْمِ، وَيَلْفِظُهُ الطَّبْعُ، وَلَا يستسيغهُ الْعَقْل. مِنَ الظُّلْمِ والإجحافِ أَنْ نَعْتَبِرَ كُلَّ مَا وَصَلَنَا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ جَيِّدًا، لَا غُبَارَ عَلَيْهِ، وَيَرْوِي غَلِيلَ الطَّالِب. الحَقِيقَةُ الَّتِي لَا بُدَّ أَنْ نَأْخُذَ بِهَا هِيَ أَنَّ الْكَثِيرَ مِمَّا وَصَلَ إِلَيْنَا لَا يَسْتَحِقُّ الْإِجْلَالَ وَالْإِكْبَارَ، وَلَا يُعَدُّ مِنْ جَيِّدِ الشّعْر. وَلَيْسَ الَّذِي يُكْتَبُ هَذِهِ الْأَيَّام هُوَ أَقَلُّ قدراً مِمَّا جَاءَنَا عَنْ السَّلَفِ. بَلْ الرَّاجِحُ عِنْدِي وَعِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْعَرَبِ أَنَّ الشّعْرَ العَرَبِيَّ الَّذِي يُكْتَبُ فِي عَصْرِنَا هَذَا، وَاقْصِدُ فِي الْقَرْنِ العِشْرِينَ وَالْحَادِي وَالْعِشْرِين، هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْقَدِيمِ. وَالْأَفْضَلِيَّةُ هَذِهِ لَيْسَتْ مُطْلَقَةً وَلَا قَطْعِيَّةً، بَلْ هِيَ عَلَى الْأَعَمِّ الْأَغْلَبِ. الحُجَّةُ فِي هَذَا الِادِّعَاءِ هِي عُذُوبَةُ مَا يَكْتُبُهُ شعراؤُنا هَذِهِ الْأَيَّام، مِنْ قَصَائِدَ استلهمتْ رُوْحَ الْعَصْرِ الَّذِي يَعِيشُونَ فِيهِ بأحدثِ عِبَارَةٍ، وبكاملِ الْفَصَاحَةِ، وَسُرْعَةِ وُصُولِ المَعْنَى، دُونَ تَكَلُّفٍ ظَاهِرٍ كَالَّذِي نعهدُهُ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَتَبَهُ الْقُدَمَاء. وَمن جَيِّدِ الْكَلَامِ الَّذِي كُتِبَ عَنْ هَذَا المَوْضُوعِ، مَا كَتَبَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ

الشَّهِير "الشعر والشعراء" نقتطعُ مِنْهُ هَذِهِ الشذراتِ، حَيْثُ يَقُولُ :

((ولم أسْلُكْ ، فِيمَا ذَكَرْتُهُ مِنْ شِعْرِ كلّ شَاعِرٍ مُخْتَارًا لَهُ، سَبِيلَ مَنْ قلّدَ، أَوْ اسْتَحْسَنَ بِاسْتِحْسَانِ غَيْرِه. وَلَا نَظَرْتُ إِلَى المتقدّمِ مِنْهُم بِعَيْنِ الْجَلَالَةِ لِتَقَدُّمِهِ، وَإِلَى المتأخّرِ (منهم) بِعَيْنِ الِاحْتِقَارِ لتأخّره. بَل نَظَرْتُ بِعَيْنِ الْعَدْلِ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ، وَأعْطَيتُ كُلًّا حَظَّهُ، ووفّرتُ عَلَيْهِ حَقّهُ. فَإِنِّي رَأَيْتُ مِنْ عُلَمَائِنَا مَنْ يستجيدُ الشّعْرَ السَّخِيفَ لتقَدُّمِ قَائِلِهِ، وَيَضَعَهُ فِي متخيّره، ويرذّلُ الشّعْرَ الرَّصِينَ، وَلَا عَيْبَ لَهُ عِنْدَهُ إلّا أنّهُ قِيلَ فِي زَمَانِهِ، أَو أنّهُ رَأَى قَائِلَهُ. وَلَمْ يُقصِرْ اللهُ الْعِلْمَ وَالشّعْرَ وَالْبَلَاغَةَ عَلَى زَمَنٍ دُونَ زَمَنٍ، وَلَا خصّ بِهِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، بَلْ جَعَلَ ذَلِكَ مُشْتَرَكًا مَقْسُومًا بَيْنَ عِبَادِهِ فِي كلّ دَهْر، وَجَعَلَ كلّ قَدِيمٍ حَدِيثًا فِي عَصْرِهِ، وكلّ شَرَفٍ خارجيّةٍ فِي أوّلِهِ، فَقَدْ كَانَ جَرِيرُ وَالْفَرَزْدَقُ والأخطلُ وَأَمْثَالُهُم يُعَدّونَ مُحْدَثِين. وَكَانَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلاءِ يَقُولُ: لَقَد كَثُرَ هَذَا الْمُحْدَثُ وَحَسُنَ حتّى لَقَدْ هَمَمْتُ بِرِوَايَتِه .

ثمّ صَار هَؤُلَاء قُدَمَاءَ عِنْدَنَا بِبُعْدِ الْعَهْدِ مِنْهُمْ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ مَنْ بَعْدَهُمْ لِمَنْ بَعْدَنَا، كالخريميّ والعتّابيّ وَالْحُسَنِ بْنِ هانىء وَأَشْبَاهِهِم. فكلُّ مَنْ أَتَى بِحَسَنٍ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ذَكَرْنَاهُ (له)، وأثنينا بِهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَضَعْهُ عِنْدَنَا تأخّرُ قَائِلِهِ أَوْ فَاعِلِهِ، وَلَا حَدَاثَةُ سِنِّه. كَمَا أنّ الرَّدِيءَ إِذَا وَرَدَ عَلَيْنَا للمتقدّمِ أَو الشَّرِيفِ لَمْ يَرْفَعْهُ عِنْدَنَا شَرَفُ صَاحِبِهِ وَلَا تقدُّمُه)).

هَذَا هُوَ الْمِعْيَارُ الْحَقِيقِيُّ وَالْمِيزَانُ الْعَادِلُ فِي الْحُكْمِ عَلَى جَودَةِ الشّعْر .

اللطيفة السابعة والستون

"الهَيبَةُ والوَقَارُ في الشِّعرِ العَربي"

الهَيْبَةُ : الإجلالُ والمخافَةُ. وقد هابَهُ يهابُهُ كخافَهُ يخافُهُ هَيْباً وهَيْبَةً ومهابَةً : خافَهُ وراعَهُ كاهْتابَهُ. والوَقَارُ: الرَّزَانَةُ، الثَّبَاتُ، الحِلْمُ.

وَرَدَتْ هَاتانِ المُفْرَدتانِ فِي الشِّعْرِ العَرَبيِّ بِطُرُقٍ شَتَّى. المُرادُ مِنْ هَذِهِ المَقالَةِ هوَ ذكرُ عددٍ منْ أَبْلَغِ مَا قِيلَ فِي هَاتَيْنِ المُفْرَدَتَينِ مِنْ أَبْياتٍ شِعْرِيَّةٍ عَرَبيَّةٍ. وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَسْتَعينَ بِمَا خَطَّتْهُ أقلامُ شُعَرَائِنَا المُعاصِرينَ، حَيْثُ طَلَبتُ مِنْ مَجْموعَةٍ مِنْ شُعَراءِ مَجْلِسِنا الثَّقافيِّ أَنْ يُدْلُوا بِدَلْوِهِمْ، ويضمنوا هاتينِ المفردتين في ما ينظمونَ، فَكَانَ مِهْرَجانًا شِعْرِيًّا ماتِعًا. وَلَنَا أَنْ نَعودَ الَى تَاريخِنا الحافِلِ بِدُرَرِ الأَشْعارِ. وَمِن أَبْلَغِ مَا قِيلَ فِي الهَيْبَةِ والْوَقارِ مَا نَظَمَهُ الشّاعِرُ ابْنُ المُبَارَكِ يَمْدَحُ مالِكاً :

يَأْبى الجَوَابَ فَما يُرَاجَعُ هَيْبَةً ... والسَّائِلُون نَوَاكِسُ الأذْقَانِ

أدَبُ الوَقَارِ وعِزُّ سُلطانِ التُّقى ... فهو الأميرُ وليس ذا سُلطانِ

وقال البحتري:

قَمَرٌ يؤمِّله الموالي للَّتي ... يقضي بها المأمُول حقَّ الآمِلِ

حَدَثٌ يوقِّره الحِجَى فكأنَّما ... أخذ الوَقَارَ من المشيب الشَّاملِ

وقال الشاعر البابلي علي حميد الحمداني:

يهابُ الناسُ من يبدو وَقوراً ... وذو الطيشِ المُثَرثِرُ لا يُهابُ
وثوبُ الصَّمتِ محمودٌ بَهيٌّ ... إذا ما كان يُعييكَ الجوابُ
فكم من صامتٍ يبني بلاداً ... وكم في قيلِهِ عمَّ الخرابُ

وقال الشاعر ضياء محمود المجيد:

شأنُ الحصيفِ نَقَاوةٌ ووقارُ ... هي للحليم ازاهرٌ وثمارُ
يمشي على دَعَةٍ كأن عيونَهُ ... نورٌ و عبقَ صيامهِ الأسحَارُ
هو قِبلةُ الدّارَينِ حيثُ يَؤُمُّهُ ... في ساحهِ وبرَوضِهِ الأبرارُ

ومما قيل في الهيبة والوقارِ ما أدلت به الشاعرة وداد الواسطي:

وَحَسبُ المرء يعلوهُ وقارُ ... لهُ في الناسِ ذكرٌ واعتبارُ
إذا ما جئتَهُ تلقى كمالا ... بذاكَ المرء تُختَصَرُ الرجالُ

وقال الشاعر الموصليّ جاسم الطائي:

سأبقى كما الشمسُ الكريمة من سنا
وترنـــو اليَّ الخلـــقُ كيـــفَ أودّعُ
فيبكـي عـليّ الـدهرُ مـا دمـتُ سـارياً
بـــرحلي ومـــن خلفـــي المـــآثرُ تَتبَـــعُ
و فـيمَ احتِـدامُ القَـولِ إنْ قُلـتُ قَولَـةً
وقَولي كحدِّ السَّيفِ يمضي فيُخضِعُ

شربتُ كؤوس الحِلمِ ملأى فأنعمتْ

عـليّ بتـاجِ الفخـرِ مـا عشـتُ يلمـعُ

وقالت الشاعرة البابلية هالة أحمد:

لي صـــبرُ هَـــذي الأرضِ شِـــدّةُ بأسِـــهَا

أسَمعتَ شكوى الأرضِ ضربَ معاولِ؟

أنـــماثُ مثـــلَ الملـــحِ بـــين شـــقوقها

وأسـيرُ نحـوَ الـرَّوضِ عـذبَ جـداولِ

مـــن هاهُنـــا حُـــزتُ الوَقـــارَ وهَيبـــةً

أضـــفَتْ عـــلى خُلقـــي جميـــلَ خصـــائلِ

وقال الشاعر البابلي الدكتور فارس الخفاجي:

تمضي بنا صوبَ المعـالي هيبـةٌ

ويشـدُنا نحـوَ القـريضِ وقـارُ

مـا أجمـلَ الـدنيا بظـل كرامـةٍ

ومناقـبٍ تُقضـى بهـا الأعـمارُ

وَقَالَ الشّاعِرُ المِصْريُّ عَبْدُ الرَّحْمَن مُحَمَّد فِي ذَاتِ المَوْضوعِ :

يا سيِّدًا مَلَكَ القُلوبَ مَهابةً و مَحبَّةً و سماحَةً و سَخَاءَ

نُورُ الوقارِ علىٰ جبينكَ ساطعٌ نَجمًا سَطَعْتَ و قد سَمَوتَ سَماءَ

اللطيفة الثامنة والستون

" الجَعبةُ أم الجُعبةُ"

يَسْتَعْملُ الشُّعَرَاءُ وَالْأُدَبَاءُ هَذِهِ الْأَيَّامِ مُفْرَدَة " جعبة" وَيُرَادُ بِهَا الوِعَاءُ الَّذِي يَحْوِي كُلَّ مَا يودُّونَ إِخْفَاءَه. فَنَقُول : (أظهرَ مُحَمَّدٌ كُلَّ مَا فِي جعبته) . ونحارُ كَيْفَ نُحرِّكُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ، فَمَرَّةً نُحَرِّكُها بِفَتْحِ الْجِيمِ، وَمَرَّةً بِضَمِّهَا. وَبَعْدَ الرُّجُوعِ إِلَى معاجمِ اللُّغَةِ وَمِنْهَا لِسَانُ الْعَرَبِ لِابْن مَنْظُور، وجدتُ أَنَّ التَّحْرِيكَ الصَّحِيحَ لَهَا هُوَ بِفَتْحِ الْجِيمِ، إِذَا أَرَدْنَا مَعْنَى الْعِبَارَةِ الَّتِي سَبَقَتْ. نَقُول : (أظهرَ محمدٌ كلَّ مَا فِي جَعبَتِهِ) وَلَا يَجُوزُ أَنْ نحركَها بِالضَّمِّ لِأَنَّ المَعْنَى سَيَختَلِفُ تَمَامًا، لِيَكُونَ مَعْنَى (جُعبتِهِ) مَا اندَالَ مِن تَحْتِ السُّرَّةِ إِلَى الْقُحْقُحِ؛ وَهُوَ: الْعَظْمُ المُطِيفُ بِالدُّبُرِ. وَمِنْهَا: الجُعْبَاءُ: الْاسْتُ.

فَالجَعْبَةُ هِيَ: كِنَانَةُ النُّشَّابِ؛ وَهِيَ: وِعَاءُ السِّهَامِ وَالنِّبَالِ؛ وَجَمْعُهَا: جِعَابٌ. وَتُتَّخَذُ مِن جُلُودٍ. وَقِيلَ: نَكَبُوا الْجِعَابَ، وَسَكَبُوا النُّشَّابَ. ثُمَّ قِيلَ: أَفْرَغَ مَا فِي جَعْبَتِهِ؛ أَيْ: مَا فِي نَفْسِهِ، أَوْ مَا عِندَهُ. وَأُطْلِقَتِ (الجَعْبَةُ) عَلَى: الْوِعَاءِ مُطْلَقًا. وَقِيلَ: (أَخْرَجَ مَا فِي جَعْبَتِهِ)؛ لِأَنَّ مَا عِندَ الْإِنسَانِ مِنْ عِلْمٍ -مَّثَلًا- هُوَ مَحْفُوظٌ فِي صَدْرِهِ؛ فَصَدْرُهُ وِعَاءٌ لَّهُ. وَكَمَا يَنكُبُ المُقَاتِلُ جِعَابَهُ؛ وَيَنثُرُ مَا بِهَا مِن سِهَامٍ، وَيَسْكُبُ المُحَارِبُ نُشَّابَهُ؛ وَيُخْرِجُ مَا بِهِ مِن نِّبَالٍ، كَذَلِكَ يَنكُتُ الْإِنسَانُ مَا يَخْتَزِنُهُ فِي صَدْرِهِ، وَيُفْصِحُ عَمَّا لَدَيْهِ.

وردتْ هذهِ المفردةُ في الشّعرِ كثيراً، ومنها قولُ إبراهيم ناجي[٨٧] :

وجَلَستُ أنثرُ جَعبَةً معمُورةً بالذكرياتِ جديدِها وقديمِ

وقال أيضا :

إنّي لأحمِلُ جَعبَتي مُتَحَدّيًا زَمَني بِهَا وَحَوَاسِدِي

وقال الشاعر محمد إقبال[٨٨]:

آخرُ الأسهُمِ في جَعبَتِنا في ذِيادِ الكُفرِ عَن مِلَّتِنا

وقالت الشاعرة سمية عادل:

في جَعبَةِ الشّعرِ المزيدُ مِنَ الأَسَى سَـدِّدْهُ لـلـدّاني مَـعًـا والقاصي

وأدرجتُ هذه المفردة كثيرا في شعري حيث قلت في بعضها:

يَا إِخْوَةَ الْعُرْبِ هَذِي جَعْبَتِي فَرِغَتْ
مِنْ قَاصِدِينَ لِأَجْلِ الخَيْرِ لِلْعَرَبِ

---

[٨٧] إبراهيم ناجي شاعر مصري ولد في ٣١ ديسمبر ١٨٩٨م في حي شبرا في القاهرة، وتوفي عام ١٩٥٣م، عندما كان في الخامسة والخمسين من العمر. كان طبيبا وكان والده مثقفاً، مما ساعده على النجاح في عالم الشعروالأدب.

٨٨ محمد إقبال هو إقبال ابن الشيخ نور محمد، كان أبوه يكنى بالشيخ تتهو أي الشيخ ذي الحلقة بالأنف ولد في سيالكوت . إحدى مدن البنجاب الغربية ولد في الثالث من ذي القعدة ١٢٩٤هـ الموافق ٩ تشرين الثاني نوفمبر ١٨٧٧م وهو المولود الثاني من الذكور.

يَا إِخْوَةَ الْعُرْبِ مَازَالَتْ مآثرُنَا
تُغْنِي النَّوَادِي بأَلْحَانِ الْفَتَى الطَّرِبِ

وقلتُ في أخرى:

سَأَلتُ اللَّيلَ أَن يَمضي حَثيثاً وفي ذا الليلِ يُؤنِسُني خَليلُ
يُسَائِلُ دَائباً في كُلِّ أمْرٍ وَمَا في جَعْبَتِي شَيءٌ بَدِيلُ

اللطيفة التاسعة والستون

" الموشحاتُ: نظرةٌ خاطفةٌ"

الموشَّحُ: كلامٌ منظومٌ على وزنٍ مخصوصٍ. وظهرَ في أواخرِ القرنِ الثالثِ الهِجريّ. سُمِّيَ بهذا الاسمِ تَشبيهًا لهُ بوِشاحِ المرأةِ وقد زُيّنتْ ورُصِّعتْ حَواشيهِ بالجواهرِ واللؤلؤِ. مِن رُوّادِهِ مقدم بن معافر القبري وأبي عبادة بن ماءِ السماءِ. وقد ظهرَ الموشَّحُ بسببِ تأثرِ العربِ بالأغاني الإسبانيةِ الشَّعبيةِ، ولغرضِ السّهولَةِ في تلحينِها وغنائِها، ومن أجلِ التَّحَرُّرِ مِن القيودِ المَفروضَةِ على القصيدةِ القديمةِ، بالإضافةِ إلى المَيلِ إلى تَسكينِ القَوافي، وهوَ أسهلُ للنّاظمِ.

يتكون الموشح من أجزاء معينة، اصطلح عليها الوشاحون، والتزموها في صنع الموشحات. وهذه الأجزاء هي:

١. (المطلع) : يتكون من شطرين، أو أربعة أشطر، يسمى كل منهما بالغصن.

٢. (الدور) : ويتكون من ثلاثة أشطر شعرية على الأقل، وكل شطر من مقطع واحد على الأقل، وهذا يسمى بـ (الموشح التام). فإن اشتمل الموشح على الدور مباشرة، ولم يكن له مطلع فيقال له الموشح الناقص (الأقرع). ويشترط في الدور أن يكون على وزن وقافية مخالفين للمطلع، أو القفل، أما الأدوار فيجب أن تتحد فيما بينها في الوزن وعدد الأجزاء.

٣. (القفل) : وهو يماثل المطلع في عدد الأغصان ونظام القافية.

٤. (البيت) : في الموشح يتكون من الدور ومن القفل الذي يليه مجتمعين.

٥. (الخرجة) : آخر قفل في الموشح، وهي تماثل المطلع والأقفال في الوزن والقافية وعدد الأجزاء. وهى إما أن تكون عربية فصيحة أو عامية أو أعجمية.

قلت في أحد موشحاتي (تغشانا الهوى) :

١. المطلع:

تَغَشَّانَا الهَوَى كَفًّا نَدِيّا .....(غصن)

تَعالَي نَحْتَسِي حُبًّا جَنِيّا .....(غصن)

٢. الدور:

يُغيثُ القَلْبَ؛ يَحْمِلُني وَليدا ..... (سمط)

ويَشدُو ، مِنْ صَبَابَاتِي، نَشيدا..... (سمط)

يُغَنّي، وادِعًا، لحنًا فَرِيدا..... (سمط)

٣. القفل:

فَهَيّا نَحْرِقُ الأَحْزانَ هَيّا.....(غصن)

ونَرْمي بِالْأَسَى رُكْنًا قَصِيّا.....(غصن)

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

تَباشيرُ الهَوَى هامَتْ بِصُبْحي
تَغَنَّى الوُرْقُ فِي عَلْياءِ دَوْحي
دَوامُ العَيْشِ فِي سَعْدٍ وَ رَوْحِ
تَعالَي، يَا مُنَى قَلْبِي، إِلَيّا
فَإِنَّ العِشْقَ مَوْفورٌ لَدَيّا

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

سَقانا مِنْ سُلَافَتِهِ الغَرَامُ
فَرَاقَ اللَّيْلُ وَابْتَهَجَ الظَّلامُ
دَعَانَا الشَّوْقُ يَعضُدُهُ اَلهُيامُ
فَدَامَ الأُنْسُ تَرقُبُهُ الثُّرَيّا
وَأَقْصَى مِنْ نُضارَتِهِ دَجِيّا

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

رَشَفْنا راحَةَ الحُبِّ اغْتِرَارا
وَطُفْنا كَيْ نُعانِقَهُ اَلمَدارا
عِناقُ الصَّبِّ تَعْرِفُهُ العَذَارَى
يَدومُ الصَّفْوُ فِي نَظَري مَلِيّا

إذَا مَا كَانَ مَبْغانا نَقِيّا

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

حَبِيبِي، إنّني أشكوكَ ضَعْفِي
كوهْنِ المَاءِ فِي رَاحَاتِ كَفّي
شَفيفُ الحُبِّ يَغْمُرُنا بِعَطْفِ
كَفِعْلِ المَاءِ إِذْ يُبْقيكَ حَيّا
فَنَنْهَلُ مِنْ نَقاءِ الحُبِّ شَيّا

اللطيفة السبعون

" أَلْقابٌ فِي مَهَبِّ الرّيحِ "

فِي خِضَمِّ النِّتاجِ الأَدَبيِّ الزّاخِرِ، وَتَعاظُمِ أَعْدادِ الأُدَباءِ والشُّعَراءِ، صَعُبَ أَمْرُ تَرْجيحِ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ. وَلَيْسَ مِنَ الإِنْصافِ أَنْ نُطْلِقَ أَلْقابًا أَدَبيَّةً مُدَوّيَةً عَلَى عَدَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ وَنَتْرُكَ آلَافًا مِنْهُمْ دُونَ لَقَبٍ. وَمِن مَساوِئِ هَذَا الأَمْرِ أَنْ أَطْلَقَ بَعْضُهُمْ اللَّقَبَ الْمُخْتَرَعَ مِنْ قِبَلِهِ عَلَى نَفْسِهِ دُونَ موافَقَةِ الآخَرِينَ، وَمِن ثُمَّ انْهالَتْ كَلِماتُ التَّبْجيلِ، وَعِباراتُ اَلْتَزَلُّفِ وَاَلْتَذْليلِ، تُزَفُّ الى الْمُلَقَّبِ بِاللَّقَبِ الجَديدِ، دُونَ رَقيبٍ أَوْ رَأْيٍ سَديدٍ. قَرَأتُ مِنَ الأَلْقابِ مَا يَصُكُ الأَسْماعَ، وَيَمْلَأُ الرَّحْبَ وَاَلْأَصْقاعَ، وَمِنْهَا (مَلِكُ الشِّعْرِ) أَوْ (مَلِكُ القريضِ) أَوْ (شاعِرُ العَرَبِ) أَوْ (أَميرُ الشُّعَراءِ) أَوْ (شاعِرُ النِّيلِ) أَوْ (شاعِرُ الفُرَاتِ) أَوْ (شاعِرُ العِراقِ) أَوْ (عَميدُ الشِّعْرِ العَرَبيِّ) أَوْ (عَميدُ الأَدَبِ العَرَبيِّ) أَوْ (أَميرُ القَوافي) أَوْ (قُطْبُ الشُّعَراءِ) وَغَيْرُها. وَمِنَ الأَلْقابِ اَلَّتِي أَضْحَكَتْنِي كَثِيرًا لَقَبُ (شاعِرِ العالَمِ) ! ! .

وَلِي أَنْ أَطْرَحَ سُؤَالًا وَاحِدًا هوَ: هَلْ هُنَاكَ مَعاييرُ نَسْتَنِدُ عَلَيْهَا مِنْ أَجْلِ إِطْلاقِ هَذَا اللَّقَبِ أَوْ ذَاكَ؟ وَمَن ذَا اَلَّذِي يَمْتَلِكُ هَذَا الحَقَّ فَيُطْلِقُ الأَلْقابَ؟ وَهَلْ عَقُمَتْ السّاحَةُ الأَدَبيَّةُ فِي وَطَنِنَا الكَبيرِ عَنْ إِنْجابِ كِبارِ الأُدَباءِ؟ وَهَلْ أَنَّ مَنْ لَا لَقَبَ لَهُ يُعَدُّ مِنْ صِغارِ الأُدَباءِ وَلَا وَزْنَ لَهُ؟ وَهَلْ أَنَّ اللَّقَبَ يَدُلُّ عَلَى صاحِبِهِ مِنْ حَيْثُ جَوْدَةُ مَا يُكْتَبُ؟ وَإِذَا كَانَ فِي البَيْنِ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ غَزُرَ نِتاجُهُ، وَعَلَتْ

مَكانَتُهُ، فَلَيْسَ مِنَ المَعْقولِ أَنْ يَبْقَى هَكَذَا إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. أَنْجَبَتِ الأَرْضُ العَرَبيَّةُ كَثِيرًا مِنْ كِبارِ الشُّعَراءِ وَعَلَى مَرِّ الزَّمَنِ، وَعُرِفَ الكَثيرُ مِنْهُمْ، وَدَوَّنَ المُؤَرِّخُونَ مَا جَادوَا بِهِ مِنْ أَشْعارٍ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ أَغْلَبَ هَؤُلَاءِ كَانُوا مِنَ المُتَزَلِّفينَ لِلْحُكَّامِ والْأُمَراءِ، وَذَوِي السَّطْوَةِ، فَرَجحَتْ كفَّتُهُمْ، وَعَلا نَجْمُهُمْ، وَذَكَرهُمُ التّاريخُ، وَهَضمَ حُقوقَ كَثيرٍ مِنَ الشُّعَراءِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْتَمُونَ فِي أَحْضَانِ السّاسَةِ والْمالِ، وَلَمْ يَتَّخِذُوا الشِّعْرَ زُلْفَى إلى هَؤُلَاءِ.

مِنْ أَقْبَحِ الأُمورِ عِنْدِي وَعِنْدَ الحُكَماءِ أَنْ يَمْدَحَ المَرْءُ نَفْسَهُ، لِأَنَّكَ لَوْ قُمتَ بهذا، فَلَنْ يَكونَ هُنَاكَ دَاعٍ لِمَدْحِكَ مِنَ الآخَرِينَ. وَفِي طَبيعَةِ الإنسانِ أَنَّهُ يَسْتَهْجِنُ مَدْحَ المَرْءِ نَفْسَهُ، لَكِنَّهُ يُجَوِّزُ المَدْحَ لَهُ مِنْ قِبَلِهِ أَوْ مِنْ قِبَلِ الآخَرِينَ وَيَأْنَسُ بِهِ. وَبِمَا أَنَّ النَّفْسَ مَجْبولَةٌ عَلَى حُبِّ المَدْحِ، فَإِنَّ البَعْضَ يُغَالِي فِي مَدْحِ ذاتِهِ حِينَمَا لَا يَجِدُ مَنْ يَمْدَحُهُ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ هَذَا المَدْحَ سَيُثِيرُ اهْتِمامَ الآخَرِينَ بِهِ. وَلِشِدَّةِ اهْتِمامِ المُلَقَّبِ بِالْأَلْقَابِ، نَجِدُهُ يَكِيلُ التُّهَمَ جُزَافًا عَلَى مَنْ يُخَالِفُهُ آراءَهُ، أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي مُناسبَةٍ أو أُخْرَى تَخُصُّ الأَدَبَ، وَمَن ذَا اَلَّذِي يَرُدُّ عَلَى مَلِكِ الشِّعْرِ أَوْ أَميرِ الشُّعَراءِ. كُلُّ هَذَا اَلْوَهْمِ، بِلَا شَكٍّ، يُؤَدّي الى الشُّعورِ بِداءِ اَلعَظَمَةِ، وَهِيَ الفَارِغَةُ بِالتَّأْكِيدِ، حَتَّى يَصِلَ الى رَفْضِ المُخَالِفِينَ وَالتَّعَدِّي عَلَيْهِمْ.

وفي الجانبِ الآخَرِ، كَثيرٌ مِنَ الأُدَباءِ لَا نَجِدُهُمْ يَهْتَمُّونَ بِأَمْرِ اللَّقَبِ، فَهُمْ

يُعْرَفونَ بِأَسْمَائِهِمْ لَيْسَ إِلَّا، أَوْ بِاللَّقَبِ العِلْميِّ الأَكاديميِّ، وَهَذَا مِنْ أَيْسَرِ الحُقوقِ بِالطَّبْعِ.

نَصِيحَتِي لِكُلِّ أَديبٍ أَنْ يُطْلِقَ العِنانَ لِآثارِهِ وَنِتاجاتِهِ كَيْ تُخَصِّصَ لَهُ لَقَبًا يَكونُ مَحْفُورًا فِي أَذْهانِ النّاسِ، وَلَا يَتَسَمَّى إلّا بِمَا سَمَّاه بِهِ والِدُهُ، وَعُرِفَ بِهِ بَيْنَ أَقْرانِهِ.

وَمِن أَمْتَعِ مَا قَرَأتُ فِيمَا اتَّفَقَ مَعَ مَوْضوعِ مَقَالِي هَذَا مَا كَتَبَهُ الأَديبُ والشّاعِرُ البابِلِيُّ "كامِلُ الدُّلَيْمي[٨٩]"، وَهَاكَ مَا اقْتَطَفْتُهُ مِنْ مَقالِهِ حيثُ يَقُولُ: (وَعَميدُ الشِّعْرِ لَا بُدَّ أَنْ يَكونَ قَدْ خَبَرَ وَغَرِقَ فِي البُحورِ كُلِّها حَتَّى قَطَعَ الأَنْفاسَ وَجَاءَ بِمَا هوَ جَديدٌ وَتَمَكَّنَ مِنَ اَلتَّفْريقِ بَيْنَ (القَصِيدِ وَاَلثَّريدِ). فَالقَصيدُ مُنْطَلَقُهُ المُخَيِّلَةُ، وَالثَريدُ مُسْتَقَرُّهُ المَعِدَةُ وَشَتَّانَ بَيْنَ عَميدِ القَصِيدِ وَالثَريدِ. اَلَّذِي شَاعَ فِي مَحافِلِنا الثَّقافيَّةِ والِاجْتِماعيَّةِ كَثْرَةُ إِطْلاقِ لَقَبِ العَميدِ مُسْتَغِلِّينَ الرُّتَبَ العَسْكَريَّةَ وَالشُّرْطَويَّةَ وَالَّتِي تَدُلُّ وَبِلَا شَكٍّ عَلَى حُسْنِ القيادَةِ وَالدِرْبَةِ وَقوَّةِ الشَّخْصيَّةِ وَمُؤَهِّلاتٍ لَا حَصْرَ لَها، فَهَلْ فَقَدَ عَصْرُنا قِيَمَ الأَلْفاظِ وَالصِّفَاتِ حَتَّى صَارَ اللَّقَبُ مُتَاحًا لِمَنْ هَبَّ وَدَبّ. وَكُلَّمَا طَالَعْتَ صَفَحاتِ التَّواصُلِ الِاجْتِماعيِّ وَخُصُوصًا

---

[٨٩] ناقد وشاعر وكاتب عراقي بابلي. له مؤلفات كثيرة منها كتاب (تهافت الأدب)، ونصوص(أيرقص الرصيف؟) و(مغفلون بلا مصائد) وغيرها. له مشاركات عربية وعراقية في مناسبات عديدة وأغلبها في مصر. ما زال يكتب إلى حين هذه اللحظة. له حضور مميز في مجلسنا الثقافي (مجلس الدكتور علي الطائي الثقافي).

صَفَحاتِ المُنَافِقِينَ بِامْتِيَازٍ وَجَدْتَهُمْ يُطْلِقُونَ هَذَا اللَّقَبَ عَلَى النَّطَائِحِ وَالْمُتَرَدِّيَاتِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ الأَدَبِ (عَميدَةُ الجَمالِ ، عَميدَةُ الشِّعْرِ ، عَميدَةُ الفِراشِ). وَيُقابِلُ هَذَا تَهافَتٌ كَبيرٌ عَلَى هَذَا اللَّقَبِ حَتَّى لَيَشْعُرَ اَلَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ اللَّقَبُ انّهُ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى طَاوُوسٍ، فَأَفْرَدَ رِيشَ جَنَاحَيهِ وَحاوَلَ، إلّا أَنَّهُ سَقَطَ فِي وَحلِ اللَّقَبِ. وَرِسالَتِي هُنَا إِلَى جَيْشِ المُنَافِقِينَ والْأُخوَةِ المَهاويلِ وَرَبّاتِ الجَمالِ بِضِمْنِهِنَّ المَازُوخيَّاتِ (أَنْصِفُونَا وأَنْصِفوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ لَقَبِ العَميدِ يَرْحَمكُمْ الله).

وَأَخِيرًا، أَقولُ بِأَنَّنِي كَتَبْتُ هَذَا المَقالَ بِسَبَبِ كَثْرَةِ مَا أُشاهِدُهُ مِنْ اهْتِمامٍ بالِغٍ لِبَعْضِ الشُّعَراءِ بِاللَّقَبِ، وَمُسايَرَةِ هَؤُلَاءِ مِنْ قِبَلِ المَحْسُوبِينَ عَلَى الأَدَبِ. وَفِي الخِتَامِ أَقولُ أَكْتُبوا ثُمَّ أَكْتُبوا ، وانْثَروا مَا كَتَبْتُمْ عَلَى العُقولِ الخِصْبَةِ، وَلَسَوْفَ تَنْبُتُ هَذِهِ زَهْرًا وَطِيبًا، كَمَا يَفْعَلُ السَّحابُ، يُمْطِرُ فِي كُلِّ بِقاعِ الأَرْضِ، وَيَسْقي البَوَادِيَ وَالْجِنانَ دُونَ أَنْ يَنْتَظِرَ شُكْرًا أَوْ لَقَبًا، وَلَنَا فِي السَّحابِ عِبْرَةً.

اللطيفة الحادية والسبعون

" ما الفرقُ بينَ الفقير والمسكينِ"

زَخَرَ الأدَبُ الْعَرَبِيّ، وَمِنْهُ الشِّعْرُ عَلَى وَجهِ الخُصُوصِ، بِوَصْفِ هَذَا الدَّاءِ المُزمنِ، الَّذِي تَمَنَّى الْإِمَامُ عَلِيّ، أَوْ عُمَرُ ابْنُ الخَطَّابِ، لَوْ كَانَ رَجُلًا لَقَتَلَهُ وَأَرَاحَ مِنْهُ الْبَشَرَ. تَقُولُ الاحصائياتُ الخَاصَّةُ بِالْفَقْرِ أَنَّ أَكْثَرَ مِنْ ٨٠٠ مِلْيُون شَخْصٍ حَوْلَ الْعَالِمِ يُعَانُونَ مِنَ الجُوعِ وَنَقصٍ مِنَ الطَّعَامِ وَالمَلْبَسِ وَالحَاجَاتِ الأَسَاسِيَّةِ ومتطلباتِ الْعَيْشِ الْأَدْنَى. وَقَد زَخَرَ الشِّعْرُ العَرَبِيُّ بقصائدَ أَو مَقْطُوعَاتٍ أو نُتَفٍ تَتَعَرَّضُ لِهَذِهِ الْآفَةِ، وتشرحُ حَالَ الْفُقَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ، وَمَنْ هُوَ الْأَفْضَلُ حَسَبَ رَأْيِ الشُّعَرَاء وَالحُكَمَاء مِنْهُم .

قال عروة بن أذينة[٢٣]:

فما امرىء لم يضع دينًا ولا حسبًا
بفضل مالٍ وقى عِرضًا بمغبونِ
كم من فقيرٍ غنيِّ النَّفسِ تَعرِفُهُ
ومِنْ غَنِيٍّ فقيرِ النَّفسِ مِسكينِ

---

٢٣ أبو عامر عروة بن أذينة الليثي الكناني تابعي جليل وشاعر غزل وفخر وشريف مقدم من شعراء المدينة المنورة وهو معدود في الفقهاء والمحدثين وأحد ثقات أصحاب حديث رسول الله سمع من ابن عمر وروى عنه مالك بن أنس في الموطأ وعبيد الله بن عمر العدوي.

وقال ابن نباتة السعدي[٩١]:

وما الفقرُ للمذلة صاحبٌ وما الناس للغنيِّ صديقُ

والفقرُ في اللغةِ العَوَزُ والحاجةُ، والجمعُ : مَفاقِرُ. يقول صاحبُ لسانِ العربِ: "الفَقْر والفُقْر: ضدّ الغِنى، مثل الضَّعْفِ والضُّعْف. قال الليثُ: والفُقْرُ لغةٌ رديئة؛ ابن سيده: وقَدْرُ ذلك أَن يكون له ما يَكْفي عيالَه، ورجل فَقِيرٌ من المال، وقد فَقُرَ، فهو فَقير، والجمع فُقَراءُ، والأُنثى فَقِيرةٌ من نسوة فَقَائِر. قال: وقلت لأَعرابي مرةً: أَفَقِيرٌ أَنت؟ فقال: لا والله بل مسكينٌ؛ فالمسكينُ أَسوأُ حالاً من الفقيرِ. وفي التنزيلِ العَزيزِ: ((إِنَّما الصَّدَقاتُ للفُقَراءِ والمساكينَ))؛ سئل أَبو العباس عن تفسيرِ الفَقِير والمسكين فقال: قال أَبو عمرو بن العلاء فيما يَروي عنه يونُس: الفَقِيرُ الذي له ما يَأْكلُ، والمسكينُ الذي لا شيءَ لهُ.

لكِنَّنَا حِينَمَا نَقْرَأ قَوْلَهُ تَعَالَى: ((أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ . . . . .)) الْكَهْف (٧٩)، نَشْعُرُ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِمَّن عَنَاهُم تَعْرِيفُ الْمِسْكِينِ أَعْلَاهُ، لِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ فَائِدَةٌ وَلَو يَسِيرة. وَقِيلَ: الفَقِيرُ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ، وَالْمِسْكِينُ الَّذِي لَهُ بَعْضُ مَا يَكْفِيه؛ وإِليه

---

[٩١] ابن نباتة السعدي هو الشاعر أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة بن حميد بن نباتة بن الحجاج بن مطر السعدي التميمي، (من بني سعد من قبيلة بني تميم) ولد في بغداد عام ٣٢٧هـ/٩٤١م، وبها نشأ وتوفي.

ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ. كَذَلِكَ يُقَالُ لِلشَّخْصِ الَّذِي يُذِلُّهُ غَيْرُهُ لِسَطْوَةٍ أَوْ قُوَّةٍ مِسكيناً بِالرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهِ ذَا ثَرْوَةٍ وَأَمْلَاكٍ، فَنَقُولُ: ضُرِبَ فلانٌ المسكينُ وظُلِمَ المسكينُ. أَمَّا جمعُ مِسْكِينٍ فَمَسَاكِينٌ أَو مِسْكِينُونَ، وللإناثِ مِسْكِينَاتٌ. وَالْمِسْكِينُ كَمَا عَرَّفَهُ الْفُقَهَاءُ هُوَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ قُوتَ يَوْمِهِ.

هَلْ يَسْتَقِرُّ المَعْنَى عَلَى رَأْيِ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ فيُرِيحُونَ وَيَسْتَرِيحُونَ، أَم يُتْرَكُ الِاخْتِيَارُ لَنَا وللذَّوقِ؟

قال محمود سامي البارودي[٩٢]:

وَلا تَحْتَقِرْ ذَا فَاقَةٍ فَلَرُبَّمَا
لَقِيتَ بِهِ شَهْمَاً يُبِرُّ عَلى المُثْرِي
فَرُبَّ فَقِيرٍ يَمْلأُ القَلْبَ حِكْمَةً
وَرُبَّ غَنِيٍّ لا يَرِيشُ وَلا يَبْرِي
وَكُنْ وَسَطاً لا مُشْرَئِبّاً إِلى السُّهَا
وَلا قَانِعَاً يَبْغِي التَّزَلُّفَ بِالصُّغْرِ

---

[٩٢] محمود سامي بن حسن حسين بن عبد الله البارودي المصري (١٢٥٥ هـ / ٦ أكتوبر ١٨٣٩ - ١٣٢٢ هـ / ١٢ ديسمبر ١٩٠٤)، هو شاعر مصري ولد عام ١٨٣٨م من أسرة مؤثرة لها صلة بأمور الحكم. نشأ طموحا تبوأ مناصب مهمة بعد أن التحق بالسلك العسكري، وقد ثقف نفسه بالاطلاع على التراث العربي ولا سيما الأدبي؛ فقرأ دواوين الشعراء وحفظ شعرهم وهو في مقتبل عمره. أُعجب بالشعراء المُجددين مثل أبي تمام والبحتري والشريف الرضي والمتنبي وغيرهم، وهو رائد مدرسة البعث والإحياء في الشعر العربي الحديث، وهو أحد زعماء الثورة العرابية. ولقب برب السيف والقلم.

الْفَاقَةُ:الْحَاجَةُ. والمُثري هو الغنيّ، ورَجُلٌ لاَ يَرِيشُ وَلاَ يَبْرِي : أيْ لاَ يَضُرُّ وَلاَ يَنْفَعُ. السُّها : كوكبٌ صَغيرٌ خَفيُّ الضوء في بناتِ نعش الكبرى أو الصغرى. نقولُ: أُرِيهَا السُّهَا وَتُرِينِي القَمَرَ : أي أسْألُها عَنْ شَيْءٍ فَتُجِيبُنِي جَواباً لاَ عَلاَقَةَ لَهُ بِمَا أسْألُ عَنْهُ. اشْرَأَبَّ إليه، وله، : مدَّ عُنقه، أو ارتفع لينظر.

وقال أحمد شوقي :

لا الفقرُ بالعَبَراتِ خُصَّ ولا الغِنَى
غير الحياة لهن حكم مشاعِ
ما زال في الكوخ الوضيع بواعثٌ
منها وفي القصر الرفيع دواعي
إذا لم يكن للمرء عن عيشةٍ غنًى
فلا بدَّ من يسر ولا بد من عسرِ
ومن يخبر الدنيا ويشرب بكأسها
يجد مرّها في الحلو والحلو في المرِّ
ومن كان يعزو بالتعلّات فقرَهُ
فإني وجدت الكدَّ أقتَلَ للفقر

وَكَانَ لِي وَقْفَةٌ عِنْدَ هَذَا الدَّاءِ الوبيلِ، فقُلتُ فِي الْفَقْرِ بَعْضَ أَبْيَاتٍ مِنْهَا :

الفَقْــرُ مِــنْ آثــارِهِ ذُلُّ النُّهَــى ... ومُــرُوءَةِ الأكيَــاسِ والعُقَــلَاءِ

جَــادَ الفَقــيرُ بِقُوتِــهِ مُتَبَسِّــماً ... فـالجُودُ مَشـهُورٌ لَـدَى الفُقَـراءِ

وَقَطيفَـةُ المِسكينِ تُـدفِئُ عَظمَـهُ ... إذْ نَــامَ مَقْــرُورًا بِغَــيرِ غِطَــاءِ

تَـركَ الأنـامُ حَديثَـهُ مِـنْ ضَـعفِهِ ... فـالقَولُ مَـردُودٌ مِـنَ الضُّـعَفَاءِ

وإذَا تَحَــدَّثَ غَــارِقٌ في نِعمَــةٍ ... بَــزَّ اعتِسَــافاً زُمــرَةَ الظُّرَفَــاءِ

وَيَظُـنُّ أنَّ المَـالَ يُكْسِـبُ حِكْمـةً ... وَزَعَامَــةً، في مَجمَــعِ الحُكَــمَاءِ

أَوَ مَا دَرَى أنَّ السَّـفيهَ إذَا اغتَنَى ... حَلَّــتْ عَلَيــهِ لَعنَــةُ البُلَــدَاءِ

وَقَطيفَةُ الْمِسْكِينِ أَوْ المَسَاكِينِ هِيَ الشَّمْسُ يُسَمّيها بِذَلِكَ فُقَراءُ العَرَبِ فِي الشِّتاءِ لِأَنَّهَا لَا تُكَلِّفُهُم شَيْئًا بِغَرَضِ الدفءِ.

تم الجزءُ الأول ويليه

الجزءُ الثاني

المصادر

١. القاموس المحيط، مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.

٢. القوافي للإمام أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق : أحمد راتب النفاخ، دارالإرشاد ودارالأمانة، ط١، ١٩٧٤م.

٣. الكافي في العروض والقوافي، لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي(ت ٥٠٢هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دارالكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٤. العمدة في محاسن الشعروآدابه، الحسن بن رشيق القيرواني(ت ٤٦٣هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، دارالجيل، بيروت، ١٩٨١م.

٥. شعر أبي زبيد الطائي، جمعه وحققه: الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٧م.

٦. شرح قصيدة بانت سعاد، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري(ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: د.محمود حسن زيني، مكتبة تهامة، جدة، ط١، ١٩٨٠م.

٧. لسان العرب, للعلامة ابن منظور, طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الاساتذة المتخصصين, دارالحديث, القاهرة, ٢٠١٣م

٨. شرحُ الآجرُّمية, للشيخ محمد بن صالح العثيمين, مكتبة الرشد ناشرون, السعودية, الرياض, الطبعة الأولى ٢٠٠٥م

٩. المعين على التقفية والتسجيع (معجم قوافي ومعاني), محمد باقر الناصري, مؤسسة البلاغ, دارسلوني, بيروت , لبنان , ٢٠١٠م.

١٠. الكامل في اللغة والأدب , لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد, دار احياء التراث العربي, بيروت, لبنان, ٢٠١٢

١١. أساس البلاغة, جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري, ط١, دار

الكتب العلمية,بيروت١٩٩٨

١٢.أسرار البلاغة في علم البيان, الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ت ٤٧١هـ) , قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر, دار المدني بجدة, الطبعة الأولى, ١٩٩١

١٣.الأغاني, لأبي الفرج علي بن الحسين الأموي الأصفهاني, تحقيق الدكتور يوسف البقاعي وغريد الشيخ, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, ط١, بيروت ـ لبنان , ٢٠٠٠

١٤.الأمالي, الشريف المرتضى, تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم, دار احياء الكتب العربية, القاهرة, ١٩٠٤م

١٥.طرائف ومسامرات، الدكتور محمد رجب البيومي، دار القلم، دمشق، ٢٠١٨م

١٦.ديوان شعر ابن المعتز, صنعه أبو بكر محمد بن يحيى الصولي, تحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائي, عالم الكتب, بيروت لبنان,١٩٩٧م

١٧.الضرورة الشعرية ومفهومها لدى النحويين: دراسة على ألفية بن مالك لإبراهيم بن صالح الحندود، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة , ٢٠٠١

١٨.صرف الممنوع من الصرف, رسالة ماجستير للطالب صالح فليح زعل المذهان في قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الشرق الأوسط, أيار ٢٠١٠

١٩.ديوان عنترة , شرحه وضبطه وقدم له علي العسيلي, منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت ١٩٩٨م

٢٠.ديوان ابن الرومي ، علي بن العباس بن جُرَيج، ضبط نصوصه وعلق حواشيه وقدم له الدكتور عمر فاروق الطباع، الطبعة الأولى، شركة دار

الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م
٢١. شعراء النصرانية، لويس شيخو، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت، ١٨٩٠م
٢٢. ديوان حاتم الطائي ، شرح ابي صالح يحيى بن مدرك الطائي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
٢٣. ديوان (على ضفاف القوافي) فارس الخفاجي، مطبعة اليسر، العراق، الأنبار-حديثة، ٢٠٢١.
٢٤. ديوان (تلابيب الثرى) ضياء محمود المجيد، مطبعة اليسر، العراق، الأنبار-حديثة ٢٠٢١.
٢٥. تهافت الأدب، كامل حسن الدليمي، دار النخبة للنشر والطباعة والتوزيع، مصر، ٢٠١٩.
٢٦. ديوان (حب في وطن ضائع) الدكتور علي الطائي، مطبعة اليسر، العراق، الأنبار-حديثة، ٢٠٢٠.
٢٧. ديوان(رَوحُ القلوب)، الدكتور علي الطائي، مطبعة اليسر، العراق، الأنبار-حديثة، ٢٠٢١.
٢٨. أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٩. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٠. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السراج(ت٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣١. الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي(ت٣٥٦هـ)، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت.
٣٢. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٣٣. البديع في البديع، عبد الله بن محمد المعتز (ت ٢٩٦هـ)، دار الجيل، ط١، القاهرة، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٣٤. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٣٥. جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥ هـ)، دار الفكر، بيروت.
٣٦. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: الدكتور يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
٣٧. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م.
٣٨. ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي- تحقيق: د. عبد المنعم أحمد صالح، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.

المحتويات

المقدمة.....٥

اللطيفة الأولى "لِمَاذَا أُحِبُّ الشِّعْرَ".....- ٩ -

اللطيفة الثانية"حَمَامَة".....- ١١ -

اللطيفة الثالثة معنى " نَهِلَ".....- ١٤ -

اللطيفة الرابعة"أَهْلاً وَسَهْلاً".....- ١٦ -

اللطيفة الخامسة كَلِمَةُ " أُخَيَّ " وَوُرُودُها في الشِّعرِ.....- ١٨ -

اللطيفة السادسة"القَلْبُ المَكَانِيّ فِي عِلْمِ الصَّرْفِ".....- ٢٠ -

اللطيفة السابعة"مُبَارَكٌ وَمَبْرُوكٌ".....- ٢٢ -

اللطيفة الثامنة"هَيْفَاءُ".....- ٢٤ -

اللطيفة التاسعة"بعضُ النَّاسِ كَالجُعَلِ".....- ٢٦ -

اللطيفة العاشرة"متى تَكْتُبِ الشِّعْرَ؟".....- ٢٨ -

اللَّطِيفَة الحادية عشرة"خرافةُ قصيدةِ النثرِ".....- ٣٠ -

اللطيفة الثانية عشرة بُسَلَاءُ وَبَوَاسِلُ.....- ٣٤ -

اللطيفة الثالثة عشرة"بَانَتْ سُعَادُ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيّ".....- ٣٥ -

اللطيفة الرابعة عشرة"وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ".....- ٤١ -

اللطيفة الخامسة عشرة"الأطعمة والدعوات".....- ٤٥ -

اللطيفة السادسة عشرة"لافِتٌ" أم "مُلْفِتٌ" لِلنَّظَرِ؟.....- ٤٨ -

اللطيفة السابعة عشرة"مُمتِعاً أَمْ مَاتِعاً".....- ٥٢ -

اللطيفة الثامنة عشرة" هَلْ تَكْتُبُ شِعْرَ الغَزَلِ"..... - ٥٦ -
اللطيفة التاسعة عشرة"قصتي مع الشعر"..... - ٦٠ -
اللطيفة العشرون"ماذا يعني لك الأدب؟"..... - ٦٦ -
اللطيفة الحادية والعشرون"رد على مقالة"..... - ٦٩ -
اللطيفة الثانية والعشرون"متسوّلُ المدح"..... - ٧٧ -
اللطيفة الثالثة والعشرون"الألغاز الشعرية"..... - ٨١ -
اللطيفة الر ابعة والعشرون"حِكَمٌ ومَواعِظ"..... - ٨٧ -
اللطيفة الخامسة والعشرون" هيهات"..... - ٩٢ -
اللطيفة السادسة والعشرون" سَكَنٌ لَكُم"..... - ٩٥ -
اللطيفة السابعة والعشرون"كي ولكي"..... - ٩٩ -
اللطيفة الثامنة والعشرون"القَهْوَةُ وَالخَمْرُ"..... - ١٠٢ -
اللطيفة التاسعة والعشرون" هل تحبُّ علمَ العَروضِ"؟..... - ١٠٥ -
اللطيفة الثلاثون"العاطفةُ في الشِّعر"..... - ١٠٩ -
اللطيفة الحادية و الثلاثون" ألِفُ التَّأسيس"..... - ١١٤ -
اللطيفة الثانية والثلاثون"صَرفُ ما لا يَنصَرفُ"..... - ١١٩ -
اللطيفة الثالثة والثلاثون"شرُّ النساءِ"..... - ١٢٣ -
اللطيفة الر ابعة والثلاثون" كلُّ جَمعٍ مُؤَنَّثُ"..... - ١٢٩ -
اللطيفة الخامسة والثلاثون" قراءةٌ لِمُعَلَّقةِ عنترة"..... - ١٣١ -
اللطيفة السادسة والثلاثون إِشْباعُ الْكَافِ والتّاءِ وَمُشْكِلَةُ سَلَفِيَّةِ النُّقّادِ والشُّعَراءِ "..... - ١٣٨ -
اللطيفة السابعة والثلاثون"امتِحَانُ الأَطِبّاءِ"..... - ١٤٣ -
اللطيفة الثامنة والثلاثون" بَيْتُ القَصيدْ"..... - ١٤٥ -

اللطيفة التاسعة والثلاثون" جَرِيرُ وَالجَارِيَةُ اللَّخْنَاءُ"..... - ١٤٧ -
اللطيفة الأربعون" مجاراة: هاتوا ما عندكم من شعر الحكمة"..... - ١٥٠ -
اللطيفة الحادية والأربعون"لِلَّهِ دَرُّكَ"..... - ١٥٥ -
اللطيفة الثانية والأربعون"كورونا و رَبَّةُ الدار"..... - ١٥٨ -
اللطيفة الثالثة والأربعون"تفسير الكرم على ضوء العلم الحديث"..... - ١٦٢ -
اللطيفة الرابعة والأربعون" النُّعاسُ من مَواطنِ الجمالِ"..... - ١٦٥ -
اللطيفة الخامسة والأربعون"الأعرابُ حينما يُقَيِّمُونَ المرأةَ"..... - ١٦٩ -
اللطيفة السادسة والأربعون"نعم و بلى"..... - ١٧٤ -
اللطيفة السابعة والأربعون"الطربُ: في الفرح أم في الحزن؟"..... - ١٧٧ -
اللطيفة الثامنة والأربعون"تَجَمُّلُ الرَّجُلِ لِلمرأةِ"..... - ١٨٢ -
اللطيفة التاسعة والأربعون"الشعراء وأخطاؤهم النحوية"..... - ١٨٦ -
اللطيفة الخمسون" مَن لم يمُتْ بالسَّيف"..... - ١٩٠ -
اللطيفة الحادية والخمسون"الطبيب وعزرائيل"..... - ١٩٣ -
اللطيفة الثانية والخمسون"شَجرةُ القاتِ وآدم"..... - ١٩٥ -
اللطيفة الثالثة والخمسون"حُسنُ الاعتِذارِ"..... - ١٩٨ -
اللطيفة الرابعة والخمسون"معنى هَدَرَ في أبياتٍ شِعريّة"..... - ١٩٩ -
اللطيفة الخامسة والخمسون" حسنُ التخلُّصِ"..... - ٢٠٣ -
اللطيفة السادسة والخمسون"إياك أعني واسمعي يا جارة"..... - ٢٠٦ -
اللطيفة السابعة والخمسون"ائتلاف اللفظِ معَ المَعنى"..... - ٢٠٨ -
اللطيفة الثامنة والخمسون" وفاء الكلاب في مخيلة الشعراء"..... - ٢١٠ -
اللطيفة التاسعة والخمسون" قول الشعر متأخرا"..... - ٢١٦ -

اللطيفة الستون"دير حنظلة الطائي"..... - ٢١٩ -

اللطيفة الحادية والستون"تطور الكتابة العربية"..... - ٢٢٢ -

اللطيفة الثانية والستون"أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه!"..... - ٢٢٦ -

اللطيفة الثالثة والستون" ربَّةُ البيتِ: قصيدة ومجاراة"..... - ٢٢٩ -

اللطيفة الر ابعة والستون" ألقاب الشعراء والبطيخ"..... - ٢٣٦ -

اللطيفة الخامسة والستون"الكروان"..... - ٢٣٨ -

اللطيفة السادسة والستون" خر افةُ كُلّ قديمٍ جَيّدٌ"..... - ٢٤١ -

اللطيفة السابعة والستون"الهَيبَةُ والوَقَارُ في الشِّعرِ العَربي"..... - ٢٤٣ -

اللطيفة الثامنة والستون" الجَعبةُ أم الجُعبةُ"..... - ٢٤٧ -

اللطيفة التاسعة والستون" الموشحاتُ: نظرةٌ خاطفةٌ"..... - ٢٥٠ -

اللطيفة السبعون" أَلْقابٌ فِي مَهَبِّ الرّيحِ "..... - ٢٥٤ -

اللطيفة الحادية والسبعون" ما الفرقُ بينَ الفقيروالمسكينِ"..... - ٢٥٨ -

مطبعة
المجلس الثقافي
بابل / حلة _ 07714289038